

# دعوة الحق



مجلة شهرية تعنى بالمراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر  
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

## الخزائن العلمية بالمغرب







# دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر  
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة السابعة والخمسون - العدد 406 - جمادى الأولى 1435 هـ / مارس 2014 م



أسسها

جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه  
سنة 1376 هـ / 1957 م



”... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة  
تُعنى بصيغة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تُعالج  
مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وكسيد الأمل في  
أن يلتفت مولانا عمالة العكر والثقافة والإصلاح في هذه  
البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.  
وعسى أن تترك مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاة والتوفيق“.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه  
إلى «مجلة دعوة الحق» بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

في هذه الذكرى المئوية  
المرامدة 1435 هـ / 2014 م

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني : www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني : daawatalhak@mhai.gov.ma

هاتف التحرير : 05 37 76 32 10 - هاتف مدير المجلة : 05 37 66 06 74

فاكس : 05 37 76 17 21

التوزيع : هاتف وفاكس : 05 37 76 32 10

الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط :

RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة : الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 درهم

الخارج : 300 درهم ثمن العدد : 15 درهم

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

الإخراج الفني والطباعة : مطبعة الأمنية - الرباط

مدير المجلة :

الأستاذ أحمد قسطاس



رئيس التحرير :

الأستاذ عبد الحميد العلمي









أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده







صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد حفظه الله





# افتتاحية

من المعلوم أن حب المغاربة للعلم والعلماء، وشغفهم بالكتب والمصنوعات متفيعٌ لمرجت عليه سنن الأولين، وتوالت نعمه على اللاحقين، وأسفر ذلك التوالي عن نقوض القمم لتأسيس المكتبات وعمارتها بالتفايد والمؤلفات خدمة للعلوم وحبذا للمتون والرسوم.

وفد كتب الله أن تكون للمغرب عناية خاصة بالكتب والخزانات في مختلف المناهج والجهات، وأسهم الملوك والعلماء والأسر والمؤسسات في إنشائها والاهتمام الكبير بها.

وتحفيها لما تم الوعد به في عهد سابق يسعد أسرة المجلة أن تخصص هذا العدد للتعريف ببعض الخزانات العامة والخاصة وما يرتبط بها من الخدمات عن مضامينها وجهود المهتمين بتصنيفها ووضع فقارس مرفمة لمحتوياتها، وهو ما سيساعد الباحثين على الاستعانة منها ومواصلة العمل للوفوف على مكنوناتها، راجين الله أن يكون ما قدم في هذا العدد إسقاما في خدمة جانب من مفومات حضارتنا المغربية.







# الخزانات العلمية بالمغرب





## خزانات الكتب بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط : جوانب من انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والذهنية

الأستاذ أحمد الصديقي

عكس مستوى الاهتمام بخزانات الكتب بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط طبيعة الحراك الثقافي والفكري الذي عرفته المنطقة بين مجمل البنى الاجتماعية، على الرغم من تداخل جملة من العوامل التي حالت بيننا وبين هذا التراث الغني، بفعل ضياع الكثير من الخزانات إذ لم يصلنا من محتوياتها إلا النذر القليل<sup>1</sup>، الأمر الذي يبرر تناول هذه المقالة لاستجلاء أدوارها المختلفة في تشكيل العقلية المغربية الأندلسية، عبر تناول تقديم مختصر لظهور ثقافة الاهتمام بالمدون، مع إبراز أنواع وخصوصيات هذه الخزانات، وانعكاساتها المختلفة.

يعد إنشاء خزانات الكتب أحد أهم مظاهر الاهتمام بالكتاب، وسيبلا لتيسير القراءة، ووسيلة لخدمة البحث العلمي والحفاظ على التراث الفكري، لاسيما في مجتمع ركن زمننا طويلا لثقافة المشافهة، مما سيُدخل مجتمع الغرب الإسلامي في منعطف تاريخي سيحسم فيه خيار التعامل والتعاطي مع ثقافة المشافهة التي كانت في الغالب عرضة لآفات النسيان بالإضافة أو البتر، والتعويل في المقابل على ثقافة الكتابة والتدوين بما تتميز به من توثيق للعلم وتقنيده ليخلد في بطون الأوراق<sup>2</sup>، مما برر ظاهرة الإقبال

1 - للاطلاع على هذا الكم الهائل من المكتبات ليس فقط في الغرب الإسلامي وحسب بل في مجمل العالم الإسلامي ينظر عبد الحي الكتاني : تاريخ المكتبات الإسلامية ومن آلف في الكتب، ضبط وتعليق أحمد شوقي بنين وعبد القادر سعود، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، نشر المكتبة الحسنية بالرباط، الطبعة الثانية، 2005م.

2 - ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1420هـ / 1999م، ص 238.

على تدوين العلوم المختلفة<sup>3</sup>، فبدأت الكتب تحتل مكانة متزايدة بشكل تدريجي بين فئات مجتمع الغرب الإسلامي إلى جانب الحفظ والرواية الشفهية<sup>4</sup>.

لم تتردد نصوص الفترة في الإفصاح عن دور الدولة في انتعاش الحركة الورقية، سواء من حيث التشجيع على التأليف<sup>5</sup>، أو البحث عن الكتب وتخصيص ورصد أموال طائلة لجلب النوادير منها من أصقاع بعيدة. ولاشك أن انتشار استعمال الورق والوراقة هياً تربة خصبة لرواج الكتاب، وعلى الأخص بين أبناء الطبقة الميسورة والفئة الوسطى، نظراً لما حظي به من قدرة على جلب للهيبة والعظمة تجاوزت أحياناً أبهة الإمارة والولاية<sup>6</sup>.

3 - جُمع القرآن على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه فيها سمي بـ "مصحف عثمان"، ثم فيما بعد جمع الحديث في مجموعة من الصحاح والأسانيد، استناداً إلى قوله صلى الله عليه وسلم : "قيدوا العلم بالكتاب"، الخطيب البغدادي (ت 463 هـ / 1070 م): تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، الطبعة الثانية، 1974، ص 68. ولما انتشر الإسلام واتسعت الأمصار وتفرق الصحابة في الأقطار، وحدثت الفتن، واختلاف الآراء وكثرت الفتاوى، أخذوا في تدوين الحديث والفقه وعلوم القرآن، واشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط، وتمهيد القواعد والأصول وترتيب الأبواب والفصول وتكثير المسائل بأدلتها وإيراد الشبهة بأجوبتها وتعيين الأوضاع والاصطلاحات وتبيين المذاهب والاختلافات وكان ذلك مصلحة عظيمة وفكرة في الصواب مستقيمة فأروا ذلك مستحباً بل واجباً لقضية الإيجاب المذكور مع قوله : "العلم صيد والكتابة قيد قيدوا رحمكم الله تعالى علومكم بالكتابة. مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ / 1992 م، ج 1 ص 33-34.

4 - رغم ما ساد في القرنين الأولين من بداية الدولة الإسلامية من تخوف من ترك الحفظ، فقد تم حث الناس على حفظ السنن نظراً لقرب الإسناد، ونهي عن الانكال على الكتاب لأن ذلك حسب اعتقاد الخطيب البغدادي يؤدي إلى اضطراب الحفظ حتى ييطل. ولهذا احتج بها نسب إلى سفيان الثوري قوله "بئس المستودع العلم القراطيس" رغم أنه كان يعتمد على الكتاب احتياطاً واستيثاقاً. تقييد العلم، ص 58.

5 - ارتبط هذا التشجيع من لدن الدول المركزية بتوجهها المذهبي، إذ تم الاهتمام على عهد المرابطين بكتب المذهب المالكي على وجه الخصوص، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ / 1998 م، ص 122. أما في العهد الموحيدي فقد تم الاهتمام بكتب الحديث بشكل لم يسبق له مثيل لدى الأسر الحاكمة في أقطار العالم الإسلامي خلال الفترة الوسيطة، ويظهر هذا الحرص في قيام الخلفاء الموحيدين بتعليم الحديث بأنفسهم، فالمهدي بن تومرت كان يدرس الحديث برباط هرغة منذ سنة 515 هـ، وفيه أمل موطأ الإمام مالك على تلميذه عبد المؤمن وغيره، وهذا الأخير أملاه بمراكش سنة 544 هـ بعد أن تم القضاء على المرابطين.

للمزيد من الاطلاع على موضوع مظاهر تشجيع الموحيدين لكتب الحديث يرجع إلى أسكان الحسين : جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7 هـ إلى القرن 9 هـ / 13-15 م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط، السنة الجامعية 1987-1988 م، (رسالة مرقونة)، ص 102 وما بعدها. الحسين عبد الهادي أحمد، مظاهر النهضة الحديثة، طبعة إحياء التراث الإسلامي، 1982، ص 287. أحمد الصديقي: الكتب والمكتبات ببلاد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، مساهمة في دراسة موقف المجتمع من القراءة، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في التاريخ، بجامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، الموسم الجامعي 2002-2003 م، (بحث مرقون). ص 60-73. وللباحث نفسه: الكتاب بالمغرب والأندلس إسهام في دراسة انعكاسات ثقافة الكتاب على المجتمع، من القرن 6 هـ / 12 م إلى القرن 8 هـ / 14 م، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، بجامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، الموسم الجامعي 2010-2011، (رسالة مرقونة)، ص 176-185.

6 - ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1398 هـ / 1978 م، ص 34.



وعلى الرغم من ارتفاع أثمان الكتب في بعض الأحيان أو جلبها من خارج بلاد الغرب الإسلامي، فإن اقتناءها وجلبها كلف أموالا طائلة ؛ يذكر ابن بشكوال أن سلمة بن سعيد (ت 406هـ/1015م) "ساق من المشرق إلى بلاد الأندلس ثمانية عشر حملا مشدودة من الكتب.. وكانت في كل فن من العلم، ولم يتم له ذلك إلا بهال كثير حمله إلى المشرق"<sup>7</sup>، مما حصر امتلاكها في فئات اجتماعية محظوظة اقتصاديا<sup>8</sup>، استطاعت أن تكون لنفسها خزائن خاصة للكتب، في وقت برزت فيه نزعة المباهاة بنوادير الكتب والمخطوطات، وجمعها على شكل خزائن أنشئت لهذا الغرض<sup>9</sup> بهدف تلبية رغبات بعض أفراد هذه الفئات أو لإشباع حاجاتها من القراءة ؛ كما هو شأن الحكم المستنصر الأموي (350-365هـ/961-976م) ؛ إذ يصف ليفي بروفنصال ولعه بجمع الكتب بقوله : "إن شبكة حقيقة لحسابه من الباحثين والسامرة والنساخين قد انتشرت، وأخذت تتابع تحرياتها عن التآليف في طول العالم الإسلامي وعرضه"<sup>10</sup>.

ولم يقتصر الأمر على اقتناء الكتب أو الرحلة في طلبها لتراكم هذا الرأسمال الرمزي بل تعددت طرق جلبها حيث شاع نسخ الكتب وعرضها في الأسواق للبيع والاتجار بها، وقدمت أحيانا كهدايا ؛ حيث أهدى أحد خلفاء الموحدين لأبي موسى الجزولي (ت 607 هـ/ 1210م) "دارا تشتمل على خزانة كتب"<sup>11</sup>، كما تحولت ملكية الكتب والخزائن عن طريق المصادرة ؛ كما حدث لخزانة كتب أبي الحجاج المراني على عهد يوسف بن عبد المؤمن الموحي (559-580 هـ/ 1163-1184م)<sup>12</sup>، وفي الوقت ذاته ذاعت ظاهرة وقف الكتب ؛ حيث بدأت بوادر هذه الظاهرة في الانتشار منذ القرن 4هـ/10م ؛ يذكر صاحب الذيل والتكملة أن أمانة الكاتبة جارية الحسن بن حي (ت 305 هـ/ 918م) اشتهرت بكتابة المصاحف وتحبسيها<sup>13</sup>. كما كان قاسم بن سعدان بن إبراهيم من أهل رية بالأندلس

7 - ابن بشكوال : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ج 1 ص 136.

8 - أحمد الصديقي، الكتاب بالمغرب والأندلس، ص 425.

9 - محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي محاولة تنظير، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980م، ج 1 ص 150.

10 - ليفي بروفنصال : حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د. ت)، ص 69.

11 - ابن عبد الملك : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر 8، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984م، ص 8، ص 29. محمد بن عبد الهادي المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطابع الأطلس، 1992م، ص 197.

12 - عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 168.

13 - ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ص 8 ق 2 ص 484.

(ت347هـ/958م) أشد الناس اعتناء بالكتب "ولم يزل في نسخ ومقابلة إلى أن مات [...] وحبس كتبه فكانت موقفة عند محمد ابن أبي دليم"<sup>14</sup>. كما شاع انتقال ملكية الكتب عبر عامل الإرث ؛ إذ ورث أبو بكر بن علي القرشي المقرئ (ت759هـ/1358م) عن عائلته رغم اشتغالها بالتجارة خزانة كتب ضخمة<sup>15</sup>.

وقد تضافرت هذه العوامل وغيرها على تخصيص أماكن خاصة كجزء من قصر أو بيت أو مؤسسة، اتسم بطابع فكري وحمل مدلولات ثقافية، أطلق عليها اسم خزانات الكتب أو المكتبات أو دور الكتب<sup>16</sup>، وسواء ارتبط امتلاكها بالأفراد أو بوقف الكتب على المؤسسات الدينية والثقافية، فيمكن إجمالها في نوعين أساسيين : خزانات الكتب عند خاصة المجتمع وأخرى عامة.

### أولا : خزانات الكتب عند خاصة المجتمع :

#### 1 - خزانات الكتب بالقصور<sup>17</sup> :

يعكس هذا النوع من الخزانات اهتمام الدولة ومكوناتها بالكتاب شكلا ومضمونا، فقد تبارى أغلب حكام الدول المستقلة لإنشاء الخزانات واقتناء الكتب<sup>18</sup>، وتحولت أحيانا إلى رمز للمباهاة والتفاخر، مما هوّن سبل الكتب سواء بطرق مشروعة أو غير مشروعة، عبر الاقتناء والإشراف على رسم التأليف تارة، أو المصادرة والنهب تارة أخرى. ورغم الطابع الخاص الذي تميزت به خزانات الكتب بالقصور فإنها تميزت عن غيرها من خزانات الخواص بضخامتها من جهة، ومن جهة ثانية

14 - ابن عسكر، أعلام مالقة، ص 336. أحمد شوقي بنين : دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبلوغرافي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 7، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1993م، ص 39.

15 - ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله (ت776هـ/1374م) : الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1395هـ/1975م، ج 2 ص 191-194.

16 - احتفظ العلامة محمد المنوني باسم "دور الكتب" للدلالة على مصطلح الخزانات والمكتبات، إلا أنه اقتصر على استعمال المفهوم على عنوان الكتاب فقط، وركن إلى استعمال المفاهيم الأخرى الشائعة (الخزانات والمكتبات) في متن الكتاب. ينظر كتابه دور الكتب في ماضي المغرب، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، نشر الخزانة الحسنية، الطبعة الأولى، 2005م.

17 - عبرنا عن هذا النوع من المكتبات بخزانات الكتب بالقصور لكونها تجمل جل الأنشطة السياسية للملك والإمارة والخلافة ببلاد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، إلا أننا لا نقلل من أهمية بعض التعاريف ذات الصلة بطبيعة الأنظمة السياسية مثل "المكتبات الخلافية" عند محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص 108، أو "المكتبات الملكية" عند الدكتور أحمد شوقي بنين.

Chouqui Binebine : Histoire Des Bibliothèques Au Maroc, Université Mohammed V, Publication de la faculté des lettres et des sciences humaines- RABAT. Série : Thèses et Mémoires N° 17. 1992. P : 36.

18 - محمود إسماعيل : السوسيولوجيا، ج 1 ص 150-151.



احتضانها لعدد هائل من الوراقين، يرأسهم في الغالب صاحب خطة المحافظة على الكتب بالخزانة، ويراعى فيه جملة من الشروط كان أهمها العلم بتدبير هذا المجال، فضلا عن الباع الكبير والواسع في مجال المعرفة الدينية والطبيعية<sup>19</sup>، على خلاف خزانات الكتب عند الخاصة التي أبدع أصحابها في صيانتها واقتناء وترتيب وتدبير محتوياتها.

وتعتبر خزانة كتب الأسرة الأموية بقصر قرطبة بالأندلس مثالا واضحا لاهتمام الأسر الحاكمة بتجميع وصيانة الكتب منذ عهد مبكر ببلاد الغرب الإسلامي، حتى استطاع الخليفة الأموي الحَكَم الثاني (350-365 هـ / 961-976 م) أن يجمع لها من الكتب ما لا يعد ولا يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل فيها "إنها كانت أربعمئة ألف مجلد"<sup>20</sup>، أما فهرستها التي اقتضت على ذكر العناوين وأسماء المؤلفين فقط، فقد ملأ أربعين قائمة، وكل قائمة تحتوي على خمسين صفحة<sup>21</sup>.

ونظرا لرغبة الحكم الثاني الملحة في جمع الكتب القيمة والنادرة لخزائنه في أقل وقت ممكن، فقد أرسل المبعوثين إلى القاهرة ودمشق وبغداد ومدن أخرى اشتهرت بتجارة الكتب، بهدف اقتنائها ولو بأثمان مرتفعة ومكلفة<sup>22</sup>، فضلا عما قام به من إجراءات إضافية أخرى لجمع ذلك العدد الهائل من الكتب والمصنفات.

وعلى الرغم من قلة اهتمام المصادر بشأن خزانات الكتب بقصور الأمراء المرابطين، فابن خلدون يشير إشارة غامضة إلى خزانة كتب أقامها يوسف بن تاشفين (452-500 هـ / 1060-1106 م) بمراكش<sup>23</sup>، ونرجح ما أشار إليه أحد المهتمين<sup>24</sup> من كون محتويات هذه الخزانة - في الغالب - كانت من بقايا خزانات ملوك الطوائف وخزانة الأمويين بقرطبة - السالفة الذكر -. ويعتبر دخول المصحف العثماني إلى المغرب زمن يوسف بن تاشفين مثالا واضحا لهذا الترجيح، فضلا عن حفظ بعض الخزانات المغربية لبعض المخطوطات التي تحمل تمليكات لخلفاء وأمراء أمويين<sup>25</sup>، ولا نستبعد أن جل محتوياتها من كتب فروع المذهب المالكي.

19 - محمد المتوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1989 م، ص 184.

20 - المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408 هـ / 1988 م، ج 1 ص 395، وج 2 ص 184-185.

21 - ليفي بروفنصال : حضارة العرب في الأندلس، ص 69.

22 - ستييفيتش ألكسندر : تاريخ الكتاب، ترجمة محمد الأرنؤوط، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 169، رجب 1413 هـ / يناير 1993 م، ق 1 ص 245. ليفي بروفنصال : حضارة العرب في الأندلس، ص 69.

23 - أحمد شوقي بنين : دراسات في علم المخطوطات، ص 146.

24 - نفسه، ص 146.

25 - نفسه، ص 146. Chouqui BINEBINE ; Histoire Des Bibliothèques Au Maroc. Op.cit, P 37.

أما خلال العهد الموحي فقد تضخمت المكتبة المغربية، وامتألت بنفيس الدفاتر والذخائر، وصارت تقارب في بعض مظاهرها الخزانة الأندلسية إبان ازدهارها<sup>26</sup> وكانت على رأسها الخزانة الأميرية في مراكش، حيث وصفها أحدهم<sup>27</sup> بأنها أم الخزانات في العالم الإسلامي بكامله، وتمكن صاحب النفع<sup>28</sup> من حصر عدد كتبها في مائتي ألف كتاب، ضمت مجموعة من المعارف، وخاصة كتب الفلسفة<sup>29</sup> التي أمر يوسف بن عبد المؤمن (559-580 هـ / 1163-1184 م) بجمعها، فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي<sup>30</sup>، بل إنه لم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب<sup>31</sup> بشتى الطرق، وأهمها إشهار سيف المصادرة في وجه كل من امتلك نوادر الكتب، خاصة في ميدان الفلسفة، ليس خوفا من ضياعها كما يشير أحد الباحثين<sup>32</sup>، بل إلى حب التملك الشخصي، واحتضان هذا النوع من المعرفة والمباهاة والتفاخر بها، مع الرغبة في الاطلاع عليها، بل والتطلع إلى احتكارها، والتحكم في مستوى ذبوعها وانتشارها.

وإذا كان سلاح المصادرة أحد أساليب انتقال الكتب من مالك إلى آخر، فإنه لم يقتصر على كتاب أو اثنين يختصان بمجال معرفي معين، بل شمل أحيانا خزانات بكاملها ؛ وقد عبّر عن ذلك عبد الواحد المراكشي<sup>33</sup> بقوله: "أخبرني عبد الملك الشذوني أحد المتحققين بعلمي الطب وأحكام النجوم، قال: كنت في شيبتي أستعير كتب هذه الصناعة من أبي الحجاج يوسف المراني، كانت عنده منها جملة كبيرة وقعت إلى أبيه في أيام الفتنة بالأندلس، إلا أن خبرها أنني إلى أمير المؤمنين، فأرسل إلى داري وأنا في الديوان، وكان الذي أرسل كافور الخصي، وأمره ألا يروع أحدا، وألا يأخذ سوى الكتب ... ودخل هو بنفسه إلى خزانة الكتب فأمر بإخراجها".

26 - محمد المنوني : حضارة الموحدين، ص 182.

27 - أحمد شوقي بنين : دراسات في علم المخطوطات، ص 147.

28 - المقرئ : نفع الطيب، ج 1 ص 184 .

29 - حظر هذا النوع من الكتب خلال العهد المرابطي، فضلا عن كتب التصوف كما هو الشأن بالنسبة لإحراق "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي أيام المرابطين، وعلى العكس من ذلك فقد ضمت خزانات الكتب على العهد الموحي ألوانا شتى من المعارف والعلوم.

30 - عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 168.

31 - نفسه، ص 169.

32 - محمد المنوني : حضارة الموحدين، ص 183.

33 - المراكشي : المعجب، ص 168.



ولم يقتصر الخلفاء على مصادرة الكتب بل لم يدخروا جهدا في مطالبة العلماء بتأليف الكتب برسم خزائنهم<sup>34</sup>، وتقبلهم للمصنفات والمخطوطات كهدايا من قبل الكتاب والمؤلفين والمهتمين<sup>35</sup>؛ وذلك ما يتضح من خلال ما صرح به الإشبيلي من دوافع تأليف كتابه "التيسير في صناعة التفسير" وذلك برسم خزانة الخليفة يعقوب المنصور الموحيدي (580-596 هـ/ 1184-1199 م)، فضلا عن هدايا الولاة والعمال والتجار بل حتى من نظرائهم من الملوك والأمراء؛ إذ ورد عن صاحب الاستقصا - إن صحّ هذا القول - أن صلاح الدين الأيوبي قدم مصحفين جليلين كهدية للخليفة يعقوب المنصور<sup>36</sup>، كما طلب أبو سعيد عثمان من الملك القشتالي "أن يبعث إليه بما يجده في بلاده بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين ومصاحفهم، فبعث إليه منها ثلاثة عشر حملا فيها جملة من الكتب، ككتاب الله العزيز وتفسيره كابن عطية والثعالبي، ومنها كتب الحديث وشروحا كالتهذيب والاستذكار، وكتب الأصول والفروع واللغة والأدب وغيرها، فأمر رحمه الله بها فحملت إلى مدينة فاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التي كان بناها"<sup>37</sup>. فضلا عن دعم عمليات النسخ والشراء وغيرها من الأساليب التي أشرنا إليها سابقا.

ويبدو أن هذه الخزانات اتخذت شكلا آخر خلال العهد المريني، حيث بدأ يظهر ما يمكن أن نسميه بـ "ثقافة التخصص المكتبي" في مختلف ميادين المعرفة، كما هو الشأن بالنسبة لخزانة المصاحف التي أنشأها أبو عنان (ت 749 هـ/ 1348 م) بمدينة فاس، فقد "أعدّ فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجميلة السنية"<sup>38</sup>.

عموما فإن هذا النوع من خزانات الكتب يفصح عن اهتمام كبير بالكتاب لما يشكله من أداة للتفاخر والمباهاة، عكس نوعا من التفاوت الاجتماعي والاقتصادي داخل المجتمع، حتى أصبح

34 - يعدّ تقديم المؤلف مؤلفه لخزانة القصر بمثابة "الإيداع القانوني" للكتاب بالمفهوم الحديث للعبارة.

35 - الإشبيلي : التيسير في صناعة التفسير، تحقيق عبد الله كنون، فصلة من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع والثامن، 1959-1960، ص 9-10.

36 - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط 1، 1997 م، ج 2 ص 182.

37 - ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 475. ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421 هـ/ 2000 م، ج 7 ص 277. ويذكر عبد الحفي الكتاني أنه اكتشف صناديق هذه الكتب في خزانة جامع القرويين في الثلاثينيات من القرن العشرين. تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص 83-84.

38 - الجزنائي : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، الطبعة الثانية، 1411 هـ/ 1991 م، ص 76.

امتلاك الكتب "من آلات التعيين والرياسة"<sup>39</sup>، واختلفت الرغبة في امتلاكه بين حب القراءة والاطلاع وبين الاهتمام به كأداة للزينة والتباهي.

وقد ترجم هذا الاهتمام بخزانات الكتب تعيين أمناء وموظفين "وراقين ونظارين" يعتنون بها، والقيام بفهرستها وتصنيفها وتنظيمها حتى يسهل استعمال محتوياتها من قبل أصحابها وروادها ؛ وبهذا الصدد يشير المقرئ إلى أن "عدد الفهارس التي كانت بمكتبة الخليفة الحكم المستنصر الأموي أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط"<sup>40</sup>.

## 2 - خزانات كتب الخاصة (الأفراد والبيوت العلمية)<sup>41</sup> :

انتشر هذا النوع من المكتبات في جميع أنحاء بلاد الغرب الإسلامي، على الرغم من تركز أغلبها في بعض المدن الكبرى خلال فترات تاريخية معينة (انظر الجدول)، وقد حرص بعض المتنفذين داخل السلطة من فقهاء وولاة وغيرهم، وكذا بعض التجار والحرفيين على اقتناء الكتب، حتى شاع وصف أهل قرطبة بكونهم "أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، ويتنخب فيها ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به"<sup>42</sup>.

لا شك أن هذا الاهتمام بالكتاب خلق حركية واسعة لعمل الوراقة في بلاد الغرب الإسلامي، حتى إن بعض المعتنين بالكتب اشتغلوا أيضا بالنسخ، كالعلامة أحمد بن عباس بن أبي زكرياء (من أهل القرن 7هـ/13م) الذي برع في نسخ الكتب، وكان "ذا خط بديع مشتهرا بجمع الكتب، وتخزين نفائسها مغاليا فيها نفاعا من خطه بها لا يستخرج منها شيئا، لفرط بخله بها، إلا لسبيلها حتى لقد أثري كثير من الوراقين والتجار معه فيها، وجمع منها ما لم يكن عند ملك"<sup>43</sup>. كما اتصف محمد البطوئي التلمساني (ت 625هـ/1228م) بكونه "بارع الكتابة حسن الخط، جماعة للكتب الجليلة، مغاليا في أثمانها، احتوت خزائنه على ما لم يجتمع لأحد من أبناء جنسه كثرة ونفاسة"<sup>44</sup>.

39 - المقرئ : نفع الطيب، ج 1 ص 462-463.

40 - نفسه، ج 1 ص 387.

41 - نسميها "خاصة" لكونها تختص بأفراد معينين جعلوها للاستعمال الشخصي، وفي الغالب كان إنشاؤها من أموالهم الخاصة، ونعتقد أن محتوياتها كانت مقتصرة على المعارف التي كان يهتم بها أصحابها.

42 - المقرئ : نفع الطيب، ج 1 ص 462-463.

43 - ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1 ص 259-260.

44 - ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، ص 8، ص 318.

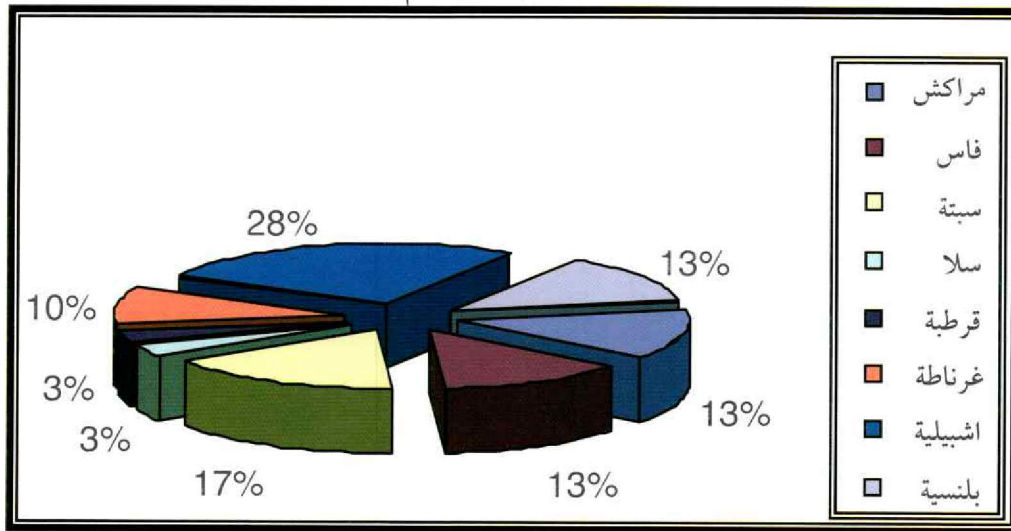


وتشير النصوص المصدرة إلى أن امتلاك الخزانات العلمية اقتصر في الغالب على البيوتات العلمية الثرية أو بعض الولاة والعمال، أو بعض التجار والحرفين من الطبقة الوسطى أو بعض المتنفذين.

جدول : أهم المدن التي احتضنت خزانات الكتب عند الخاصة بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن 12/هـ<sup>45</sup> :

| اسم المدينة      | مراكش | فاس | سبتة | سلا | قرطبة | غرناطة | اشبيلية | بلنسية |
|------------------|-------|-----|------|-----|-------|--------|---------|--------|
| عدد خزانات الكتب | 4     | 4   | 5    | 1   | 1     | 3      | 8       | 4      |

مبيان يوضح نسب توزع خزانات الكتب الخاصة بمدن المغرب الأقصى والأندلس خلال القرن 12/هـ م



45 - ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990م، ص 15. ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1987، ص 389. ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1 ص 183. المقرئ، نفح الطيب، ج 1 ص 385. 462. ج 2 ص 771. ابن سعيد الغرناطي : المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة، 1955م، ج 1 ص 261. ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، مطبعة الإقبال، بيروت، 1377هـ/1969م، ص 518. ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مطبعة الفحامين، القاهرة، الطبعة الأولى، 1351هـ، ص 96. 283. ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام اهراس، دار الفكر بيروت، 1995م، ج 1 ص 117. 315. ج 2 ص 153. محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ط 2، 1403هـ/1983م، ص 29. ابن الخطيب : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، (د.ت)، ص 146. الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م، ج 1 ص 134.

لقد توارثت مجموعة من البيوت العلمية خزانات الكتب، مثل بيت "بني الملجوم" الذي برز فيه علماء كبار على عهدي المرابطين والموحدين، وكانت لهم عناية وولع كبير بجمع الكتب النادرة والنفيسة<sup>46</sup>، وكونوا خزانات كتب ضخمة أشهرها خزانة عبد الرحمن بن الملجوم المعروف بابن رقية (ت 605هـ/ 1208م) التي بيعت كتبها غير المجلدة بمدينة فاس بستة آلاف دينار<sup>47</sup>، وقد جمعها مما ورثه من أبيه عيسى الذي كان جماعا للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، وأيضا من خزانة كتب أستاذه أبي عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي الجياني، ومما أضاف لهذه وتلك حيث صارت خزانة حافلة بالنفائس والذخائر<sup>48</sup>، وقد بلغت من الضخامة حتى صارت أكبر خزانة للكتب بالمغرب لذلك العهد<sup>49</sup>، وساعده على ذلك الوضعية الاقتصادية التي تمتع بها، حيث كان مدخوله حوالي ثلاثة آلاف دينار في كل شهر من رباعه بفاس<sup>50</sup>.

أما المتنفذون داخل السلطة، فلم يدخروا جهدا في إنشاء خزانات للكتب ؛ كما هو شأن أبي عبد الله محمد بن يحيى المسوفي (ت 609هـ/ 1212م) والي أعمال فاس على عهد الموحدين، والذي كان "معتنيا بالكتب، جمع منها ما لم يجمع غيره"<sup>51</sup>، كما أن طبيب الخليفة أبي محمد عبد الله بن غلندة (ت 581هـ/ 1185م) الذي استوطن مدينة مراكش "كانت له مكتبة ضمت كتب كثيرة"<sup>52</sup>.

واهتم الكثير من العلماء بجمع الكتب إما ولعا بجمعها، أو نظرا للاهتمام بالمصنفات التي يعولون عليها في إنجاز مؤلفاتهم أو مواكبة تكوينهم العلمي ؛ ولذلك اشتهر أحمد بن محمد المعروف بابن الرومية (ت 637هـ/ 1240م) بكونه "كثير الكتب، جماعا لها في كل فنون العلم، سمحا لطلبة العلم، ربما وهب منها للتمسك الأصل النفيس الذي يعز وجوده، وله في ذلك أخبار منبئة عن فضله وكرم صنعه"<sup>53</sup>. كما اشتهر الأديب محمد بن يحيى الغافقي (ت 433هـ/ 1042م) "بجمع الكتب والعناية

46 - ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، ص 8، ص 429، 539، 550.

47 - ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ق 2 ص 396. ابن أبي زرع : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 47.

48 - ابن الأبار : التكملة، ج 3 ص 52. ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ق 2 ص 262، 267، 281. محمد المنوني : حضارة الموحدين، ص 187.

49 - محمد المنوني : حضارة الموحدين، ص 187.

50 - ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 67-68.

51 - محمد المنوني : حضارة الموحدين، ص 188.

52 - نفسه، ص 188.

53 - ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1 ص 207.



بها، وقد وصف بحبه البالغ للكتب ومعرفته التامة بغرائبها ونفائسها، وقد بلغ من اهتمامه بالكتب أن أثرها على كل لذة حتى اجتمع لديه من الكتب ما لم يجتمع عند أحد بعد الحكم المستنصر<sup>54</sup>.

ومن جهتهم اهتم المتصوفة بالمصنفات والكتب، وأنشأ بعضهم خزانات خاصة، ويشير ابن قنفذ<sup>55</sup> إلى ذلك حين "دخل زاوية المتصوف الحاج عبد الغاني بسلا، فأنزله في بيت كتبه وناوله مفتاح خزانها" مما يشي باستقلاليتها وضخامتها وكبر حجمها.

وتجدر الإشارة إلى أن امتلاك خزانات الكتب بمجتمع الغرب الإسلامي لم يكن حكرا على المسلمين فقط، بل إن أسلوب التسامح والانفتاح الذي طبع -في الغالب- علاقة المسلمين بغيرهم سمح لليهود والمسيحيين بامتلاك خزانات كتب خاصة، إذ أشار بعضهم<sup>56</sup> إلى أن قسا كتب منذ القرن 3 هـ/ 9م يذكر أن المسيحيين "يقبلون على كتب العرب في هم وشغف، ويجمعون منها مكتبات تكلفهم الأموال الطائلة"، إما ولعا بالقراءة والاطلاع على تأليف المسلمين، أو حرصا على تزيين وتجميل بيوتهم بخزانات الكتب.

وثمة ما يشير إلى أن الوعي المبكر للسلطة السياسية بالدور الريادي الذي أصبح يلعبه الكتاب في تأثيره على تشكيل الوعي والثقافة في المجتمع، هو ما زاد من مستوى التوجس من مصنفات اليهود خاصة، لاسيما منذ أواخر القرن 5 هـ/ 11م، وذلك بسعيهم الخثيث وبتواطؤ مع بعض مسيحيي أوروبا إلى نقل الثقافة المكتوبة بالغرب الإسلامي إلى مناطق معادية بأوروبا، وهو ما يؤكد أدوارهم الطلائعية في مجال الترجمة من اللغة العربية إلى العبرية أو اللاتينية لاسيما في مجال كتب العلوم العقلية والطبيعية، وهو ما يفسر أيضا حرص الممالك الإفرنجية على استدعائهم ك مترجمين لهم<sup>57</sup>، في مقابل

54 - ابن الأبار : التكملة، 3 ص 251.

55 - ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقيير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة الرحلات (2) : زيارية (1) : 1965م، ص 84.

56 - ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام، ص 99. البشري سعد عبد الله صالح : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس 316-422 هـ/ 1030-928م، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعتها، 1417 هـ/ 1997م، ص 115.

Vernet Ginés (Juan), Ce que la culture doit aux Arabes d'Espagne, Edition Sindibad, 1989, pp : 123-124.

57 - إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص 108. محمد الغرايب : يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط من القرن 2 هـ إلى القرن 9 هـ/ 8-15م ؛ دراسة تاريخية اجتماعية، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز، فاس، السنة الجامعية 1421-1422 هـ/ 2000-2001م، (رسالة مرقونة)، ص 207.

ذلك بدأت تلوح بعض المواقف المتشددة أحيانا من قبل الفقهاء منذ العهد المرابطي بمنع بيع كتب المسلمين لليهود<sup>58</sup>، للحيلولة دون تهريبها أو انتحائها وانتسابها إلى غيرهم من اليهود<sup>59</sup>، كما أوعزوا إلى محتسبي الأسواق بمراقبة الكتب التي يبيعها اليهود والنصارى، مع الحفاظ على هامش السماح لهم بامتلاك كتب ملتهم<sup>60</sup>.

ويبدو أن معظم الكتب التي انتسخت وحفظت بخزانات خاصة خلال العصر الوسيط غلب عليها الطابع الديني ؛ فاحتلت المصاحف بها مكانة مبدئية بخططها الجميلة، وتجليدها النفيس، وإلى جانب ذلك يشير أحد الباحثين<sup>61</sup> أن جل هذه الخزانات ضمت إلى جانب ذلك كتب الفلك والتاريخ والطب والرياضيات والحقوق وبقية العلوم، فضلا عن الكتب ذات الطابع الأدبي أو اللغوي.

### ثانيا : خزانات الكتب العامة :

رددت المصادر الوسيطية هذا النوع من خزانات الكتب، نظرا لكونها فتحت أبوابها في وجه عامة الناس من جهة، ولتعدد المتدخلين لارتباطها بظاهرة الوقف والتحييس من جهة ثانية، سواء من قبل الأمراء أو بعض الخواص، مما ميزها عن النوع السابق بمسألتي العمومية والوقف.

وإذا كانت بعض الأبحاث الجادة في هذا المجال<sup>62</sup> تؤكد على الطابع العمومي لخزانات الكتب المغربية عامة ؛ إذ فتحت خزانات البلاط أبوابها في وجه بعض الخواص من العلماء والكتاب والمتنفذين، كما كانت خزانات بعض الخواص ملجأ الطلاب والأصدقاء للاعتراف من معينها، إلا أنه رغم تعدد روادها فإنها طبعت بطابع الخصوصية الذي تحكم في تدبير عملية الاستفادة منها.

وإذا كنا لا نقلل من رجاحة هذا الرأي ووجهته، فإننا نعتقد أن امتلاك خزانات الكتب عكس تفاوت اجتماعيا واقتصاديا واضحا، فضلا عن التوجس والخوف من ضياع بعضها أو جلعها بالنهب والمصادرة، الأمر الذي كان يدفع بأصحابها أحيانا إلى التكتم عنها وإخفائها<sup>63</sup>، مما جعل هذا

58 - ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص 49.

59 - إبراهيم القادري : مباحث، ص 108.

60 - عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، ص 112.

61 - ألكسندر : تاريخ الكتاب، ق 1، ص 239.

62 - Chouqui Binebine ; Histoire Des Bibliothèques Au Maroc. Op.cit, p: 49-50.

63 - عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 168-169.



النوع من خزانات الكتب امتدادا لسبل محاولة استمالة الأمراء والخاصة لشريحة العامة بتوفير خزانات للطلاب، الذين عانى أغلبهم من أوضاع اجتماعية واقتصادية مزرية، فلم يتمكن الكثير منهم من تسديد تكاليف شراء الكتب بالخصوص، ولكن إنشاء خزانات الكتب بالمدارس والمساجد والزوايا، سواء من خلال المبادرات الرسمية أو الخاصة، خلال النصف الثاني من فترة هذه الدراسة، عن طريق الوقف والتحبيس أساسا<sup>64</sup>، فضلا عن عملية الإيواء، حيث هيأت هذه الظروف نسبيا جوا مساعدا على متابعة واستكمال مراحل الدراسة.

وفي هذا الصدد يشير العلامة محمد المنوني<sup>65</sup> إلى كون خزانة الكتب التي أنشأها يعقوب المنصور في مراکش كانت لها صبغة عمومية، ولعلها الخزانة التي أشار إليها أحد الجغرافيين<sup>66</sup> خلال القرن 10هـ/16م بقوله : "والقصر الذي كانت فيه خزانة الكتب استعمل جناح منها للدجاج، وآخر للحمام وأصبحت الخزانات التي كانت توضع فيها الكتب أقفاصا لهذه الطيور"، وإذا صح طابع العمومية لهذه الخزانة فإنه يعني أن المبادرة الرسمية خلال العصر الموحي قد سبقت زمينا مبادرات الخواص من الأفراد.

ويبدو أن هذه الظاهرة كانت أكثر وضوحا خلال العصر المريني، سواء من حيث قصدية الوقف أو الإشارة إلى أنواع المعارف والعلوم التي ضمتها الخزانات، ويظهر ذلك في وقفية أبي عنان لخزانة علمية سنة 750هـ/1349م على مسجد القرويين بفاس، جاء فيها أن السلطان المريني المذكور "أنشأ هذه الخزانة الحميدة الجامعة للعلوم الحميدة ... المحتوية على أنواع العلوم الواجب التنظيم بها ... وقفا مؤبدا لجميع المسلمين حرصا منه على طلبه وإظهاره وإتقانه واشتهاره، وتسهيلا لمن أراد

64 - مستندين في ذلك لقول الرسول ﷺ "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" سنن الترمذي حديث رقم 3699، وجاء في الصحيح من حديث ابن عمر : "أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخير، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به، قال : إن شئت حبست أصلها وتصدق بها، قال: فتصدق بها عمر ؛ أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيء، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير مُمَمَّول" صحيح البخاري حديث رقم 2737. وبذلك فإن الوقف والتحبيس عامة من أعمال البر والإحسان التي رغب فيها الإسلام، قال تعالى "وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (سورة الحج، الآية 77)، ووضع لها شروطا مقيدة تضبطها، لكي لا تخرج عن مسار أهدافها وغايتها.

65 - ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، الجزء الرابع، 2001م، ج 1 ص 184.

66 - الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 1 ص 134.

القراءة والنسخ والمقابلة...<sup>67</sup>. كما أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من العلوم كعلوم الأديان والأبدان واللسان وغير ذلك من العلوم على اختلاف أنواعها، وعيّن لها من يضبطها<sup>68</sup>.

أما المبادرات الخاصة في عملية وقف خزانات الكتب، فيشير أحد الباحثين<sup>69</sup> - على الرغم من تحفظه - إلى أن الذي أسس أول مكتبة عمومية بالمغرب - بمبادرة شخصية - هو أبو الحسن الشاري (ت 649هـ / 1251م) بتحبيسه خزانة مدرسته الشهيرة بسبتة.

فقد نُسبت هذه الخزانة لمؤسسها أبي الحسن علي بن محمد الغافقي السبتي المعروف بالشاري، وقد وصفته المصادر بكونه "شغوفا بجمع الكتب مغرما بتملكها، فأنشأ مكتبة عظيمة جمعت من الأعلام النفيسة وأمهات الدواوين شيئا عظيما، ولقد نafs فيها وغالى في أثمانها، وربما رحل في ذلك حتى حصل منها ما لم يكن عند أحد من أبناء عصره، ولا تحصل عند كثير ممن تقدمه"<sup>70</sup>. "فحبسها في مدرسة أحدثها بجوار باب القصر، أحد أبواب بحر سبتة"<sup>71</sup>، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل عيّن لها أطرا تنظيمية تسهر على تدبيرها وتسييرها، سالكا في ذلك طريقة أهل المشرق، فاختار لها مداخيل خاصة "من خيار أملاكه، وجيد رباعه، جملة وقفها عليها"<sup>72</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن وقف الكتب على الخزانات تم إما بالطريقة المشار إليها سابقا بتحبيس خزانة كتب كاملة وجاهزة دون مساهمة أو مساعدة خارجية؛ كما فعل أبو الحسن الشاري بسبتة، أو بمبادرة بعض الأمراء مثل أبي عنان الذي حبس على جامع القرويين "جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجميلة، وأباحها لمن أراد القراءة فيها بعد أن كتب على جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام والليالي والأيام"<sup>73</sup>، فضلا عن أخرى مماثلة وقفها على جامع الأندلس بفاس.

67 - عبد الهادي التازي : جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1973م، ج 1 ص 331.

68 - ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ق 1 ص 73.

69 - محمد المنوني : حضارة الموحدين، ص 184.

70 - ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ق 2 ص 308. مدح أبو الحسن بن إسماعيل الأغياتي أبو الحسن الشاري قائلا :

بنيت لأهل الغرب مجدا وسوددا ❀ وفخرا على الأيام يبقى مؤيدا

ومدرسة للعلم قلدت جيدها ❀ من الكتب الأعلاق درا منضدا

نفائس كتب لو تصدى لجمعها ❀ أخو جدة فذ المعارف أجهدا

ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، س 8، ص 199.

71 - ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، س 8 ق 1 تر 12 ص 197.

72 - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

73 - ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ق 1 ص 74. الجزنائي : جنى زهرة الآس، ص 76.



أما الطريقة الثانية فقد تمت بمساهمة بعض من خاصة المجتمع لإغناء مجموعة من الخزانات بالمساهمة بكتاب أو أكثر، كما فعل ابن خلدون عند تحبيسه لكتابه "العبر" على مكتبة جامع القرويين سنة 799هـ/1397م<sup>74</sup>.

ويتضح من خلال النصوص أن تحبيس الكتب والخزانات خلال العصر الوسيط اقتصر على المؤسسات ذات الطابع الديني والثقافي كالمدارس والمساجد والزوايا، ويبدو ذلك واضحا خلال العهدين الموحدى والمريني، إذ حبست الخزانات على جل مدارس الفترة، بل إن بعض المدارس حظيت بأكثر من واحدة، كالمدرسة الجديدة في سبتة التي احتضنت خزانتي<sup>75</sup> أنشأهما أبو الحسن المريني (ت732هـ/1332م).

ولا نستبعد أن انتشار خزانات الكتب خلال هذه الفترة ارتبط بانتشار المدارس بالغرب الإسلامي، حيث أصبح لمدارس البوادي خزاناتها أيضا، مثل خزانة مدرسة علم الكلام بجبل بني يرزو التي بلغت قيمة كتبها خلال بداية القرن 10هـ/16م أربعة آلاف مئقال<sup>76</sup>.

ولعل ارتباط هذه الخزانات بالطلبة والأساتذة في المدارس، أضفى عليها نوعا من الخصوصية، باستثناء خزانات المساجد التي فتحت في وجه العموم، وقد تم الاهتمام بهذه الأخيرة بشكل كبير خلال مرحلة فتور حركة بناء المدارس المخزنية بالمدن، مما أقصر عملية تحبيس خزانات الكتب على الجوامع الكبرى بالخصوص<sup>77</sup>.

ويبدو أن هذه الخزانات ارتبطت بالمدن المشهورة بالغرب الإسلامي، إذ لم يكن الاهتمام بالكتب في الأندلس وفقا على مدينة قرطبة، بل تعداها إلى مدن أخرى وفي مقدمتها إشبيلية وطليطلة ومرسية وغرناطة وغيرها، ويذكر أن المدينة الأخيرة ضمت سبعين خزانة عامرة غير الخزانات الخاصة<sup>78</sup>.

74 - انظر نص وقفية كتاب "العبر" وتحليل مضامينها عند، أحمد شوقي بنين : دراسات في علم المخطوطات، من ص 41، إلى ص 54.

75 - الأنصاري : اختصار الأخبار، ص 30. أسكان الحسين : جوانب من تاريخ التعليم، ص 77.

76 - الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 1 ص 259.

77 - نفسه، ص 77.

78 - سامية مسعد : الوراقة والوراقين في الأندلس من عصر الخلافة حتى نهاية عصر الموحدين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2000م، ص 20.

أما ببلاد المغرب فقد احتضنت مدنه الكبرى مجموعة من دور الكتب، مثل مدينة مراكش ومكناس<sup>79</sup> وسلا وسبتة، وتفردت مدينة فاس باحتضانها لأهم خزانات الكتب، خاصة بعد بداية احتلال مدينة سبتة من قبل الإيبيريين<sup>80</sup>.

وبديهي أن خزانات الكتب العامة خضعت لقوانين تقنن وتنظم استعمال محتوياتها من الكتب، وشدد على ذلك محتوى وقفيات محبسيها<sup>81</sup>، خوفا من ضياعها أو العبث ببعض محتوياتها؛ الأمر الذي يبرر حزم ابن خلدون فيما صرح به في وقفيته لكتاب "العبر" على خزانة جامع القرويين، مشددا على أن "لا يخرج من حرمها إلا لثقة أمين، برهن وثيق لحفظ صحته، وأن لا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين"، وهي المدة التي تتسع لنسخ الكتاب المستعار أو المطالعة، ثم يعاد إلى موضعه. كما اشترط البعض عدم السماح بحمل الكتب خارج أسوار الخزانة حفاظا وصونا لها؛ وذلك ما يؤكد أبو الحسن المريني على ظهر نسخة "البيان والتحصيل" التي حبسها سنة 728 هـ على مدرسة الأندلس بفاس، حيث خصصت: "للمطالعة والمقابلة والدرس والنسخ من غير إخراجها منها"<sup>82</sup>. ولضمان ذلك حرص البعض على تعيين نظراء لها، أوكلت لهم مهمة تسييرها وتديرها؛ كما هو شأن أقدم خزانة عامة محبسة بالجامع الأعظم بسبتة<sup>83</sup>، إذ عين أبو القاسم بن عمران الحضرمي (ت 750 هـ / 1349 م) ناظرا لها منذ لحظة إنشائها، وأعطيت لهم صلاحيات واسعة في مسألة التدبير، قد تتناقض أحيانا مع محتوى وقفية بعض الكتب؛ فبالرغم من تشديد ابن خلدون على تقنين الاستفادة من كتابه "العبر"، إلا أنه ترك صلاحيات سبل الاستفادة منه لناظر الخزانة ف"جعل النظر في ذلك لمن له النظر على خزانة الكتب المذكورة"<sup>84</sup>.

وعلى الرغم من أن المحبسين وضعوا شروطا للحفاظ على هذه الخزانات، إلا أنها عرفت تجاوزات عدة، وسلوكات هجينة خالفت رغبات المحبسين؛ إذ كان بعض المدرسين والطلبة يستعرون الكتب منها لأنفسهم أو لغيرهم دون ضمانات محددة<sup>85</sup>، مما تسبب في ضياع العديد منها.

79 - ذكرت خزانة الجامع الأعظم بمكناس بصدد وفاة أبي الفتوح المغيلي سنة 818 هـ، أسكان الحسين : جوانب من تاريخ التعليم، ص 78.

80 - أسكان الحسين : جوانب من تاريخ التعليم، ص 78.

81 - أحمد شوقي بنين : دراسات في علم المخطوطات، ص 41-42.

82 - محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم : 2، الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1991 م، ص 50.

83 - أسكان الحسين : جوانب من تاريخ التعليم، ص 77.

84 - أحمد شوقي بنين : دراسات في علم المخطوطات، ص 41-42.

85 - الونشريسي : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1401 هـ / 1981 م، ج 7 ص 340.



قصارى القول ؛ لقد أسهمت الخزانات العامة بشكل كبير في التخفيف من حدة التفاوت الثقافي والاجتماعي الذي اتسم به مجتمع الغرب الإسلامي خاصة بالمدن، بل وتمكنت من استيعاب يد عاملة لا يستهان بها من نظار ونساخين ومسفرين وغيرهم.

يستنتج من ذلك كله أن التطور الذي طرأ على خزانات الكتب بالغرب الإسلامي، يعد انعكاساً أميناً للدور الريادي لحرفة الوراقة، وبالأثر الإيجابية التي خلفها تداول الكتاب على أوسع نطاق، وبين مجمل الفئات الاجتماعية، مما أسس لثقافة إنشاء خزانات الكتب، لاسيما بالقصور خاصة في المرحلة الثانية من عمر الدولة حسب التعبير الخلدوني حيث الأمن العام والاستقرار، فأصبح امتلاك الكتب وإنشاء خزانات لها في هذه المرحلة التاريخية يعد تنافساً حول رؤى ومشاريع فكرية تناغمت مع طبيعة التفاوت الاجتماعي والاقتصادي والتنوع الثقافي داخل المجتمع. وعكست المرحلة الأخيرة من عمر الدولة تغير هذه الوضعية، وذلك بتعرض الكتاب والخزانات بشكل عام إلى المصادرة والعبث، فيسري على هذا الإرث ما يسري على أثمن الممتلكات، فضلاً عما يتعرض له المخطوط بحكم خصوصيته من حرق وإتلاف.





## خزانة فجيج في عيون الرحالين المغاربة

الأستاذ محمد بوزيان بنعلي

سبق لي إنجاز عدة مقالات في التعريف بخزانة فجيج<sup>1</sup> التي أطلق عليها مؤسسها الإمام سيدي عبد الجبار - رحمه الله تعالى - اسم "دار العدة"، تصميمًا منه على تكثير عدد كتبها، ورغبة ملحّة في تنويعها، وجعلها نقطة جذب علمي، يعتد بمشمولاتها في سائر الجنوب الشرقي، كما يعتد بخزانات الحواضر الكبرى، فاس ومراكش وتلمسان وسواها .. وحتى يحقق هذا الهدف الأسمى جعلها خزانة حبسية عامة، ونظمها تنظيمًا محكمًا، بحيث لا يتطرق إليها خلل، وأوصى بنيه من بعده على الزيادة فيها، وإغنائها بكل نفيس مختار .. وقد استمرت على الصفة التي ارتضاها لها ما يربو على قرنين ونصف .. ثم دب فيها الضعف، واهتز حالها على نحو ما سجلته بحزن وكدر كتب الرحلات المغربية، التي تعتبر أهم مصدر مكتوب أرخ لها، وتتبع أطوار قوتها وضعفها، وكشف عن محتوياتها .. وهي عمدتنا في هذا المقال، الذي قسمناه إلى عدة مباحث مركزة هي :

### • بداية الخزانة ووسائل إثرائها :

الشائع في الرواية الشفوية أن الإمام عبد الجبار دشن خزائنه بحمولة حوالي أربعين بعيرا كتبها، جمعها من ها هنا وهناك في سفر واحد طويل. ولقد كنت أستثقل هذا الرقم، وأعتبره من المبالغات التي لن يقبل القارئ مني نقلها، حتى فتح الله علي بأول قطعة كانت مفقودة من رحلة أبي العباس الهلالي (ت 1175هـ)<sup>2</sup>، فوجدته يشير إلى ما ينهض دليلا على أن الرواية قديمة، وأنها من الأخبار التي توارثها أهل فجيج كابرا عن كابر، قال : "فقد ذكروا أن عدة ما خلف سيدي عبد الجبار وأولاده من الكتب ثلاثة آلاف مجلد، والله أعلم"<sup>3</sup>. وهذا العدد قد لا ينزل عن الأحمال المعلنة إن لم يتجاوزها.

1 - من هذه الدراسات :

- دار العدة بفجيج - دعوة الحق - عدد 248، ص : 95-102.

- من نواذر المخطوطات بخزانة الإمام عبد الجبار الفكيكي - دعوة الحق - عدد 254، ص : 114 - 120.

- مخطوطات خزانة آل عبد الجبار بفجيج - مجلة آفاق الثقافة والتراث الإماراتية - السنة التاسعة - العدد 35 - رجب 1422/أكتوبر 2001 - ص : 114 - 124.

2 - أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي (1113-1175هـ) من أشهر علماء المغرب، خلف وراءه عددا من المصنفات، منها رحلته التي كانت مفقودة إلى وقت قريب، وقد عثرنا على جزء مهم منها، حققناه، وسيرى النور قريبا إن شاء الله.

3 - الرحلة، مصورة عن مخطوطة خاصة.

بعد النشأة والتثبيت جاءت مرحلة الإمداد والإثراء، وكان الإمام عبد الجبار أول من قادها بشكل يكشف عن ولعه بالأصول والأمهات، والمتقن والمجود. وقد فعل مثله أبنائه وحفدته الأوائل؛ فسعوا إلى البحث عنها في المشرق والمغرب، واقتنائها بأي ثمن؛ ومن هنا جاء الحضور القوي للخطوط المختلفة: مشرقية ومغربية وأندلسية، والنسخ العزيزة النادرة بين كتب الخزانة كبرنامج أبي جعفر اللبلي<sup>4</sup>، وشفاء القاضي عياض بخط محمد بن أحمد بن أبي جبل، مقابلاً بأصل الفقيه الأستاذ الضابط المحقق أبي عبد الله الطراز<sup>5</sup>، وموطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي<sup>6</sup>. كما نلاحظ كثرة المؤلفات المشرقية بخطوط مغربية، تمثل لها بنماذج قليلة نختارها من مختلف الحقول المعرفية لتكون دليلاً إضافياً على غنى الخزانة وتنوعها:

\* العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام، وهي العمدة الصغرى، تأليف الشيخ المحدث الإمام تقي الدين أبي محمد عبد الغني المقدسي<sup>7</sup>، نسخ عشية يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ثمان وتسعمائة، على يدي الفقير عبد الله بن عمر بن عبد الله السليمان المغربي بوادي غريس<sup>8</sup>.

\* تأليف في شرح معاني القصيدة العرفانية التي أنشأها نجم الدين محمد بن إسرائيل الدمشقي<sup>9</sup>، ومطلعها (بحر الطويل):

وَقِي لِي مِنْ أَهْوَاهِ جَهْرًا بِمَوْعِدِي فَازْعَجْ عَذَالِي عَلَيْهِ، وَحُسْدِي

4 - وهو برنامج الصغرى، حققته مؤخرًا، وتم نشره: مطبعة إسبارطيل - طنجة - ط 1/ 2011.

5 - أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علي الأنصاري الأندلسي الإمام العلامة المقرئ المجود الحافظ المحدث، كان مشاركاً في علوم العربية والفقه والأصول، كاتباً نبيلًا، ثقة عدلاً، بارع الخط، توفي عام 645هـ. فرغ من نسخ الشفاء مجوداً متقناً في غرة شهر ربيع الأول من سنة أربعين وستمائة ..

6 - كمل في يوم الثلاثاء موفى عشرين من شهر رمضان المعظم من عام تسعة وعشرين وسبعمائة، وقبل هذا نقرأ: "فهذا جميع ما في الموطأ رواية يحيى بن يحيى الأندلسي من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وما أضيف إليه أنه قاله صلى الله عليه وسلم، أو كان موقوفاً فيه مرفوعاً في غيره، مثله لا يُدرك بالرأي فذكر لصحة عنه صلى الله عليه وسلم حاشي (كذا) حديثين لأبيوب السخيتاني، وحديث لطلحة بن عبد الملك، فإن هذه الثلاثة خاصة من غير رواية يحيى

7 - عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجَمَاعيلي الدمشقي الحنبلي (541-600هـ) حافظ للحديث، عارف برجاله، توفي بمصر .. من مؤلفاته: الكمال في أسماء الرجال، والدرة المضيئة في السيرة النبوية ... (الأعلام: 4 / 34 - دار العلم للملايين - بيروت - ط 1980/5).

8 - الصفحة الأخيرة من المخطوطة (خاصة).

9 - محمد بن سوار بن إسرائيل، مولده ووفاته بدمشق (603-677هـ). شاعر غزل وتصوف، وحذا في بعض أشعاره حذو ابن الفارض. طاف البلاد، ومدح الرؤساء. له ديوان شعر (الأعلام: 6 / 153).



والشرح لأبي عبد الله محمد شهر بابن الدبّاغ القيرواني<sup>10</sup>.. وقد ملك صاحبه هذا السفر بالشراء من قصر سجلهاسة ..<sup>11</sup>.

\* الطريق الواضحة إلى أسرار الفاتحة للعالم المفسر الشيخ أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الحنفي<sup>12</sup>، نسخه " محمد بن الجيلالي بن البشير بن محمد بن عبد الله بن الخياط بن الطاهر الفاسي الأندلسي، نازل ومسكن في بلاد فجيج، ثم المعيز، في أوطان سيدنا عبد الجبار نفع الله ببركته آمين، ولقد كان تكمله وتوفيته ضحوة يوم الاثنين في اثنين وعشرين يوما في شهر شعبان عام تسعة وستين ومائتين وألف "<sup>13</sup>.

\* شرح أرجوزة ابن سينا في الطب، جاء في آخرها : "انقضى القول في شرح هذه الأرجوزة ... وكان الفراغ منه في الحادي والعشرين لربيع الأول سنة أربعين وستائة، ونسخه بيده لنفسه الفقير لرحمة ربه، محمد بن يوسف بن العباس بن علي الكومي العابدي بحضرة مراکش، شرفها الله تعالى بمنه ويمنه "<sup>14</sup>.

.. كما استفاد من صداقاته الواسعة مع علماء عصره ممن جالوه وخاللوه ؛ للتهادي وتبادل النسخ، نذكر منهم على سبيل المثال زميله أبا العباس الونشريسي (ت 914هـ) الذي وجدنا له في الخزانة عددا من مؤلفاته، أعزها وأندرها رسالته في التعريف بالمقري<sup>15</sup>، وقد كانت إلى وقت قريب في عداد الضائعات .. ومنهم شيخه أحمد زروق (ت 899هـ) وابن غازي (ت 919هـ) وغيرهم .. أما آثار أبنائه في الخزانة فيتصدرها قطعة من الكوكب الساطع شرح فيه الأشموني<sup>16</sup> نظمه لمع اللوامع، والمرجح الأشبه باليقين أنه أهدها إلى تلميذه النجيب إبراهيم بن عبد الجبار، والدليل على ما نقول

10 - لم أعثر له علة ترجمة، ولعله من نسب صاحب معالم الإيوان.

11 - الصفحة الأخيرة.

12 - أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، الزبيدي، اليميني، الحنفي، شهاب الدين (812-893هـ) عالم أديب، محدث الديار اليمينية في عصره، له : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، وطبقات الخواص، ونزهة الأحباب ... إلخ (الأعلام : 91/1).

13 - الصفحة الأخيرة.

14 - الصفحة الأخيرة.

15 - عرفت بها في مجلة دعوة الحق : عدد 332 / 1997 - ص : 123-130.

16 - علي بن محمد بن عيسى، ولد عام 838هـ، نحوي، من فقهاء الشافعية بمصر .. من مؤلفاته : شرح ألفية ابن مالك في النحو، ونظم المنهاج في الفقه، ونظم إيساغوجي في المنطق، توفي 918 أو 929هـ (الأعلام : 10/5).

إجازته إياه بخط يده الكريمة، ولا تزال على ظهر الكتاب بيّنة كما حررها منذ ما يربو على خمسة قرون<sup>17</sup>.

### • نظام العمل بها :

لم تكن هذه الخزانة من المؤسسات الخاصة التي بإمكان صاحبها أن يفعل فيها ما يريد، بل كانت بفضل تقييدها بوثيقة حبس من مؤسسها ملكا لعموم القراء، يرتادونها وفق نظام تقليدي يتحكم فيه "القيم"، الذي كان تحت يده مفتاحها، ممتلكا صلاحية تسييرها بما يضمن لها السير العادي في أحسن الأحوال، وهذا طبعي جدا بالنسبة لمؤسسة اعتبرت جزءا من زاوية علمية متكاملة بغرف للتدريس، وفضاءات للحلقات العلمية، ومرافق للإيواء والإطعام والراحة، حتى إن النازل بفجيج كان يقصدها مباشرة لمعرفة المسبقة بتوافر سائر التسهيلات، وحسن ضيافة الساهرين عليها .. وفي هذا الإطار نستحضر شهادة عالم الجزائر ومسندها، وخطيبها ومفتيها، وأحد أئمة المعقول فيها، الشيخ سعيد بن إبراهيم، الشهير بقدّورة<sup>18</sup>، وقد نزل بفجيج أواسط العشرة الثانية من القرن الحادي عشر الهجري في محاولة لرأب الصدع الذي استفحل بين الشيخ الصوفي عبد القادر السماحي<sup>19</sup>، وعدوه اللدود أحمد بن أبي محلي السجلماسي<sup>20</sup>، قال : "وصلنا إلى فجيج بخير وعافية، مستقرين عند أولاد سيدي محمد بن عبد الجبار جازاهم الله خيرا ..."<sup>21</sup> وعادة ما يكون القيم من ذرية المؤسس، بيد أن ترك مسؤوليتها في يد واحد طالما فوت على العلماء فرص زيارتها، والاطلاع على ذخائرها، وهكذا وجدنا أبا سالم العياشي - وهو الطلعة النهم - يتأسف كثيرا على عدم تمكنه من

17 - جاء في آخره، قال المؤلف : كان الفراغ من هذا التعليق المبارك بعد العصر من اليوم المبارك حادي عشر المحرم الحرام سنة 888 على يد مؤلفه الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد الأشموني الشافعي غفر الله له ولوالديه ولمشاخه والمسلمين أجمعين .. وبعده : أنهاه كتابة فقير رحمة ربه محمد بن أحمد بن العاقل الشافعي غفر الله له ... أما الإجازة فيرجع تاريخها إلى الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة 903هـ.

18 - أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بقدّورة (1034-1066هـ) جزائري النشأة والدار، تونسي الأصل، عالم كبير، وأديب لغوي، له : حاشية على شرح اللقاني، وأخرى على السنوسية الصغرى، ورقم الأيدي على تصنيف المرادي في النحو ... وغيرها .

19 - عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سباحة أو السماحي (940-1025هـ) متصوف شهير بفجيج، له قصيدة صوفية مطولة سماها : "الياقوتة" وقصيدة الحضرة .. ألف السكوني في كراماته كتابا سماه : تقوية إيمان المحبين (مطبوع بتحقيق الأستاذ عبد الله طواهرية / 1999 - المطبعة غير مذكورة).

20 - أحمد بن أبي محلي السجلماسي، الثائر المشهور (967-1022هـ) أقام بفجيج طويلا، وأخذ عن عالمها أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار، صاهر السماحي مدة، ثم انقلبت علاقتها إلى عداوة شرسة، سال حولها مداد كثير، وألف في التشنيع به كتباً ورسائل أهمها : منجنيق الصخور، وسم ساعة في تقطيع أمعاء الجماعة ...

21 - أحمد بن أبي محلي - مهراس رؤوس الجهلة، ص : 262 (مخ - الخزانة الوطنية : 192 ك).



دخول الخزانة نظرا لغيبة القيم خارج فجيج، قال : "وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم، فلم يتيسر لغيبة الذي عنده المفتاح ..."<sup>22</sup>.. وحرصا على تعويض ما فاته استثمار فرصة زيارتها من لدن تلميذه الأنجب الشيخ أحمد بن سعيد المجيلدي<sup>23</sup>، فأوصاه بزيارتها قائلا : " .. فإذا بلغت فجيج، فليكن نزولك عند سيدي أحمد بن أبي بكر<sup>24</sup> بقرية قرب العبيد<sup>25</sup> .. وألق أولاد سيدي عبد الجبار الفجيجي، واطلب منهم أن يدخلوك إلى خزانتهم، وتبرك برؤيتها وزيارتها .."<sup>26</sup>.. ومن هذا الوقت صارت زيارة الخزانة تقليدا محمودا من فاته فاته خير كثير، حتى إن الهشتوكي أكد ذلك بقوله : "قد جرت عادة جميع من مر بفجيج من كل من يتعاطى العلم بزيارتها، وقد زرناها ..."<sup>27</sup>.

### • صور من استفادة العلماء منها :

لقد أدت هذه الخزانة وظيفتها على أحسن وجه مروم، إذ ندب بنو عبد الجبار أنفسهم إلى المضي بها نحو ذلك الهدف الذي خطه لهم ذؤابتهم غير متوانين ولا مقصرين ؛ ففتحوا رفوفها في وجه طلبة العلم، من غير تمييز ؛ مما جعل صورتها تعلق بأذهان العلماء و الرحالين وهم بعيدون عنها، فاسترجعوا ذكرياتهم معها، وتحدثوا عن أوجه الاستفادة منها، أوجه يمكن بعد التأمل أن نحصرها في ثلاثة :

### - الاستفادة المباشرة :

ونعني بها المطالعة في عين المكان، إذ كانت الخزانة تتسع لاستيعاب الكتب والرواد معا، ومن جاء من مكان بعيد يلقي في الزاوية نزلا وقرى وترحيبا كريما، واستقرارا مريحا .. ولكأني الآن أنظر من وراء إلى الشيخ العلامة قدورة - المذكور آنفا - متربعا في رحابها، يقلب أوراق القاموس المحيط، بحثا عن وجه الصواب في حديث أرقه وصاحبه أمدا طويلا، ثم يتنفس الصعداء، ويأخذ الكاغد والقلم، ويكتب ما يلي :

- 22 - أبو سالم العياشي - ماء الموائد، 420/2 (مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة - ط 2 / 1977).
- 23 - أحمد بن سعيد المجيلدي، فقيه أديب، ولي قضاء مكناس، وحج عام 1068هـ.. من أعماله الفقهية : التيسير في أحكام التسعير. توفي رحمه الله تعالى عام 1094هـ.
- 24 - أحمد بن أبي بكر السكوني الفجيجي، من أصحاب العياشي وابن ناصر الدرعي، له عدة مؤلفات في التراجم والتصوف منها : تقوية إيمان المحبين، وشرح دلائل الخيرات، وشرح تنبيه الأنام .. كان حيا عام 1121هـ، كما يستفاد من رحلة ابن ناصر .
- 25 - القصد إلى القصر المعروف اليوم بقصر العبيدات، وهو مجاور لقصر الوداغير.
- 26 - العياشي : الرحلة الصغرى، ص : 306 (مصورة من مخطوطة خاصة).
- 27 - الهشتوكي - رحلة هداية الملك العلام، ص 108 (مخ - الخزانة الوطنية : ق 147).

"... ونعلمكم سيدي في حديث " ما لم تضمروا الرماق " <sup>28</sup>، إني طالعت القاموس <sup>29</sup> في فصل الرء من باب القاف، فذكره فيه، فدل على أنه بالراء لا بالزاي كما وقع في تلکم النسخ <sup>30</sup> .. ثم نظرته في فصل الزاي، لعل فيه وجها آخر، فلم يتنازل فيه لشيء من ذلك، بل لم يذكر لفظة الزماق بالزاي أصلا... <sup>31</sup>."

أما الفقهاء المحليون، و طلبة العلم القاطنون بمعاهد فجيح فقد اتخذوها مرجعهم الرئيس لا في تنمية معارفهم فحسب، بل في تأليفهم ومصنفاتهم، وقد اعترف الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي <sup>32</sup> بذلك، وهو يتحدث عن صاحبه السكوني المذكور من قبل، فقال: "وقد أُخبرْتُ عنه أنه ما حمله على الكتب على الدلائل <sup>33</sup> والتنبيه <sup>34</sup> إلا ما وجده من الكتب ميسرة في خزانة سيدي عبد الجبار... <sup>35</sup> ولقد كان السكوني بالفعل يتردد كثيرا على الخزانة، ويلتهم ما في رفوفها مما يتعلق بفنّي الفقه والتصوف غير مكترث بالحقول المعرفية الأخرى، حتى عابه الدرعي بخلوه من علوم العربية... <sup>36</sup>."

#### - الاستنساخ :

كانت نساخة الكتب مهنة نافقة السوق بفجيح، ارتبطت بإثراء الحياة الفكرية والكسب والاسترزاق بفضل انتشار المعاهد العلمية في جل القصور، وقد أحدث كثرة الطلب جوا من

28 - هذا جزء من كتاب الرسول عليه السلام إلى وفد بني نهد بن زيد مع طهفة بن أبي زهير النهدي، رواه غير واحد، جاء في النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (حرف الراء، باب الراء مع الميم) : رفق (هـ) في حديث طهفة : "ما لم تضمروا الرماق" أي النفاق . يقال رافقه رماقا . وهو أن ينظر إليه شزرا نظر العداوة، يعني ما لم تضق قلوبكم عن الحق . يقال عيشه رماق : أي ضيق . وعيش رفق ومرق : أي يمسك الرفق، وهو بقية الروح وآخر النفس ...

29 - القصد إلى القاموس المحيط للفيروز أبادي - انظره : ج 3/ ص : 246 (دار الجيل - بيروت - لبنان) وانظر أيضا : لسان العرب : 126/10 (دار صادر - بيروت - لبنان).

30 - ربما قصد بالنسخ إلى كتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله، فقد ذكر حديث ما لم تضمروا الرماق، في الباب الثاني من القسم الأول : وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول (الشفا - ج 1 / ص 74 - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط 1988).

31 - ابن أبي محلي - مهراش رؤوس الجهلة، ص : 62.

32 - أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (1057-1129هـ) أحد مشاهير علماء المغرب، وشيوخ التصوف به، فهو شيخ الزاوية الناصرية بدرعة بعد والده .. حج أربع مرات، وله مؤلفات أشهرها رحلته .. (القادري - النقاط الدرر: تر 473، ص : 312 - تحقيق : هاشم العلوي القاسمي - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط 1983).

33 - القصد إلى كتاب دلائل الخيرات للجزولي، وقد سمي شرحه : إتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة، بكشف القناع عن ألفاظ دلائل الخيرات .. راجع كتابنا : دليل مخطوطات الفجيحيين، ص : 42-43 - (دار الجسور - وجدة - ط 2005/1، وهو من إصدارات المجلس العلمي المحلي لفجيح).

34 - يعني كتاب ابن عظم القيرواني (ت 960هـ) المعروف بتنبيه الأنام، وشرحه سياه السكوني : حبل الاعتصام في كشف ما سدل من الرواق على معاني كلمات تنبيه الأنام .. انظر، دليل مخطوطات الفجيحيين، ص 42.

35 - الرحلة الناصرية، ج 1/ ص : 28 (المطبعة الفاسية - 1320هـ).

36 - نفسه.



التنافس النبيل بين الخطاطين، أسبق كل منهم إلى تجويد خطه وتقذيبه، وتنميق رسمه، وتنويع ألوان مداده، جريا وراء استقطاب أكبر عدد ممكن من العلماء والطلبة المقيمين، والوافدين المهتمين في مواسم الحج خاصة، حيث يتكاثر الحجاج العلماء المتهافتون على اقتناء ماجد بالمدينة من مؤلفات محلية أو غيرية مما كانت تزخر به الخزانة .. وقد ضرب ابن ناصر إلى بعضها لما نزل ضيفا بنية الحج فقال : "وجدنا هنالك شرحي دلائل الخيرات، وتنبيه الأنام للأخ أحمد بن أبي بكر السكوني الفجيجي . واشتريت الكاغد، ومكنته للأخ سيدي علي بن محمد بن أحمد الراشدي<sup>37</sup> ينسخه، وأبى من قبض الأجرة تقبل الله منه"<sup>38</sup>.. وتعرضنا إشارات من هذا القبيل لدى سلفه أبي سالم العياشي، يقول : "وأطلعني سيدي أحمد بن أبي بكر على تأليف له جمع فيه مناقب الخلفاء الأربعة، والله يجازيه على قصده خيرا .."<sup>39</sup>.. وقد نقل لنا بعض الرحالين مشاهد ولوحات تنم عن هذا التهافت، كما تنم عن حب الفجيجيين للعلم وأهله، وتوقيرهم لكبار المشايخ، وبرورهم بهم إلى درجة الإيثار .. وفي هذا الإطار نستحضر رفض الراشدي قبول أخذ عوض على ما نسخه للدرعي ..

ويبدو أن عملية النسخ هاته كانت تستغرق زمنا معتبرا، إذ لم يستطع الراشدي إنجاز المطلوب على ما أمل الطالب، والمرجح أن يكون تأخيرها ذاك مرتبطا بإرضاء الزبناء لا بتوان ولا تقصير، وهو ما يستفاد من تنبيه الدرعي لدى قفوله من الحج، يقول : "وجدنا شرح تنبيه الأنام الذي تركناه ونحن مشرقون ينتسخ قد كمل، وشرح دلائل الخيرات لم يكمل : بقي منه نحو من ثلاثة كرايس، وكنا أوصينا عليهما .."<sup>40</sup>.

ولم يكن النسخ يتم في عين المكان، بل كانت الطلبات ترد على فجيج من أماكن أخرى كفاس وسجلماصة وتلمسان، وفي هذا السياق نستحضر رسالة ابن مريم صاحب البستان<sup>41</sup>، إلى ولدي الإمام البركة الولي الصالح سيدي موسى البريشي<sup>42</sup>، يلتمس منهما بعد صالح الدعاء في أوقات

37 - أسرة الراشدين، من الأسر الشهيرة في العلم والقضاء بفجيج زمن العلويين (انظر : بيوتات العلم والأدب بفجيج، ص : 72 وما بعدها - مطبعة الجسور - وجدة - ط 2003/1).

38 - الرحلة الناصرية : 1 / 28.

39 - هو مؤلف شرح التنبيه والدلائل المذكور سابقا ..

40 - الرحلة الناصرية : 2 / 192.

41 - محمد بن محمد بن أحمد المشهور بابن مريم، من فقهاء تلمسان ومتصوفتها، كان حيا عام 1014هـ، له البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.

42 - موسي البريشي، من أولياء فجيج وصلحائها في القرن التاسع الهجري، ترك ذرية لها في سماء العلم والفقه والتصوف طالع ميين، ذكر بعضها ابن أبي محلي في مهراس رؤوس الجهلة، والسكوني في تقوية إيمان المحيين (انظر كتابنا : بيوتات العلم والأدب بفجيج، ص : 149 وما بعدها ..)

الاستجابة، انتساخ كتب، ونصها : " ... أردت من الله ثم من جزيل فضلكم أن تنسخوا لنا كتاب القسطاس والإصليت، وكل ما وقع من كلام شيخنا الإمام ابن عبد الله<sup>43</sup>، وكذلك السلوانية لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الجبار، مع المفيدة<sup>44</sup>، وهذا بحسب الاستدلال لفضلكم، والله تعالى يديم النفع بكم، ويحفظكم ويرعاكم .."<sup>45</sup>.

#### - الإعارة :

ليس من المبالغة في شيء إن نحن اعتبرنا إعارة الكتب من أهم العوامل التي عجلت بإفلاس الخزانة وانهيار أركانها بعد القرن الحادي عشر، نظرا لغياب عناصر التنظيم والضبط والتدقيق والضمان التي أحسن العمل بها الرعيل الأول من بني عبد الجبار. ومهما يكن فإن عملية الإعارة كانت تتم على مستويين اثنين، هما :

#### ➤ المستوى المحلي :

موجه إلى المهتمين من مختلف القصور الفجيجية، يأتون لاستلام الكتب من عين المكان، وحينما يضطرب حبل الأمن ويختل بين القصور، يسعون إلى الحصول عليها بواسطة رسائل أو مبعوثين أمناء.. ونماذجه كثيرة جاءت على شكل بطاقات أو جذاذات تتضمن اسم المستعير، وعنوان الكتاب، ومؤلفه أحيانا، إلى بيانات أخرى تفيد عند الحاجة إليها، مثلما نطالع في النموذج الآتي :

"تقييد ما عند سيدي عبد الله بن أفرج على وجه العارية : عنده سفر من تفسير القرآن من سورة اقترَب (أي الأنبياء) إلى ومن يسلم (سورة لقمان) للشيخ الإمام ابن عطية<sup>46</sup> على وجه العارية، صرفته له مع سيدي بومدين من آل سيدي عبد الوافي<sup>47</sup> .. وعند سيدي محمد بن بودخيل الزناقي

43 - القصد إلى العالم الثائر أحمد بن أبي محلي (967-1022هـ) وهو غني عن التعريف، قضى شطرا من حياته المتقلبة في فجيج فأغنى بها النشاط الأدبي والصوفي، من مؤلفاته القسطاس والإصليت وغيرهما، وجلها لا تزال مخطوطة (راجع كتابنا : فجيج : أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي، ص : 159 وما بعدها ... مطبعة الجسور - وجدة - ط 1 / 2000).

44 - قصيدة روضة السلوان، ومفيدة اللبيب في الفقه، من منتوجات شاعر فجيج المشهور إبراهيم بن عبد الجبار المتوفى عام 954هـ بمدينة (جنتي - DJENNE) في السودان الغربي - مالي حاليا - (انظر كتابنا : فجيج أعلام الفكر والأدب ... ص : 84-150).

45 - رسالة مخطوطة (خاصة) وانظر كتابنا : واحة فكيك تاريخ وأعلام، ص : 183 (مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء - ط 1/1987).

46 - القصد إلى كتابه : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وابن عطية هذا، هو أبو محمد عبد الحق بن غالب المحاربي الأندلسي، عالم بالأحكام والحديث والتفسير، توفي عام 542هـ (الأعلام : 3 / 282).

47 - آل عبد الوافي، من أشهر الأسر الفجيجية، أسس ذؤابتهم سيدي أحمد بن عبد الوافي زاوية صوفية، اشتهر أمرها، وتجاوز إشعاعها محيط فجيج، وتميزت باصطفافها الدائم إلى جانب المخزن منذ السعديين والعلويين الذين اعتبروها زاويتهم، وغمروها بعدد ضخم من ظهائر التوقير والاحترام (بيوتات العلم والأدب بفجيج، ص : 105 وما بعدها).



حاشية من الدماميني على البخاري<sup>48</sup>، صرفته له مع سيدي محمد البرّاني، بمحضر مولاي أحمد بن رحو بن بوزيان .. وعند سيدي محمد بن علّ الحماي حاشية السيوطي على البخاري<sup>49</sup>، بشهادة محمد بن معلي .. ثم عند سيدي أحمد بن الصديق بن حمّادي سفر من تفسير الشيخ عبد الجبار، على وجه العارية بشهادة عبد الرحمن بن عُنَان، والحسين بن الخياط .. ثم عند سيدي عبد القادر المنيعي من أول البقرة إلى العقود .. ثم عند سيدي أحمد بن الصديق بن حمّادي سفر من تفسير الشيخ عبد الجبار من : قال رجلان<sup>50</sup> .. إلى : يسألونك عن الساعة أيان مرساها<sup>51</sup> .. على وجه العارية<sup>52</sup> ..

### ➤ المستوى الخارجي :

تحققه رسائل تحمل المرغوب، وقد تزيد عليه شروطا، لا سيما إن كان أصحابها ممن يعرفون الخزانة وأربابها، من أمثال الولي الصالح والعالم الأريحي التحرير مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني<sup>53</sup> .. أحد تلامذة أبي القاسم الفجيجي، كتب إليه يقول بعد حمد الله والصلاة على رسوله وآله وصحبه : " ... الفقيه الجليل، الصدر الأوحّد، سيدي أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار، رعاكم الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، محبكم ومعظم قدركم عبد الله بن علي بن طاهر، يذكركم كريم وعدكم الوفي ببعث كتاب محمد بن الحسن تلميذ ابن مرزوق على قصيدة الخزرجي<sup>54</sup> بخطه، وإن لم يَكُنْ بعث بخطه، فما وُجد بخطكم فابعثه، ثم أتبعه الباقي بخطكم لا محالة ؛ فإني لا أرضى بغير خطكم وخطه .. والسلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته .."<sup>55</sup>

ومن الشروط التي تحيل على ثراء الخزانة وتنوع مشمولاتها في علم واحد، ما سجله أحدهم في رسالة إلى نجل المذكور سابقا محمد بن أبي القاسم، جاء فيها بعد الحمد وعبارات الشاء والاحترام :

48 - محمد بن أبي بكر بن عمر (763-827هـ) عالم بالشريعة واللغة وفنون الأدب، لازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، له عدة مؤلفات، منها : تحفة الغريب، في شرح مغني اللبيب، وجواهر البحور، في العروض .... (الأعلام : 57/6).

49 - محمد بن علّ، من فقهاء الحام الفوقي، كان من العدول المشهود لهم بالنزاهة، جيد الخط كما يظهر من بعض العقود ..

50 - سورة العقود / الآية : 25.

51 - سورة الأعراف / الآية : 187.

52 - وثيقة خطية (خاصة).

53 - عبد الله بن علي بن طاهر الحسني (960-1044هـ) من أشرف سجلّامة، وعلمائها المرموقين، أخذ الحديث عن أبي القاسم، وروى عنه فهرستي المنجور والونشريسي (انظر كتابنا : فجيح أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي، ص : 174).

54 - هذه القصيدة في العروض، وتسمى الرامزة في علمي العروض والقافية، وصاحبها هو : عبد الله بن محمد الخزرجي، عروضي أندلسي، نزل الإسكندرية، وتوفي قتيلا عام 626هـ .. له الخزجية، علل الأعارض .. (الأعلام : 124/4).

55 - رسالة مخطوطة (خاصة) وفي أعلاها نقراً : " الخط أسفله للولي الصالح مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني دفين مدغرة".

".. المراد من كمال فضلكم ... إعارة بعض أسفار القرآن العظيم، إن وُجد في خزانتكم سيدي عبد الرحمن الثعالبي<sup>56</sup> فلا نبغي به بديلا ؛ لأن مؤلفه متصوف، والمتصوف حلو المذاق، وإن لم يوجد هو بنفسه، فغيره من كتب التفسير، ما عدا الزمخشري<sup>57</sup> ؛ فإنه محل اعتزال لا يليق ببلد مثلي، ولكم الأجر التام، والله يحفظكم ويرعاكم، ويرحم صالح سلفكم ..."<sup>58</sup>.

ولا يفوتنا أن نسجل في هذا الإطار أن عددا من أهل العلم طلبه وحججا، كانوا يستعيرون من خزانتها ما يحتاجون إليه من كتب ترافقهم إلى الديار المقدسة، ثم يردونها بعد عودتهم، وهذه قصة تبين ذلك : "وهناك<sup>59</sup> اجتمعت مع أبي مهدي السيد عيسى بن محمد بن المبارك من أولاد سيدي ناجي ... فوجدت عيسى المذكور أدبيا ظريفا في مخاطبته ومكالمته، وما رأيت مثله طرافة وأدبا من لدن خرجت من سجلماسة .. وطالع قصيدي الميمية النبوية التي في بحر الرمل، ورأى في بيت منها السلام معرفا، وفي البيت الذي تحته سلام منكرا، فقال : هذا يا سيدي إبطاء، وهو ممنوع عند محققي العروضيين، فقال : لا يسوغ ذلك مطلقا .. فذكرتُ له جواز ذلك عن غير واحد، فقال : لا أعرف ذلك، فقلت له : أعرف المكودي على الألفية<sup>60</sup> ؟ فقال : غيرك يقول هذا، أعرف أكبر منه ... وطلبت نسخة سيدي المكودي عند بعض طلبة الفجيجيين ممن طلع لحج بيت الله الحرام، فأتيْتُ بها إليه حتى رآه ؛ فسلم وتعلم .."<sup>61</sup>.

### • صورة الخزانة في كتب الرحلات :

وكما كانت فجيج ملتقى طرق القوافل التجارية، كانت محطة استراحة للركب السجلماسي والسوسي، وأحيانا نقطة التقائهما بالركب الفاسي، هذه الميزة جعلت جل الرحالين الذين حلوا بها يتبركون بزيارة الخزانة وضريح مؤسسها، حتى غدت عادة منتظمة، وتقليدا سنويا محمودا فاشيا

56 - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (786-875هـ) فقيه، مفسر، له عدة مصنفات منها : جامع الأمهات في أحكام العبادات، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، وهو المقصود بالإشارة، وكانت منه بقايا في الخزانة (الأعلام : 331/3).

57 - أبو القاسم محمود بن عمر، جار الله الزمخشري (467-538هـ) من أئمة العلم بالدين والتفسير والحديث واللغة والأدب، تنقل في البلدان، وصنف الكثير من الكتب منها: أساس البلاغة، والفاق في غريب الحديث، ونوابغ الكلم ... والكشاف المشار إليه (الأعلام : 178/7).

58 - رسالة مخطوطة (خاصة).

59 - أي : خارج زريبة حامد قرب بيسكرة، أين ضرب الحجاج خيامهم ..

60 - يعني شرح المكودي على ألفية ابن مالك في النحو، والمكودي هو : عبد الرحمن بن علي بن صالح، من أشهر علماء العربية في المغرب في زمنه، له مؤلفات في النحو أغلبها شروح، توفي عام : 807هـ (الأعلام : 318 / 3).

61 - هداية الملك العلام، ص : 160.



بينهم .. كما جعلتهم يخصصون لها حيزا متفاوت السعة من كتاباتهم، دشنها - فيما نعلم - أبو سالم العياشي الذي كان حظه سيئا معها ؛ لأنه طلب الدخول إليها في وقت كان القيم عليها غائبا<sup>62</sup> .. وأحسن منه حظا خلفه أبو العباس الهشتوكي، فقد أمتعنا لا بوصف الخزانة فحسب، ولكن بتتبع دقائق المعيش اليومي على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نكتفي منها ببعض ما يرتبط بالموضوع، قال : "... ودخلنا خزانتهم العظيمة، وتبركنا بها، ورأينا فيها كتباً غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة .. ولم يقف الهشتوكي عند حد الزيارة ومطالعة بعض الكتب، بل أعد لنا مسردا ببلوغرافيا لأربعة وعشرين عنوانا اختارها من الركام الذي رآه .. وبعدما فرغ من ذلك قال : "وغير ذلك من الكتب المتداولة، وما ذكرنا إلا غير المتداولة جدا، وإن كانت غير معروفة الذكر .."<sup>63</sup> وجاء بعده أبو العباس الهلالي فقضى في رحابها يومين حافلين، أعد خلاصتها مسردا من خمسة وأربعين عنوانا جلها في علوم اللغة، ثم قال : "وهذا نزر يسير بالنسبة لما بقي منها .."<sup>64</sup>.

ولأنها كانت معطاء باستمرار، فقد أحيطت بهالة من التقدير والاحترام، ونسبت إليها كرامات ككرامات الأولياء والصلحاء، وخوارق من عالم الغرائبي العجائبي، كتبها العلماء دون خلفيات، معرضين عن تمحيصها وتحققها، من ذلك قول الهشتوكي نفسه : " وقد أخبرني بعض أولاده من الذين أدخلوني أنا وجماعة من أصحابي، كسيدنا الشريف الخيّر الدين أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن أبي القاسم البوحامدي : أن البيت الذي فيه الخزانة انهدمت سواريه وأسطوانته من كثرة الأمطار في بعض السنين، فوقف السقف في الهواء وحده بقدرة أرحم الراحمين .."<sup>65</sup>.

والمثير للانتباه أن الرحالين تحدثوا عنها حديث رجل واحد، حديثا يفيض بعبارات الإطراء والإعجاب والإكبار، مركزين على بعض العلامات الفجيجية المميزة في رفوفها كتفسير جدهم سيدي عبد الجبار، الذي صار في صدر مرثيهم ومطالعاتهم، لا يذكرونه إلا مقرونا بالإعجاب، وقد أحله الهشتوكي المذكور آنفا غير بعيد محل الصدارة فيما عدده من كتب، وأشار إلى أحد مواطن التفرد فيه، فقال : "... من جملتها : اختصار تفسير القرطبي لجدهم سيدي عبد الجبار، في اثني عشر مجلدا متوسطة، فيها - والله أعلم - سبعة أجزاء بخط يده الكريمة .. وفي بعض الأجزاء من هذا التفسير

62 - قال العياشي : وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم، فلم يتيسر ؛ لغيبه الذي عنده المفتاح " (ماء الموائد، ج 2، ص : 420 - مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة - ط 1977/2).

63 - هداية الملك العلام، ص : 102-104.

64 - رحلة الهلالي .. مصورة من مخطوطة خاصة (وقد حققها بعون الله، وستنشر قريبا إن شاء الله تعالى).

65 - نفسه، ص : 108.

أن صدقة التطوع لا تحرم على آله صلى الله عليه وسلم مطلقا، كانوا مضطرين إليها أو لا .. وإذا قبل هذا بقول خليل في مبحث الخصائص وحرمة الصدقتين عليه وعلى آله<sup>66</sup>، كان في المسألة قولان<sup>67</sup>. وقفا قفوه في الثناء والإعجاب الفقيه الأديب محمد بن عبد السلام بن ناصر المتوفى عام 1239هـ، فقال : "... وزرنا في خلال هذه المدة ضريح الإمام العالم العلامة الشريف الإدريسي سيدي عبد الجبار، اقتداء بسلفنا، وبالع بنوه في ضيافتنا، تقبل الله منهم. وأوقفونا على تفسيره من اثني عشر جزءا من الكبير، قال في أوله إنه اختصر القرطبي، فوجدناه يزيد عليه زيادة مستحسنة، وفوائد مستغربة، يطرزها بعبارات رقيقة، ويوسمها بجواهره ..."<sup>68</sup>.

أما الهلالي فقد ركب متن الشك في عدد أجزاء التفسير، قائلا : "... وذكروا لي أنه في اثني عشر سفرا، ولعلها أسفار صغار؛ لأنه على ما بلغني اختصر تفسير القرطبي، وهو لم يبلغ ذلك العدد، فكيف بمختصره؟"<sup>69</sup>.

ومن المصنفات الفجيجية المنوه بها في كتب الرحلات - أيضا - نظم مختصر خليل لحفيد صاحب التفسير العلامة الأملعي أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار المتوفى عام 1011هـ، سماه " اللآلئ الحسان"، قال مشيرا إلى ذلك :

سميته نظم اللآلئ الحسان ❁ مختصر حاوي الفتاوى بالبيان<sup>70</sup>

ويحتل الرتبة السادسة في مسرد الهشتوكي، قال : "... ومنها : سفر صغير فيه نظم مختصر خليل لبعض من ذرية السيد عبد الجبار .."<sup>71</sup>.

وكان ابن ناصر أشد انجذابا إلى ذلكم النظم، وبالتالي أكثر توضيحا عند تقديم ملاحظه، يقول : "... وأوقفونا ... على نظم مختصر أبي المودّة خليل لابن ابنه أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار، وهو نظم سلس عذب، قال في أوله :

66 - انظر مختصر خليل : باب في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، ص : 108 - 109 (ضبطه وعلق عليه ووضع ترقيمه : أحمد علي حركات - دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - ط / 1995).

67 - هداية الملك العلّام، ص : 108.

68 - الرحلة الكبرى، ص : 67.

69 - رحلة الهلالي، مصدر مذكور.

70 - يتألف من حوالي 8500 بيت، منه نسخ خطية في الخزائن الخاصة والعامة، من أجودها نسخة الخزانة الملكية، رقمها : 1407 .. بخط الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي الودغيري، فرغ منها عام 1194هـ، ومنه في الخزانة الوطنية، تحت رقم : 2815 د ..

71 - هداية الملك العلّام، ص : 106.



يقول باسط كف افتقار ❀ قاسم، نجل عابد الجبار  
الله أستعين في نظم جليل ❀ مختصر الشيخ المحقق خليل  
وما رأينا عالما تصدى لنظم منشور أبي المودّة ...<sup>72</sup>.

ومن المشاهد المتوثبة التي تؤرخ لنشاط الحركة الثقافية بفجيج، وثناء خزاناتها العامة والخاصة، وانشداد رجالاتها إلى العلم والتوغل في محبته، ما سجله العياشي عن صديقه أحمد بن أبي بكر السكوني صاحب التأليف الصوفية، قال : .. وأطلعني سيدي أحمد بن أبي بكر على تأليف له جمع فيه مناقب الخلفاء الأربعة<sup>73</sup>، والله يجازيه على قصده خيرا، واستعرتُ من عنده كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول للعلامة محدث الديار اليمنية الشيخ عبد الرحمن المشهور بالدُّيُع<sup>74</sup> ... وهذا الكتاب غريب الوجود، سيما في بلاد المغرب .. ومن هذا الكتاب جمع صاحبنا كتابه المذكور في مناقب الخلفاء .. وأطلعته على كتابي إظهار المنة<sup>75</sup> فابتهج به سرورا .. وكتابه بالنسبة إليه نقطة من بحر . والمنة لله، ومن شكر النعمة التحدث بها .. ولم تسخُ نفس صاحبنا المذكور بإعارة كتابه حتى تكفّلت له باستنساخ حاشية أبي الحسن على البخاري، فوفيتُ بحمد الله ..<sup>76</sup>.

وحتى تكتمل صورة هذا النشاط على وفق ما التقط هؤلاء الرحالون، ويتضح لنا أن الخزانة كانت بالفعل قطب رحاه، وأن السكوني كان نقطة مضيئة في مركزه، نستحضر ما كتبه العلامة اللوذعي الخليفة أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، المتوفى عام 1129هـ : "... ووجدنا هنالك شرحي دلائل الخيرات، وتنبيه الأنام للأخ أحمد بن أبي بكر الشريف السكوني الفجيجي .. وقد أُخبرتُ أنه ما حمله على الكتب على الدلائل والتنبيه إلا ما وجدته من الكتب ميسرة في خزانة سيدي عبد الجبار .."<sup>77</sup> ونعززه بموقف الهلالي حين أخبر بوجود نسخة من شرح الأزهري على التلخيص<sup>78</sup>، قال :

72 - الرحلة الكبرى، ص : 67 (مخ الخزانة الوطنية : د 2327).

73 - سباه : نزول الرحمة وسبب نيل الاصطفا، في مناقب ساداتنا الخلفاء، والصحابة وأهل البيت وأمة المصطفى، منه نسخة بخزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان، رقمها : 736 (وانظر كتابنا : دليل مخطوطات الفجيجيين، ص : 72)

74 - عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي (866-944هـ) محدث، حافظ، مؤرخ . من مؤلفاته : بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول، تمييز الطيب من الخبيث، في الحديث (الأعلام : 318/3).

75 - القصد إلى كتابه : إظهار المنة على المبشرين بالجنة.

76 - ماء الموائد، ج 2 : 420 - 421.

77 - الرحلة الناصرية، ج 1، ص : 28.

78 - خالد بن عبد الله الأزهري المصري (838-905هـ) نحوي عاش في القاهرة، كان يعرف بالوقاد . له مؤلفات أغلبها شروح في النحو . (الأعلام، 297/2).

"ولم أسمع به قبل، ورغبت في رؤيته، فتعذر عليه إخراجي لي، واستوصفته إياه، وسألته عن صنيعة، وكأنه طال عهده به فلم يأت بخبر"<sup>79</sup>.

#### • وضعيتها من خلال كتب الرحلات :

لا نستطيع أن نحكم بشيء فيما يتعلق بوضعية هذه الخزانة قبل نهايات القرن الحادي عشر الهجري بأربع سنين، وهو التاريخ الذي صادف حلول الهشتوكي بعرضاتها، فكان بذلك أول من لفت انتباهنا إلى الإهمال الذي أخذ يأكل من أطرافها، فقال : "... ورأينا فيها كتباً غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة"<sup>80</sup>.

ويمكن اعتبار إشارته من النذر الأولى، بل هي من إرهاصات الاختلال الذي سينغمر بها شيئاً فشيئاً في دهاليز الأفول المعتمدة .. والغالب على الظن أنها بقيت على الحال الذي وصفه الهشتوكي حوالي ربع قرن بعده، ذلك أن ابن ناصر الذي حل بها عام 1121هـ، لم يُثر ما يمكن أن ينهض دليلاً على تفاقم وضعيتها، بل إنه لم يذكر سبب الاختلال، مكتفياً بقوله : "ورأيت عندهم كتباً غريبة، وهي إلى الاندثار قريبة .."<sup>81</sup>.

ويأتي أبو العباس الهلالي بعده بتسعة وعشرين عاماً (1150هـ)، فيبين لنا أن الإهمال الذي ضرب إليه الهشتوكي يعود إلى سنيين، هما :

° عدم تعهدها بالرعاية، واستغلالها بالبحث والمطالعة، فكان أن علاها الغبار، وصارت قوتا سائغا للأرضة وتعاقب الأثريين، يقول : "... وقد طال عليها سالف الأبد، وأخنى عليها الذي أخنى على لبد<sup>82</sup>؛ إذ ليس هناك من تعاطى العلم سبداً ولا لبد<sup>83</sup>؛ فبقيت مخزونة كأنها كنز شحيح،

79 - رحلة الهلالي (مصدر مذكور).

80 - هداية الملك العلام، ص : 102.

81 - الرحلة الناصرية، ج 1، ص : 28.

82 - هذا من بيت النابغة الذبياني :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وفي المثل : طال الأبد على لبد، راجع : مجمع الأمثال، ج 1، ص 429، رقم 2265. (تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية - ط 1955).

83 - العرب تقول : ما له سبداً ولا لبد، كناية عن الإبل والغنم، أي ماله شيء، وهذا كلام من الهلالي غير دقيق، لأن القرن الثاني عشر عرف بفجيح أسرفه وعلم منهم : الراشديون والجماليون وآل سيدي عبد الجبار ... والظاهر أنه لم يلق من الفقهاء غير من ذكرهم.



حتى أضحي سقيما منها كل صحيح، وأي فائدة للكتب لا تجد من ينفض عنها الغبار؟! كأنها أموات صرعت بلا إقبار. إنا لله وإنا إليه راجعون! [ بحر الكامل ] :

ذهب الزمان بصفوة العلماء ❀ وبقيت في ظلم وفي عميا<sup>84</sup>

° تقسيم جزء منها بين أرباب العلم والمعرفة من بني عبد الجبار، وهو ما نقله الهلالي نفسه عن تلميذه المشار إليه في قوله : " ولقيت من أولاد سيدي عبد الجبار فقيهم المتصدي للحكم بين أهل قصره، قصر المعيز، سيدي الحاج عبد القادر<sup>85</sup>، وفقه الله وحرسه، وأخبرني أن عنده وعند بعض أقاربه كثيرا من كتب الخزانة ..."<sup>86</sup>.

وبعد مضي قرن على زيارة الهشتوكي للخزانة، نزل بها صاحب الرحلة الكبرى، ليعلن إفلاسها في عبارات تكشف عن تأثره العميق، وأساه المير، وتحسره الممض على ضياع هذا الصرح الثقافي المنيف، والسراج الذي أشع على المنطقة قريبا من أربعة قرون خالية، قال : "... وكانت لهذا الإمام، وبنيه من بعده، خزانة كتب عظيمة، احتوت على دواوين غريبة. ثم تلاعبت بها أيدي الحدثان، ومر الدهور والأزمان؛ فتفرقت شذر مذر، حتى لم يبق منها إلا الأثر"<sup>87</sup>.

والواقع أن أيدي الحدثان بريئة من التلاعب الذي دمر الخزانة وأتى على جل محتوياتها، فهذا المصير المفجع دبره وخطط له مجموعة من يهود فجيح ساءهم أن يروا العلم يمشي في دروب القصور شاخا متألقا، فاختراروا لتنفيذ خطتهم المشؤومة عددا من ضعاضعة بني عبد الجبار وذؤبانهم وسفهائهم، وأغروهم باختلاس كتبها، ليشتروها منهم بأبخس الأثمان وأوكسها، وحتى يكون كلامنا ذا مصداقية نقرأ هذا الخبر : " الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد الصادق، وآله السوابق، وصحبه اللواحق، وسلم تسليما. شهداء هذا الرسم الآتية يشهدون ويتحققون بأنهم سمعوا من الثقات وغيرهم سماعا فاشيا بأن اشلوموا بن عك من أولاد هارون القاطن يقصر المعيز، أفصح لهم بقوله : إن الكتب التي في دار العدة المنسوبة للبركة الكاملة سيدي عبد الجبار بن أحمد -

84 - نسب البيت في الحلة السراء لعبد الرحمن بن وليد ابن غانم، من بيت أدب رائع وكتابة وجلالة، وبعده بيتان، هما :

وأتى طغام رقع من بعده ❀ لا فرق بينهم وبين الشاء

فإذا سألت عن النعام أسدهم ❀ علما يفسره بطير الماء

85 - عبد القادر بن محمد بن أبي زيان، فقيه، أجازة الهلالي، توفي عام 1176هـ (انظر نص إجازته في كتابنا : فجيح أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي، ص : 250).

86 - رحلة الهلالي (مصدر مذكور).

87 - الرحلة الكبرى، ص : 67.

نفعنا الله ببركاته - خربتهم بتحليل، وبعثتهم لسجلماصة، وكتب يطاق للبلدة المذكورة يخبرهم ويُعلم اليهود بصوْلته وجوْرتَه ( كذا ) مع سيدي محمد بن أبي القاسم من نسب سيدي عبد الجبار المذكور - نفع الله به - هو الذي شاركه في الكتب من سرقتهم من داره، بل من دار العدة .. وسيدي محمد بن أبي القاسم المذكور، يرفع الكتب من دار العدة، ويضعهم عند اشلوموا المذكور في داره، حتى يبعثهم للقنادسة، ومن القنادسة إلى البلاد المذكورة أعلاه .. هذا ما أفصحوا (كذا) به الشهود، وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم لسائلها بعد إذْنهم وتوديتهم، وهم عدل رضي ممن تقبل شهادتهم، وترضى حالهم ومقالتهم .. وبه كتب من تلقى الشهادة منهم تلقيا تامًا كما يجب .. وبعد تعديد أكثر من عشرين شاهدا، قال : "وجم غفير يطول ذكرهم، ويشق تثبتهم .. بتاريخ فاتح المحرم الحرام عام واحد<sup>88</sup> وتسعين ومائة وألف .."<sup>89</sup>.

قلت : نقرأ هذا الخبر، ونربطه بخبر آخر يبيّن لنا بجلاء سوء نياتهم وطواياهم، وسبق إصرارهم على تنفيذ مخططهم دونما إسرار أو مواربة، جاء فيه بعد حمد الله : "تلقى كاتبه الشهادة ممن يأتي أسماؤهم قبل تاريخه، معرفتهم اشلوموا ين عكّ الذمي القاطن قصر المعيز بفجيج، معرفة كافية معتبرة عينا واسما، بها ومعها يشهدون بأنهم سمعوا سماعا فاشيا مستفيضا من أهل العدل وغيرهم أن اشلوموا المذكور أخذ من السيد محمد بن أبي القاسم ابن عبد الجبار عدة كثيرة من كتب خزانة سيدي عبد الجبار نحو الحملين، وبعثهم، بل سافر بهم إلى سجلماصة. وبعض الشهود زاد في شهادته أن اشلوموا المذكور بعث بطاقة إلى سجلماصة لأهل الذمة يخبرهم فيها، ويقول لهم افتخارا منه عليهم : دار واحدة في بلد فجيج خربت أساسها وأخذت كتب خزانتها<sup>90</sup>. ما صنعتُم أنتم ؟ وهذا ما أدوا به لدينا أداء تاما ..."<sup>91</sup> وكتب من تلقاها منهم كما ذكر، ووعاها كما سطر، والكل عدل رضي. بتاريخ (...) جمادى الثانية من عام واحد وتسعين ومائة وألف<sup>92</sup>.

وهكذا لم يفصل بين التخريب الممنهج للخزانة ونعيمها بحزن ساخن سوى خمس سنوات. حتى إذا جاء الاستعمار جند صنائعه للإجهاز على الأثر الناصري، فلم نعد نرى فيها اليوم إلا أضراب

88 - في الأصل : إحدى .

89 - صليحة رحو - الشعر الفجيجي، ص : 138 مكرر . (رسالة جامعية لنيل درجة الدكتوراة - مرقونة).

90 - في الأصل : خزانة كتبها، ووقع التصحيح على الهامش موثقا بعلامته.

91 - ذكر عددا كبيرا من الشهود.

92 - صليحة رحو، ص : 138.



مختلفة الشيات والخطوط والأنقاس، تحكي قصة ماض حافل بالعطاء والتميز، وتبكي مجدا زائلا لم نحافظ عليه مثل الرجال !

ولعله من المفيد أن نسجل في هذا المقام أن محمد بن أبي القاسم الذي استغله اليهود لتنفيذ برنامجهم الخسيس كانت له سوابق مخزية مع الخزانة، وبسبب أفعاله المشينة اضطر العالم النبيه الشيخ عبد القادر بن محمد ابن عبد الجبار<sup>93</sup> تلميذ أبي العباس الهلالي أن يقوم بمبادرة تجديد حبس جده سيدي عبد الجبار، الذي كان قد وقف خزائنه على من يتعاطى العلم من غير تخصيص أو تمييز. فعل ذلك بصفته ذؤابة بني عبد الجبار، والساھر على ضمان السير الحسن لزاويتهم في تلك المرحلة العصبية. وتجرد للمهمة قاضي فجيج الشيخ اللبيب محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي<sup>94</sup> الذي خرج إلينا بوثيقة حبس قيمة بأسلوبها، وتفصيل ديباجتها، ننقل منها ما تمس حاجتنا إليه : "... والباعث في إنشاء هذا الرسم وتأسيسه، أن أحد الذرية وهو : السيد محمد بن قاسو<sup>95</sup> فعل فعلا خان فيه، يُعزّر شرعا عليه، بأن أخذ من الخزانة المذكورة عدة كثيرة من الكتب، وباعها في ناحية المغرب، فطلب منا ماسكه الفقيه الأجل السيد الحاج عبد القادر بن محمد من نجل سيدي عبد الجبار المذكور ارتسام بينة الوقف، وأن نضع له ذلك في كتاب ؛ ليرتفع عنه بذلك تحاليج الظنون، وخطارات الارتباب، ليكون بيده حجة قاطعة يستردّ بها ما وجده من تلك الكتب ببينة قاطعة، فأجبناه لما سأل، وأسعفناه في ما عليه عوّل، ونقول بعد حمد الله : شهوده<sup>96</sup> الموضوعه أسماؤهم إثر تاريخه، ما زالوا منذ أدركوا بأسنانهم، وميّزوا بأذهانهم، وفهموا بعقولهم، يسمعون سماعا فاشيا من السنة العدول وغيرهم من أهل بلدة فجيج ممن لا يُحصى، أن خزانة كتب أولاد سيدي عبد الجبار حبس معقب، لا يورث ولا يُقسم، ولا يباع ولا يوهب، كما ذكر أعلاه. كل ذلك في علمهم، وقيدت شهادتهم مسؤوله منهم في أواسط ربيع النبوي سنة 1165هـ"<sup>97</sup>.

وربما فهم من لفظة "معقب" أن الخزانة أصبحت محصورة بين بني عبد الجبار بدءا من تاريخ تجديد الحبس، وإذا كان الأمر كذلك فإن أوليته تؤكد أنها كانت "حبسا على من ينتفع بها من الذرية

93 - سبقت ترجمته.

94 - محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي الوردغيري، من أكبر فقهاء فجيج في القرن الثاني عشر، تولى خطط الفتوى والقضاء، وتصدر للتدريس والإمامة في المسجد العتيق بقصر الوداغير، وكان ذا خط جميل حسبا رأياه في عدد من منسوخاته .. توفي رحمه الله عام 1197هـ (انظر كتابنا : بيوتات العلم والأدب بفجيج، ص : 65 وما بعدها).

95 - هو نفسه المسمى في وثيقتي اليهودي : محمد بن أبي القاسم، وقاسو اختصار لأبي القاسم في الخطاب الفجيجي إلى يومنا هذا .

96 - يتوزع هؤلاء الشهود كما يأتي : قصر المعيز 10 - بنو يكرمين 6 - بنو جرنيت 3 - الحمام الأعلى 3 - أولاد سليمان 3 - بنو هارون 3 - بنو محرز 3 - الوداغير 4 - العبيدات 3 .. والمجموع : 38 شاهدا من كل القصور العليا ..

97 - مصورة من مخطوطة خاصة.

وغيرهم : بالنظر فيها، والانتساخ منها، إن كان أهلا لذلك، ثم تُردّ بعد ذلك لمحلها، معقب مؤبّد، ووقف صحيح مخلد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث، حسبما شهد به الجم الغفير، والملاّ الكثير من أهل بلدة فجيج، خلفا عن سلف، بحيث لم يقع فيها إرث ولا قسمة بين ذرية من ذكر قط، من حيث جمعت إلى الآن" (أي إلى تاريخ تجديده)<sup>98</sup>.

هذه هي خزانة دار العدة. كانت أحدى الرحالين المغاربة وقبلتهم، وتيمة مهمة في كتاباتهم. لا ترى منها الآن وأنت داخل إلى ضريح مؤسسها إلا أضياب وأوزاع أوراق، غارقة في صمت الموتى بجوف خزانة كالقبر. وإنها لخواطر حزينة تأخذ بتلابيب نفسي؛ فأضطرب وأتلون، ويخفق قلبي كلما دخلت إليها مع أحد الزوار ممن جاؤوا من بعيد، يداعبهم الأمل السعيد في تحقيق ما يرجون. فإذا فُتحت في وجوههم الخزانة، ورأوا مشمولاتها شعئا متعبة، انطفأت واربدت، وانكفأوا بخيبة وأسف عريض على الحال التي لا يزال عليها هذا الصرح الذي غدا عليه وراح مئات العلماء والأدباء.

ولو أن بني عبد الجبار تشاوروا في أمرها، واجتمعوا حولها على رأي سديد، واتفقوا على إعادة بنائها، وإيقاظ مجدها، فيؤثثوها مما يرقد على رفوفهم وفي صناديقهم من هذا الحبس الخيري العظيم، وهو موجود بين أيديهم لا يستطيعون إنكاره. أقول : لو فعلوا ذلك لترقروا في وجهها ماء الحياة، وانبثق ربيعها، وصلح أمرها، وارتفع شأنها، وربما بلغوا بفجيج الغاية المثلّى التي سعى إليهم أجدادهم الأكرمون. ولو لم يكن في ذلك إلا الأجر والمثوبة، والخروج من الوعيد الذي ينتظر الذين يكتمون العلم، لكفاهم فخرا وشرفا ميزة، ولكفوا أنفسهم شعورا بالذنب يحس به نبهاؤهم وأخيارهم.

فمتى ينتفض هؤلاء في وجه العجز والاستخذاء واللامبالاة ؟ ومتى تعود الحياة إلى هذه الخزانة ويدب في عرصاتها النشاط ؟ ومتى تفك عنها القيود وتنزاح الأغلال ؟ وأنثى يعانق فجيجنا شبابها الأول، وتصير قبلة للعلم والعلماء مثلما كانت أيام القوابس المرضيين الأبرار. وشكر الله سعي الرحالين النبلاء، أشفقوا على الخزانة حين قسا عليها أبنائها، وأعلوا صيتها، ونشروا من أنبائها، ما جعل حقيقتها ساطعة يجري نورها مع الركبان إلى مختلف البلدان والأمصار.

فرحم الله تلك الأبدان، وأسكن أرواحهم في فسيح الجنان! آمين، والحمد لله رب العالمين.



## من الخزائن التراثية في سوس نموذج خزانة الإمام علي العامة بتارودانت

الأستاذ أحمد السعيد

يبتغي هذا المقال دراسة التراث المادي بخزانة الإمام علي العامة بتارودانت، خاصة رصيدها من الكتب المخطوطة (198 مجموعاً وأكثر من 300 عنوان) بوصف هذه الخزانة من أهم خزائن جهة سوس ماسة درعة. ومن حيث القيمة التاريخية والفنية لها، يكفي أن نذكر أنها كانت معروفة عند عدد من رواد المخطوطات والتحقيق منهم: فؤاد سزكين ومحمد المختار السوسي ومحمد إبراهيم الكتاني.. كما تضم عدداً من المخطوطات المحبسة من بعض السلاطين السعديين والعلويين والعلماء السوسيين، وتضم قطعة من صحيح البخاري يعود تاريخ نسخها إلى القرن الهجري الخامس.

لقد سبقنا إلى التعريف بالخزانة الأستاذ إبراهيم أبو الصواب<sup>1</sup> ضمن تعريفه بخزائن أخرى، ونريد في هذا العرض التركيز على تراث الخزانة المخطوط خصوصاً بغية تدخل المعنيين لصيانتها وترميمها ورقمنتها في أقرب الآجال.

### تأسيس الخزانة :

تعد خزانة الإمام علي من أكبر الخزانات في سوس، وقد تزامن تأسيسها مع إنشاء مقر جديد لمعهد محمد الخامس وذلك بعيد الاستقلال<sup>2</sup> سنة 1957 من لدن جمعية علماء سوس. وفي هذه المرحلة كانت الخزانة تحمل اسم خزانة المعهد الإسلامي. وقد تحول إليها عدد من الكتب باعتناء جيش التحرير الذي جمعها من لدن القواد، مثل القائد مبارك الماسي، والقائد عياد الجراري، الذي تعد خزائنه نواتها الكبرى. يقول المختار السوسي عنها : "أصابتها اليد بعد وفاته وهلاك ولده عبد الله،

1 - إبراهيم أبو الصواب، دراسة بيبليوغرافية لبعض المخطوطات الموجودة بالمكتبات العامة والخاصة بتارودانت، ضمن أعمال ندوة تارودانت حاضرة سوس، منشورات كلية الآداب بأكادير، 1992.

2 - ذكر الأستاذ محمد المنوني في المصادر العربية: 304/2 أنها تأسست في العصر السعدي، والصحيح غير ما ذكر، وإلا فإن خزانة الجامع الكبير بتارودانت هي التي تعود إلى العصر السعدي.

فصارت كلها أو غالبها إلى مكتبة (معهد) تارودانت المؤسس بعد الاستقلال<sup>3</sup>. وقد ولجت إليها خزانة السيدين الحاج أحمد الكدوري وعبد الله الكدوري الخاصتين. وبذلك تكون هذه الخزانة رصيد محترم بلغ المئات وآلاف الكتب. ويذكر أحد الباحثين رواية عن الأستاذ عمر المتوكل الساحلي أن: "هذه الكتب للأسف لم تصل جميعها إلى المعهد الإسلامي بتارودانت، حيث تم وضعها في بداية الأمر في مكان بمدينة تنزيت، وتحديدًا في دار السيد محمد بن إبراهيم أعراب السباعي (...) وهناك لبثت هذه الكتب (...) حيث تداولتها أياد عديدة (...) وبقيت هذه الكتب على هذه الحال تعبت بها الأيادي إلى أن جاء القائد ابن حمو (...). فأشار على الملأ بضرورة نقل هذه الكتب إلى المعهد الإسلامي بتارودانت"<sup>4</sup>. وقد استجيب لطلب ذاك القائد فنقلت الكتب من تنزيت إلى تارودانت لكنها أودعت في مكان آخر هو "عمارة التيوتي، وهي عمارة مشهورة تنسب إلى القائد التيوتي (...). ويوجد مبناها حاليًا إزاء الجامع الكبير (...). وقد عبثت الأيادي مرة أخرى بهذه الكتب وضاع منها الشيء الكثير"<sup>5</sup>. وفي هذه المرحلة أضيفت إليها "كتب أخرى أتى بها القائد العربي بن نجم من ناحية أولوز، ويتعلق الأمر بكتب السيد عمر الضروري.. وبعد مدة تم نقلها إلى خزانة المعهد الإسلامي سنة 1958م". وفي السبعينيات بعد أن صارت تابعة لوزارة الشؤون الثقافية أطلق عليها اسم "خزانة الإمام علي"، وهي الآن تابعة لوزارة الثقافة.

### موقع الخزانة ومكوناتها :

توجد بثانوية محمد الخامس (معهد محمد الخامس سابقًا) الكائنة في الشارع المؤدي يمينا إلى حومة مفرق الأحباب، ويسارا إلى حومة درب الأندلس. وقد أفردت لها بناية في وسط الثانوية المذكورة تنقسم إلى قاعتين:

■ **قاعة المطالعة والبحث :** وهي الكبرى، تضم طاولات للمطالعة والبحث وما يتعلق بذلك وصناديق حديدية تحوي عددا من الجذاذات الورقية مقسّمة حسب التخصصات: الشريعة، الأدب، الشعر، التاريخ، الفلسفة والفكر، الفهارس، الرسائل الجامعية، الرواية والقصة، كتبت باللغات الأجنبية، الطبوعات الحجرية، المجلات.. وقد أحدثت وفق هذه الطريقة في التسعينيات، فيما يوجد بالقاعة نفسها صناديق أخرى خشبية يعود تاريخها إلى بداية الخزانة، مكتوبة جذاذاتها بمداد عتيق،

3 - المعسول: 331/3.

4 - عبد الله العبدلاوي، بيليوغرافيا الكتب الأدبية المحفوظة بخزانة الإمام علي، بحث الإجازة، ص. 19.

5 - نفسه: 19.



وقد رتبت أبجديا حسب عناوين الكتب أو أسماء المؤلفين. وقد تعرضت للآفات الطبيعية والبشرية مما أدى إلى تلفها واختلال نظامها الأبجدي، ولم تعد مقصد رواد الخزانة إلا نادرا. ولا تتوفر الخزانة على قاعدة بحث معلوماتية تضم رصيدها بكامله، ولا على حاسوب يمكن بواسطته عمل ذلك.

■ **قاعة الخزن :** مخصصة لرصيد الخزانة الورقي، وهو الغالب، وبعض الأقراص المدججة، وهي قليلة جدا. أما هذا الرصيد فهو موضوع على رفوف خشبية قديمة يقدر عمرها بخمسين سنة تقريبا أي منذ إحداث الخزانة، وهي غير مناسبة البتة، إذ تنص المعايير المكتبية الدولية على استعمال الرفوف الحديدية تفاديا للحريق وما شابه، كما تعاني من تهشم بعضها وضمه لمختلف الحشرات والكائنات الدقيقة. وقد تمت الاستعانة ببعض الرفوف الحديدية الحديثة لكنها قليلة بالموازنة مع غيرها. إضافة إلى اعتمادها نوع الرفوف العالية مما يضطر القيم إلى استعمال سلم للحصول على بعض الكتب، لكن هذا السلم الخشبي أيضا يشكل خطرا لأنه هو الآخر لم يستبدل منذ مدة طويلة. كما تضم القاعة مكتبا للقيم وطاولة مخصصة للباحثين في الدكتوراه الذين يسمح لهم بولوج هذه القاعة على طريقة الرفوف المفتوحة. وللإشارة فكلتا القاعتين لم تتعرضا لإصلاح كبير منذ إحداث الخزانة، سوى ما كان من إعادة طلاء الجدران وتغيير شباك النوافذ سنة 2000، أما الأرضية فمقتصرة على بلاط إسمنتي من النوع القديم، إضافة إلى الإضاءة الخافتة.. وغيرها من المشاكل.

**القيّمون :** تعاقب على الخزانة إلى حدود اليوم (2009) - على حد علمنا - ثلاثة قيّمين، وهم على التوالي :

1- **أحمد شاعري الزيتوني<sup>6</sup> :** أحد علماء سوس وعضو المجلس العلمي الجهوي. تخرج من جامعة الزيتونة ونال منها شهادة العالمية سنة 1945. وعيّن بالمعهد في بداياته سنة 1957. وهذه أطواره بالخزانة وما شابهها من توفقه عن ممارسة مهامه :

1957: أستاذ مكلف بوظيف محافظ فرع الخزانة العامة بتارودانت.

1962-1963: خزان.

1963-1966: مدرّس.

1964-1965: أستاذ مكلف بمراقبة الدروس.

6 - ترجمته في: المعهد الإسلامي بتارودانت، لعمر الساحلي: 151/1، وأحمد شاعري الزيتوني، إجازات حديثة وأسانيد متصلة، تقديم وتخرّيج: أحمد السعيدني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

1966-1965: حارس عام للخارجية.

1966-1965: أستاذ متطوع للمادة الإسلامية.

1966: طلب الالتحاق بالخزانة.

1968: الانتقال إلى الخزانة بصفة قيم.

1981: الإحالة على التقاعد.

2005: وافاه أجله المحتوم بتارودانت في 20 شعبان 1426/25 شتنبر 2005.

ونفترض أن موظفا كان يقوم بمهام الخزانة في الفترات التي ألغي فيها تكليف الأستاذ شاعري، وهو السيد الحسن شاعري الذي كان من مساعديه. وإلى الأستاذ شاعري يرجع الفضل في تنظيم الخزانة وترتيب كتبها وفهارسها، كما أنه خصّص سجلا كبيرا لارتسامات زوار الخزانة وسماه "السجل الذهبي لخزانة المعهد الإسلامي بتارودانت" ومن أوائل الموقعين فيه سنة 1960 السيد أحمد بركاش، وزير الأوقاف آنذاك، وبعده الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط، ثم السيد عبد الله الرجراجي محافظ الخزانة العامة بالرباط.. ومحمد المختار السوسي وعبد الله كنون، إضافة إلى عدد كبير من العلماء المغاربة والمشاركة والأجانب. ومن نماذج هذه التوقيعات والشهادات ما كتبه العلامة محمد المختار السوسي كما وجد: "الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه. 1382-1-29 هـ الموافق 3 يوليوز 1962. إننا نفخر بهذا المعهد وبمكتبته التي برهن قيمها على أنه يعلم حق العلم أن النظام هو روح العمل، ولا عجب؛ فالمكتبة فرع للمعهد الروداني الذي ضرب الرقم القياسي في التنظيم من كل جهة من الجهات، ولا يحتاج النهار إلى دليل. محمد المختار السوسي"<sup>7</sup>. كما نستحضر هنا مكتوب د. ممدوح حقي، أستاذ زائر بكلية الآداب بالرباط آنذاك سنة 1975م حين قال: "ليس على حامل رسالة الفكر أحلى ولا أجمل من معاشرة رجال الفكر في كتبهم ومؤلفاتهم. ولو كنت أحسد أحدا في حياتي لحسدت كل قيم على مكتبة لأنه بعشرته هؤلاء العظماء يمد ويتعلم ويفيد. شكراً للظروف التي أتاحت لي زيارة هذه المكتبة العامرة. دكتور ممدوح حقي"<sup>8</sup>. إضافة إلى عدد كبير من العلماء المغاربة والمشاركة.

وقد كان القيم يلح، حين ألغي تكليفه بمهامها على الرجوع إلى مهامه الخزانة في طلب إلى وزير التربية الوطنية قال فيه: "... وحيث إن فرع الخزانة العامة الكائن بمعهد محمد الخامس قد

7 - السجل الذهبي لخزانة الإمام علي العامة بتارودانت.

8 - نفسه.



أوجس خيفة من تسرب يد العبث بكتبه أو اختلال ما كنت أحكمت من نظامه، وترتيب كتبه وفهارسه، الشيء الذي يعلم الله وحده ما قاسيت فيه من أتعاب، وكابدت من مشاق. لذا فإني أرجو من معاليكم أن تساعدوني في الرجوع إلى وظيفتي السابق (محافظ فرع الخزانة العامة بمعهد محمد الخامس)<sup>9</sup>. كما نقرأ في ورقة المعلومات الشخصية له ما نصه: "إن عدد الموظفين غير كاف، كما أن الخزانة مفتقرة إلى التجهيز وإلى إمدادها بالكتب وإلى بناية رسمية خاصة بها وإلى أحد الفروع لها بالمدن الكبرى بالإقليم كأكدير وتزيت"<sup>10</sup>. وتحت هذا الطلب مباشرة ملحوظة مدير المؤسسة التي يقول فيها بشأن الخزانة: "نطلب من معالي الوزير أن يقتصر عمل السيد شاعري على أمانة الخزانة التي نظمها وعمل فيها مدة 8 سنين. وهو الآن مشرف ومرشد فقط، إذ عمله جله في الخزانة العامة، ولما له من دربة وكفاءة وإخلاص ونشاط لم نجد من يعوضه حالياً في محافظة الخزانة. وحرر في تارودانت بتاريخ 1966/1/31".<sup>11</sup> كما يعضد هذا الطلب ما وقفنا عليه في السجل الذهبي للخزانة بقلم المدير نفسه بتاريخ 22-2-1965 م/ 20 شوال 1384 هـ حين قال: "... وإني أشكر العاملين القائمين بها جميعاً وخاصة الأستاذ العلامة الشاعري أحمد الزيتوني، صاحب الفضل الأول في تنظيمها، والإشراف عليها بكل أمانة."

2- المختار الطالبي: خلف الأستاذ شاعري على الخزانة بعد تقاعده سنة 1980 م. وقد حاول جهده الإسهام في تكميل ما بدأه سلفه من رعاية الخزانة والحفاظ على رصيدها. وقد ظل فيها حتى تقاعده سنة 1993 م، وتوفي سنة 1995.

3- مصطفى الميموني: من أبناء تارودانت وخريجي التعليم العصري بها. التحق بالخزانة سنة 1990، حيث كان مساعداً للقيّم الرئيس سلفه المختار الطالبي. وقد أنيط بمهمة تولى أمور الخزانة بصفة قيم بعد إحالة سلفه المذكور على التقاعد سنة 1993 م. وهو قيم نشيط مبادر حسن المذاكرة. كان له الفضل في ورود عدد من المطبوعات الحديثة على الخزانة كما يمتاز بصرامته وغيرته على رصيدها، ويوجد بها إلى الآن.

الرصيد: يضم المخطوطات والمطبوعات وبعض الأقراص المدججة، وجلها مما تحصلت عليه الخزانة بالإهداءات.

9 - الورقة الشخصية لأحمد شاعري من محفوظات إدارة معهد محمد الخامس بتارودانت.

10 - من محفوظات إدارة معهد محمد الخامس بتارودانت.

11 - من محفوظات إدارة معهد محمد الخامس.

## أولا - المخطوطات :

كان رصيد الخزانة في بدايته يضم نسبة مهمة من المخطوطات، ويقدرها البعض بحوالي أربعة أو خمسة آلاف. ولم يكد هذا الركام الهائل من المطبوعات والمخطوطات يلج الخزانة خلال السنوات الأولى حتى توزع على خزائن مثل :

▪ الخزانة العامة بالرباط.

▪ بعض الخزائن الخاصة.

▪ خزانة جمعية علماء سوس بتارودانت.

وبقي من هذا الرصيد المخطوط 198 مجموعا مصنفا حسب الحجم بالنسبة للمطبوعات. وقد وضعت في أحد الرفوف العالية، وتعيش هذه المخطوطات وضعية صعبة من حيث :

- الآفات الطبيعية والفيزيائية المحدقة بها، وتتمثل في تقصف الورق وارتفاع نسبة الحموضة وانتشار الحبر والغبار والحشرات والكائنات الدقيقة كالأرضة والسمكة الفضية والعنكبوت والنمل.. مما سبب كثرة الخروم (الثقوب) وانحلال الأربطة والأغلفة الداخلية والخارجية.

- الآفات البشرية الناتجة عن سوء استعمالها وتداولها من لدن بعض المستفيدين منها، الذين يفتقرون إلى تأهيل في مجال التعامل مع المخطوط نتيجة غياب قانون داخلي للخزانة أو تكوين بالنسبة للمستفيدين.

- الآفات الأخرى : حيث وضعت المخطوطات في رف خشبي عتيق مباشرة على الجدار من دون أي واق أو غلاف مقاوم للآفات توضع فيه. كما يبدو ازدحام المخطوطات بعضها ببعض نتيجة ضيق المجال المخصص لها، مع غياب أي أداة ترميم وصيانة وآلة تصوير ضوئي أو ميكروفيلم أو آلة قراءة.. ولم يتلق قيم الخزانة أي تكوين في هذا المجال، باستثناء استفادته من تكوين مؤخر في مبادئ المجال المكتبي بصفة عامة. وقد تم الاعتماد في الصيانة على بعض الطرق التقليدية التي لا تفرق بين المخطوط والمطبوع. وباختصار، فإن الرصيد المخطوط بهذه الخزانة يعرف جملة من المشاكل المزمنة التي تستلزم التدخل الفوري لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

وبالنسبة لعمر هذه المخطوطات فحسب أغلب التواريخ التي ألفت أو استنسخت فيها، فإنها تقع بين القرنين الهجريين التاسع والرابع عشر. أما أقدم مخطوط بالخزانة، فيعود تاريخ نسخه إلى



القرن الهجري الخامس، وهو قطعة صحيح البخاري المتسخ سنة 490هـ بالخط الأندلسي، ومما يضيفي قيمة على هذا الرصيد اشتماله على العديد من التحبيسات والتمليكات من لدن بعض السلاطين السعديين والعلويين والعلماء السوسيين. ومن تلك المخطوطات :

▪ مشارق الأنوار على صحائح الآثار للقاضي عياض، المتسخ عام 1193هـ والمحبس من لدن السلطان عبد الله الغالب على خزانة المسجد الكبير سنة 972هـ.

▪ فتح الباري من هدي الساري على شرح البخاري، لابن حجر العسقلاني (852هـ) المحبس من لدن السلطان عبد الله بن محمد الشيخ سنة 976هـ على خزانة الجامع الكبير بحضرة تارودانت من سوس الأقصى تحبباً مؤبداً.

▪ شرح الخرشي على مختصر خليل، للخرشي (1101هـ) المتسخ عام 1198هـ والمحبس من لدن السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل على خزانة الجامع العتيق بتارودانت.

▪ مواهب الجليل في مختصر الشيخ خليل، للحطاب (954هـ) المتسخ عام 1087هـ والمحبس من لدن أحد أبناء السلطان مولاي إسماعيل على جامع تارودانت 1129هـ.

أما عن فهارس هذه المخطوطات، فيوجد بها اثنان :

- الأول : صنعه قِيم الخزانة الأول السيد أحمد شاعري في سجل كبير كتبه بيده. ويذكر فيه عنوان الكتاب إن كان مفرداً ويصفه عنواناً عنواناً إن كان مجموعاً، مع ذكر رقمه ومؤلفه.

- الثاني : صنعه مجموعة من طلبة كلية الآداب بأكادير<sup>12</sup>، وهو أشمل فهرس لها في سفرين ضخمين، مصنف حسب الفنون مع ذكر عنوان المخطوط ورقمه ومؤلفه وتاريخ وفاته وبداية المخطوط ونهايته ونوع الخط وتاريخ النسخ واسم الناسخ وعدد الأوراق والأسطر والمصادر والمراجع. ومع عدم توفر هؤلاء الطلبة على تكوين مستقل في مجال فهرسة المخطوطات وعدم تدريس مادة في مجال علم المخطوطات عامة بلغة صنع فهارسه، فقد صنعوا فهرساً يحترم الجهد المبذول فيه.

### ثانياً- المطبوعات :

وهي النسبة الغالبة على الرصيد إذ يقدر عددها بحوالي 10600 مطبوع وتتنوع إلى :

12- في إطار بحث الإجازة بإشراف الأستاذ أحمد فكير، بكلية الآداب بأكادير، 1999-2000.

- مطبوعات : أكثر من 10000 مطبوع حديث.
- مطبوعات حجرية : 30 عنوانا.
- دوريات : 50 عنوانا. منها على سبيل المثال: دعوة الحق، والإيمان، والإرشاد، والكلمة، والمواهب، والصديق، ومجلة كلية الآداب بالرباط، ومجلة دراسات كلية الآداب بأكادير، والإحياء، ومجلة دار الحديث الحسنية، ومجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد...
- جرائد وصحف غالبها قديم : 40 عنوانا.
- بحوث جامعية : أكثر من 100 بحث تشمل بحوث الإجازة ودبلوم الدارسات العليا المعمقة ومراكز التكوين التربوي والدكتوراه.
- كما تضم الخزانة عددا قليلا من الموسوعات مثل معلمة المغرب، وكتبا باللغات الأجنبية خاصة الفرنسية، وأوائل المطبوعات السلوكية الصادرة بالمغرب وتونس ومصر والهند.. تعود إلى بداية القرن العشرين إضافة إلى عدد من نشرات المستشرقين لبعض كتب التراث العربي الإسلامي في أوروبا تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثل :
- تاريخ مصر الحديث، جرجي زيدان، 1889.
- الكافي في تاريخ مصر الحديث والقديم، ميخائيل شارونيم، 1898.
- ديوان ابن التعاويذي، 1903.
- أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم، المقدسي، 1906.
- الحضارة الأوربية في القرن التاسع عشر، جفري برون، 1914.
- الآثار الباقية عن القرون الخالية، محمد البيروني الخوارزمي، 1923.
- كتاب أصول الدين، عبد القادر التميمي البغدادي، 1928م.
- وبالنسبة لفهارس هذا الرصيد، فقد قام طلبة من كلية الآداب بأكادير بتصنيف المطبوعات وفق الفنون في نطاق بحوث الإجازة. إلا أن الفهارس الورقية تبقى قاصرة في الوقت الراهن الذي صارت فيه الفهارس الالكترونية أو قاعدة البيانات المعلوماتية أسهل في التماس المعلومات وأكثر اختصارا للوقت والجهد.



ومما يلحظ على هذه المطبوعات ما يأتي :

أن عددا منها اختفى خصوصا من أوائل المطبوعات المغربية مثل أخبار ابن تومرت للبيذق وبعض المطبوعات السوسية خاصة أعمال المختار السوسي مثل الإلغيات وخلال جزولة وسوس العالمة والحركة الفكرية لمحمد حجي والتحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور وتاريخ تطوان لمحمد داود ومعجم المؤلفين لرضا كحالة والمحرر الوجيز لابن عطية ومعجم البلدان لياقوت الحموي.

أن عددا منها تخلله البتر في العديد من صفحاته، فتجد كتابا ذهب نصفه أو ثلثه بفعل فاعل، وقد وقفت على أحد أعداد مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد بتر منه مقالان بقدر صفحات عديدة. كما يوجد بتر كبير في معجم المطبوعات العربية والمعرية ليوسف سر كيس، ونقصت أجزاء كثيرة من كتاب المعسول للمختار السوسي تم تداركه بالتصوير، وعن هذا يقول الأستاذ عمر المتوكل الساحلي: "لو أن خزانة المعهد لم تقبل تلك الكتب المتورجلها لذهبت أدراج الرياح، ولحرم منها الطلبة والباحثون، كما حرموا من خزانات سوسية أخرى نهبت في الحروب التي مهدت الطريق لاستعمار قبائل جزولة سنة 1934، وحبذا لو جمعت جميع الخزانات المهملة بسوس في خزانة واحدة أو في خزائن حضرية في كل من تارودانت وأكادير وتزنيت، لتعم الفائدة بها والاستفادة منها، ويستمر الثواب لصاحبها ما دام الانتفاع بها مستمرا. أما أن تبقى مهمة وعرضة للأرضة والضياع المحقق فذلك هو الضلال بعينه"<sup>13</sup>.

إضافة إلى ما تعانيه هذه المطبوعات مثل غالب الرصيد بالخزانة من إهمال وتدهور، فإلى جانب الآفات البشرية، تعاني من الآفات الطبيعية والفيزيائية، مما سبق ذكره بالنسبة للمخطوطات.

أما فيما يتعلق بمصادر هذه المطبوعات خصوصا الحديثة منها، فذاك جله من بعض الجهات الداعمة للخزانة التي تهدي إليها عددا من منشوراتها أو مقتنياتها، خاصة من وزارة الثقافة. وتستفيد الخزانة من تحييس الكتب أو توقيفها من لدن المحييسين الآتين، ومنهم :

- المؤسسات : ومنها أكاديمية المملكة المغربية، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وجمعية علماء سوس، ورابطة علماء المغرب، والمجالس العلمية المحلية لتارودانت وتزنيت والدار البيضاء، والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط، ومنظمة الإيسيسكو بالرباط، ومعهد تنسيق التعريب بالرباط، والخزانة الحسنية بالرباط، والمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (الخزانة العامة سابقا) بالرباط،

13 - الساحلي، المعهد الإسلامي بتارودانت: 181/1.

والمندوبية السامية لقدماء المقاومين بالرباط، ومركز التوثيق للجماعات المحلية، ومؤسسة آل سعود بالدار البيضاء، ودار الثقافة بالدار البيضاء، وكلية الآداب بأكادير وكلية الشريعة بأيت ملول، ومن خارج المغرب: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر بليبيا، ومركز الفيصل بالسعودية، ومركز النور للدراسات والبحوث بإستانبول في تركيا، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ومركز الملك فيصل بالسعودية..

- الأفراد : فجزء منهم من رواد الخزانة مداومون على مدها بالمطبوعات سواء من مؤلفاتهم الخاصة أو من غيرها التي يحصلون عليها بالاقتناء أو الإهداء، وهم الكثرة الكاثرة. وجزء آخر تمت مكاتبتهم، خاصة من المؤلفين فاستجاب غالبهم ومنهم: الأستاذ الدكتور عباس الجراري الذي حبس على الخزانة أزيد من أربعين كتابا، وعدد كبير من أساتذة كلية الآداب بأكادير وكليات أخرى.

#### طريقة التصنيف :

تعتمد الخزانة نظاما خاصا في تصنيف محتويات رصيدها من المخطوطات والمطبوعات على عكس المعايير التصنيفية الدولية المعتمدة على نظام ديوي المتوسل في تصنيفه بالتخصصات العلمية. فيما يعتمد النظام المتبع في الخزانة على حجم الكتاب لا على محتواه حيث يعمد القيم كلما توصل بكتاب إلى تلمس حجمه أكثر من محتواه لتصنيفه. وقد خصصت لهذا الأمر ثلاث سجلات كل واحد منها خاص بحجم معين، يقيد فيه عنوان الكتاب ومؤلفه وتاريخ طبعه والمعلومات المتعلقة بالكتاب كافة، مع ذكر طريقة دخوله إلى الخزانة واسم محبسه وصفته. ويقوم مبدأ التصنيف على ثلاثة أحجام:

- الحجم الكبير : يرمز له بالحرف "ك". مثال: ميزان الاعتدال، في نقد الرجال للذهبي، 488 ك.

- الحجم المتوسط : يرمز له بالحرف "م". مثال: الإلغيات، لمحمد المختار السوسي، 1815 م.

- الحجم الصغير : يرمز له بالحرف "ص". مثال: كناش الحايك، 986 ص.

- الانخراط : يعد الانخراط بالخزانة مجانيا، حيث يستلزم بعض الوثائق الشخصية فحسب. ويتوصل المنخرط ببطاقة ورقية تثبت صفة المنخرط في الخزانة، كما تُحدث له بطاقة أخرى داخلية تسجل فيها كل الكتب التي تم استعارتها. وقد وصل عدد المنخرطين إلى حدود هذه السنة (2009)



إلى أربعة آلاف (4000) منخرط من مختلف الفئات العمرية والمستويات التعليمية: تلاميذ التعليم الأساسي والثانوي وطلبة المراكز التربوية والمدارس العتيقة والإجازة والدراسات العليا والدكتوراه والفقهاء والعلماء وأساتذة التعليم والأساتذة الباحثين وعموم الناس.. وقد كان الانخراط في بدايات الخزانة يعتمد طريقة بطاقة الإعارة الورقية المؤقتة أو طريقة التبرئة المدرسية. ونشير إلى أن طريقة الاستفادة من الخزانة كانت إلى حدود أواخر التسعينيات تعتمد الإعارة الخارجية، قبل أن يلغى بقرار من أحد مندوبي وزارة الثقافة السابقين، وعُوِّض بنظام الإعارة الداخلية فقط، حيث يسمح للمنخرط بمطالعة أي كتاب طلبه في القاعة المخصصة لذلك.

#### مقترحات:

- إنجاز فهرسة علمية دقيقة لرصيد الخزانة من المخطوطات يقوم بها فريق من المهرسين ذوي خبرة في المجال، بحيث يتم فحص جميع المجاميع والكتب المخطوطة.
- القيام بعملية تحقيق بعض المخطوطات التي تحتوي عليها الخزانة، ومن التي يعد تحقيقها إضافة علمية لمسار البحث العلمي في المغرب.
- ترميم هذا الرصيد من المخطوطات وصيانتها، لأنه أسرع إلى التلف والتآكل، كما نقترح ضرورة رقمنتها بالموازاة مع ذلك، بواسطة أجهزة المساح الضوئي ويتم تخزينها على أقراص ضوئية، بحيث تحفظ ويسهل الاطلاع عليها وتصويرها بواسطة التصوير الفيلمي على شكل ميكرو فيلم.
- تهيئة فضاء الخزانة بحيث يصبح وفق المعايير الدولية في المجال، وخصوصا تهيئة فضاء خاص بالمخطوطات وأوعية لحفظها وأجهزة لقراءتها (القارئات الفيلمية والحواسيب).
- تعزيز الخزانة بما يلزمها من موارد بشرية ومادية، لأنها تعد اليوم من أكبر الخزائن التراثية في جهة سوس ماسة درعة.

## مصادر ومراجع :

- أبو الصواب إبراهيم، دراسة بيبليوغرافية لبعض المخطوطات الموجودة بالمكتبات العامة والخاصة بتارودانت، ضمن أعمال ندوة "تارودانت، حاضرة سوس"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1992.
- بنين أحمد شوقي، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوي، الرباط، 2003.
- الساحلي عمر المتوكل، المعهد الإسلامي بتارودانت، والمدارس العلمية العتيقة بسوس، الدار البيضاء، 1985.
- سزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي، مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم، (الجزء الخاص بالمخطوطات في العالم)، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، وراجعته: عرفة مصطفى، 1991.
- السوسي محمد المختار، المعسول، ج 3، الدار البيضاء، 1961.
- عرض موجز عن المكتبات المغربية مطبوع من إصدارات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، 1974.
- محمد عبد القادر أحمد، المخطوطات العربية في العالم، مجلة المورد، ع 1، 1979.
- المنوني محمد، الخزائن العلمية بمدينة تارودانت وما إليها، مجلة دعوة الحق، ع 280، 1990.
- المنوني محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 2، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1990.
- بيبليوغرافيا الكتب الأدبية المحفوظة بخزانة الإمام علي، إنجاز الطالب: عبد الله العبدلاوي، بحث الإجازة بإشراف ذ. اليزيد الراضي، كلية الآداب بأكادير، 1993-1994.
- فهارس مخطوطات خزانة الإمام علي العامة بتارودانت، إنجاز الطلبة: رشيدة بنهار، حادة الرامي، نعيمة عيروض، بديعة زينوف، إسماعيل أكزاهو، علي تافلاحت، بحث الإجازة بإشراف: ذ. أحمد فكير، كلية الآداب بأكادير، 1999-2000.
- فهرس المكتبات ومراكز التوثيق بالمغرب، من إصدارات المركز الوطني للتوثيق كتابة الدولة للتخطيط والتنمية الجهوية، 1974.
- Mohamed Ibrahim el Kettani, Les sections d'archives et de manuscrits des bibliothèques marocains, in Hespéris Tamuda, vol. IX- fascicule 3, 1962.



## عناية الصوفية بالمكتبات إطلالة من خلال نماذج مغربية

الأستاذ مصطفى بوزغيب

المكتبات أحد أهم مراكز العلم والمعرفة، ونشر الثقافة والدين في صفوف المجتمع، ومحاربة كل مظاهر التخلف والجهل والتطرف، والرقى نحو حضارة التقدم والازدهار، لذلك اعتنى السادة الصوفية بالمكتبات أيما اعتناء، فبادروا إلى تشييد مكتبات ضخمة، جلبوا لها كل نفيس ونادر، وبذلوا فيها كل غال وثمين، وما زالت تقوم بوظيفتها العلمية والحضارية إلى الآن رغم امتداد يد الزمان إليها.

يسلط هذا المقال الضوء على نماذج من المكتبات التي أسسها الصوفية، ونبرز من خلالها قيمتها الحضارية والمجتمعية.

### 1) مكتبة الزاوية الناصرية :

الزاوية الناصرية من الزوايا المغربية المشتهرة بنشر العلم، وتكوين العلماء الفطاحل، أمثال الحسن اليوسي...

مما يميز هذه الزاوية هي المكتبة الضخمة التي تحتوي على نفائس وذخائر جعلتها محط أنظار الباحثين والعلماء في مختلف أنحاء المغرب وخارجه، فهذه المكتبة أسسها الشيخ أبو عبد الله محمد بن ناصر (المتوفى سنة خمس وثمانين وألف هجرية)، وقد جلب إليها عددا كبيرا من الكتب في مختلف التخصصات.

هذا، وقد ساهم نجله الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر (المتوفى سنة تسع وعشرين ومائة وألف هجرية) في إغناء مكتبة الزاوية بالنفائس والذخائر باذلا في ذلك أموالا طائلة، حتى قيل إنه اشترى بمصر في آخر حجاته مائة مثقال ذهب من كتب، ولا يمنعها من مستحقها.

وفي الروض الزاهر: "كان معتنيا بشراء الكتب واقتنائها، حتى قيل: إنه اشترى نسخة من صحيح البخاري بمكة بثلاثة وسبعين مثقالا ذهباً".<sup>1</sup>

وهو الذي جلب إلى المغرب لأول مرة في تاريخه النسخة اليونانية من صحيح البخاري وهي نسخة في عشرة أسفار كتبت بخط مشرقى واضح نقي، وما تزال هذه النسخة موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 481 ق<sup>2</sup>.

وقد ساهم نجله الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري في إغناء مكتبة الزاوية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى حبه للعلم، والسعي وراء خدمته، حيث عمل ما في وسعه لجلب الأصول النادرة، والبحث عنها، فلما حج المرة الثانية سنة 1212هـ، اكتشف نسخة صحيح البخاري بخط الصدي في طرابلس الغرب فاهتم بها وتعلق، وخاطب صاحبها في شرائها، ولما لم يستطع ذلك لارتفاع ثمنها، أخبر بذلك السلطان سليمان بن محمد العلوي الذي وجه رسولا خاصا يحمل ألف مثقال (أو ريال) لصاحب النسخة، فقبل البائع وهَمَّ بحملها إلى الملك، لكن الحرب حالت دون ذلك<sup>3</sup>.

عرفت هذه الزاوية زيادات وتوسعات في مكتبتها الضخمة الفريدة لأن "كل من تولى أمر الزاوية المذكورة يسعى في زيادة كتبها، وغالب من يموت من أعلام الزاوية وأولادها تضاف كتبه إلى المكتبة العامة"<sup>4</sup>. فأصبحت مقصد العام والخاص، ومنبت العلم والعلماء.

من الذخائر والنفائس التي ضمتها الخزانة الناصرية :

• "النسخة الرباعية العتيقة من ثمانية عشر جزءا برواية أبي ذر الهروي التي أهداها الإمام أبو زيد عبد الرحمن المكناسي لشيخه ابن ناصر ثم تنافس كل من تلامذته اليوسي والتاجوعتي والفاصي وأبي الحسن المراكشي على كتابة نسخة منها جيدة مقروءة"<sup>5</sup>.

• "كتاب بهجة النهاية" إشارة إلى "بهجة النفوس" لابن أبي جمرة الذي شرح به مختصره لصحيح البخاري.

1 - تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، الشيخ عبد الكبير الكتاني، 111، ضبط وتعليق: د. أحمد شوقي بنين، وعبد القادر سعود، المطبعة والوراقة الوطنية الحي المحمدي - الداوديات - مراكش. ط 2004/1.

2 - مدرسة الإمام البخاري، يوسف الكتاني، 512/2-513. دار لسان العرب - بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

3 - طلعة المشتري، 164/2. نقلا عن كتاب: مدرسة الإمام البخاري بالمغرب، 514/2، أنظر الهامش رقم 22.

4 - تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، الشيخ عبد الكبير الكتاني، 113.

5 - المزاي، نقلا عن مدرسة الإمام البخاري، 512/2.



• "الجمع بين الصحيحين" للفرغاني.

• "الجمع بين الصحيحين" لعبد الحق الأزدي.

أما ما يوجد بها من شروح البخاري ومسلم وحواشي السنة وغير ذلك من كتب الحديث فلا يحصر كثرة.

## (2) مكتبة الزاوية الحمزاوية أو العياشية

تقع هذه المكتبة في سفح جبل آيت عياش من المغرب، وتبعد عن مدينة ميدلت بنحو 60 كلم جنوبا، أسسها الشيخ أبو عمارة حمزة بن عبد الله أبو سالم العياشي، (المتوفى سنة ثلاثين ومئة وألف هجرية)، صاحب الرحلة العياشية.

كان الشيخ حمزة شديد العناية بجمع الكتب واقتنائها، باذلا في ذلك النفيس والغالي، حتى أصبحت مركزا علميا يضم عددا كبيرا من نوادر الكتب والمخطوطات، ويقصده كل من له شغف بالعلم والمعرفة.

قال عنه القادري<sup>6</sup>: "واعتنى بجمع الكتب، إذ فيها - أي الزاوية - ما لا يوجد في غيرها اليوم في سائر المغرب".

حج العديد من العلماء والباحثين إلى هذه المكتبة العامرة، واستفادوا منها استفادة عظيمة وتحقق لهم ما رغبوا وراموا، حتى أن الحافظ أبا العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي صاحب كتاب "نور البصر في شرح المختصر" اعتمد على هذه المكتبة في تحرير كتابه المذكور، وقال بلسان شكور مقالة تبهر العقول: "وجدت بها ما يملأ العين قررة، ويسلي عن الأوطان كل غريب، دواوين في جل فنون العلم جليلة ينال بها الآمال كل أريب، فأردت أن أعلق من تلك الخزانة على هذا المختصر ما يعود، إن شاء الله، ضياء للبصيرة وقررة للبصر"<sup>7</sup>.

ويكشف لنا الأستاذ محمد حجي عن قيمة هذه المكتبة بقوله: "وهي بحق مفخرة كبيرة لبلدنا، وشاهد ناطق بماضيها العلمي المجيد؛ وحبذا لو صرفت العناية إلى تنظيمها وتيسير سبيل الاستفادة منها والكشف عن كنوزها الدفينة"<sup>8</sup>.

6 - نشر المثاني، 1962/5. تحقيق: محمد حجي، وأحمد التوفيق، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2/2008.

7 - انظر تاريخ المكتبات الإسلامية - مرجع سابق -، 109.

8 - الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، محمد حجي، 69. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1409هـ 1988م.

### (3) مكتبة زاوية وزان :

أسس هذه المكتبة الشيخ أبو محمد مولاي عبد الله ابن إبراهيم الشريف التميمي العلمي، لكن أعظم من كان له الفضل في جمع الكتب وشرائها الشيخ أبو الحسن علي ابن أحمد بن الطيب بن محمد بن مولاي عبد الله الشريف (المتوفى سنة 1226هـ)، قال عنه تلميذه أبو عبد الله محمد بن محمد بن حمزة المكناسي في كتابه : "الكوكب الأسعد في مناقب سيدنا ومولانا علي بن سيدنا ومولانا أحمد"<sup>9</sup> : "كان لا يدخر شيئا سوى الكتب، وكان مهما ذكر له كتاب عند من احتاج إلى بيعه يأمر من يشتريه له ويرضي صاحبه، سيما إذا كان قليل الوجود فيضاعف لصاحبه قيمته، وإذا ذكرت له خزانة كتب في أي بلد كانت، تراه لا يزال يطلب إلى أن يحصلها على يد مقدمي تلك البلدة أو غيرهم. قال: حتى تحصل له من الكتب ما لا يأتي عليه حصر، وكان يأتيه المدرسون والمتعلمون فيعيروها لهم، وترك بعد وفاته خزانة كتب لم يتركها أحد سَمِعْنَا به. وكان أوصى بتلك الخزانة للمسجد الكبير بوزان... وقال لي نقيب أشرف وزان وشيخ زاويتهم الآن مولاي الطيب ابن العربي أن عدد كتب أحباس المسجد الكبير بوزان الآن من نحو ألفي مجلد".

من خلال النص السابق يتبين لنا عظم المكتبة، وأهميتها الكبيرة، وأنه قام بجمع نفائس الكتب ونوادرها ممن لا يقدرها حق قدرها، وكان له الفضل في حمايتها من الضياع، خصوصا في هذا الزمان الذي باع فيه الناس نوادر المخطوطات للأعاجم طمعا في النقود، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ويحكي لنا الشيخ عبد الحي الكتاني أن في هذه المكتبة كتبا عظيمة من أمهات كتب المذهب المالكي، ويقول إن من هذه المكتبة : "انتفع واستمد حافظ المذهب المالكي في المتأخرين الشيخ الرهوني وقت تدوينه حاشيته على الزرقاني على مختصر خليل كما في صدرها. ومن هذه المكتبة أخذ الأصل الذي عليه طبع المنتخب للباجي بمصر"<sup>10</sup>.

وقُلْ مثْلَ ذلك لخزانة الزاوية الدلائية التي تضاهي خزانة الحكم المستنصر الضخمة كما قال الخوات<sup>11</sup>. "وجميعها عشرة آلاف سفر"<sup>12</sup>.

وقد استفاد العديد من العلماء مثل الحسن اليوسي وأحمد المقرئ والعربي بن أبي المحاسن الفاسي من هاته المكتبة في تأليف مؤلفاتهم، وكان مصير المكتبة أن تبددت ثرواتها وتفرقت ذخائرها؛

9 - نقلا عن: تاريخ المكتبات الإسلامية، 117 - 118.

10 - تاريخ المكتبات الإسلامية، 117.

11 - البدور الضاوية، 247/1.

12 - تقايد تاريخية، عبد السلام القادري، 11، نقلا عن الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، 74.



فبعضها تم نقله إلى الخزانة الملكية، والبعض الآخر حبسه المولى الرشيد على المسجد الكبير في مكناس، ونُقل الجزء الآخر إلى خزانة الزاوية العياشية، وخزانة مدينة بزو<sup>13</sup>.

وهناك العديد من المكتبات، لكن سال بها الوادي، وتفرقت أيادي سبأ، كما وقع لمكتبة زاوية أبي العباس السبتي، الذي قال عنها الشيخ عبد الحفي الكتاني: "فلقد بحثت عنها ودخلت بعضها فلم نجد بها ما يشفي الغليل إلا بعض المجلدات المتداولة، نسأل الله السلامة من بلية قلة العلم، وذهاب أهله وفشو الجهل وغلبة أهله"<sup>14</sup>.

بعد هذه الجولة القصيرة حول هذا الموضوع يتبين لنا الدور المحوري والمركزي الذي قام به الصوفية من أجل نشر الثقافة والعلم وسط المجتمع، ومحاربة الجهل والتخلف، وتكوين مجتمع متكامل ومتوازن ثقافيا وروحيا، وهذا هو باب التقدم نحو الريادة، إلا أن هذه المكتبات تحتاج اليوم إلى عناية واهتمام لاسترجاع مكانتها ودورها الحضاري والتاريخي المجيد، مما يستدعي النهوض لخدمتها وترميم أركانها والدفع بها لمسايرة المتغيرات والمستجدات المعاصرة.

13 - تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، أحمد شوقي بنين، ترجمة مصطفى طوي، 137. المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش - ط 2003/1.

14 - تاريخ المكتبات الإسلامية، 123.

### فهرس المصادر والمراجع المعتمدة :

- البدور الضاوية،
- تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، أحمد شوقي بنين، ترجمة مصطفى طوي، المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش - ط 2003/1.
- تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، الشيخ عبد الكبير الكتاني، ضبط وتعليق: د. أحمد شوقي بنين، وعبد القادر سعود، المطبعة والوراقة الوطنية الحى المحمدي - الداوديات - مراكش. ط 2004/1.
- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، محمد حجي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1409هـ - 1988م.
- مدرسة الإمام البخاري، يوسف الكتاني، دار لسان العرب - بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
- نشر المثاني، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي، وأحمد التوفيق، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط 2008/2.



## خزانة جامع القرويين بفاس مراحل تأسيسها، وعناية سلاطين الدولة المغربية بها

الأستاذ حميد لخم

بدأ تأسيس المكتبات بفاس منذ العهد الإدريسي، ففي كتاب المسالك والممالك أن أول مكتبة عربية أسست بالمغرب هي المكتبة الإدريسية، وأن مؤسسها هو: يحيى الإدريسي الرابع، كما يستفاد أن مما جاء عنه، أنه كان عنده عدة من الوراقين ينسخون له الكتب (816/2).

يقول الأستاذ المرحوم محمد بن عبد الهادي المنوني: "كما نشأ بفاس في العصر الإدريسي الأول، أول مكتبة للملوك".

وعلى هذا الأساس، ووفق ما جاء في هذا المصدر أن أول سلطان مغربي سوف يهتم بالمكتبة وشؤونها، هو يحيى الإدريسي، وأن هذه المبادرة، سوف تكون فاتحة خير لما سوف يأتي بعد، وتحكي كتب التاريخ أنه بعد هذه المحاولة، تأتي محاولة السلطان أبي عنان بن السلطان أبي الحسن المريني، حيث سوف يضع الحجر الأساس للمعلمة التاريخية الكبرى، خزانة جامع القرويين، ويبدأ بخزانة خاصة للمصاحف القرآنية، وأودع فيها كما يقول الجزنائي: "جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط، البهي الجليلة، وأباحها لمن أراد التلاوة فيها، بعد أن كتب على كل منها بخط يده لتوقيفها مر الأعوام والليالي والأيام، ونجز لها من قيد لإخراجها من هذه الخزانة وإبرازها وردّها، بصيانتها في موضعها، وإحرازها، وذلك عند الفراغ من حاجة الناس إليه وأجرى لذلك جناية واسعة، وكرامة ورعاية (أنظر زهرة الآس 69).

ومن حسنات السلطان أبي عنان المريني أنه في جمادى الأولى سنة 750 أسّس خزانة القرويين بأعلى المستودع الذي يعرف بمستودع النساء، وأوقفها على العموم.

ووضع لها قانون القراءة والمطالعة والنسخ، وزودها بكتب نفيسة في مختلف العلوم والفنون.

قال ابن القاضي في جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: "وأما خزانة الكتب التي يدخل إليها من أعلى المستودع الذي بها، فإنه لما كان من رأي أبي عنان حب العلم وإيثاره

والتهمهم فيه، والرغبة في انتشاره، والاعتناء بأهله، انتدب بأن صنع هذه الخزانة، وأخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من العلوم، كعلوم الأديان والأبدان والأذهان واللسان، وغير ذلك من العلوم على اختلاف أنواعها". (أنظر 73/1).

ووصفها الجزنائي في زهرة الآس، قال : "وأما خزانة المصاحف التي أمر بها مولانا أمير المؤمنين أبو عنان في قبلة هذا الجامع الناطقة بالخير الجامع، ما لم يسبقه إليه أحد من أئمة هذه الأصقاع، فإنه صورها في ذهنه الثاقب المنير، ثم أبرزها لمن صنع شخصها الجليل، وسهل على الناس تلاوة القرآن في كل وقت من الأوان ووقفها، أي الكتب ابتغاء الزلفى، ورجاء الله الأوفى، وعين لها فيها لضبطها ومناولة ما فيها، وتوصيله لمن له رغبة، وأجرى على ذلك جراية مؤبدة تكرمه وعناية، وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبع مائة (76).

ولازالت المكتبة تحفظ نسخا من المصاحف بخطوط الكتبيين بعضها على الرق، ومكان هذه المكتبة العتيقة لازال قائما، مكتوب فوقها بنحت في الخشب ما نصه : "الحمد لله أمر بإنشاء هذه الخزانة السعيدة، مولانا أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، أيد الله أمره، وأعز نصره، بتاريخ 6 شوال سنة 750 خمسين وسبع مائة".

ثم تأتي المرحلة الثانية من تاريخ هذه المكتبة، فبعد الدولة الوطاسية، جاءت دولة السعديين، فجمعوا أيضا ونقبوا، يقول عبد الحي الكتاني : "وملكهم الأعظم، فخر ملوك المغرب، أحمد المنصور، هو الذي بنى مكتبة جامع القرويين الموجودة الآن وراء محرابه. وأضاف الكثير من الكتب الهامة والمجلدات العظيمة إلى الأحباس، وتزال طغراه إلى الآن على كثير من مجلداتها بالتحجيس، رغما عن الناهبين الذين نهبوا هذه المكتبة..

ويضيف : "ولا زلنا نسمع من ذوي السن والاطلاع، أن المنصور السعدي، لما بنى هذه المكتبة حضر تدشينها بنفسه، وكان حاضرا وقت إدخال الكتب التي حبس، وأضاف إليها، ووضع طغراه بخطه على أولها هناك في عين المكان، جزاه الله خيرا.

ولازال إلى الآن من أعظم آثاره ذلك المصحف العظيم الشأن، في جرمه وخطه وزخرفته وجلده وصندوقه الصدي عبر للناظرين، وآية كبرى للزائرين. وكان للمنصور رحمه الله، سفير خصوصي بالآستانة لابتياح الكتب منها، والتقاطها له. وقد قال عن الآستانة : وكتبها إذاك، سفير المنصور أبو الحسن علي بن محمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد التمجروتي في رحلته : النفحة

المسكية في السفارة التركية : "والكتب بهذه المدينة لا تعد ولا تحصى ولا نهاية لها، والخزائن والأسواق مملوءة بها، جلب إليها كتب كل بلد، جلبنا منها ما يسره الله من كتب مفيدة".

وفي نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي : للإفرايني : "كانت للمنصور عناية تامة باقتناء الكتب، والتنافس في جمعها من كل جهة، فجمع من غرائب الدفاتر ما لم يكن قبله، ولا يتهيأ لمن بعده مثله".

ويعلق محمد بن عبد الحي الكتاني على مكان هذه الخزانة، قائلا : "إلا أن هذا المحل ليس على مقتضى أبنية العصر الحاضر، التي يشهد الجنان واللسان بحسنها وصيانتها للكتب والمكاتب، وعليه : بقاء هذه المكتبة على غير موافق ومناسب لعظمة الآثار الموجودة فيها" (ماضي القرويين/28).

ويقال : إن السلطان أبا الربيع سليمان بن محمد كان مهتما بتوسعة هذه المكتبة، وكان ينوي إضافة خربة بجوارها لأولاد الغرديس.

وفي فترة ملكه - رحمه الله - كانت مكتبة الجامع الأعظم - القرويين - التي بفاس استولت الأرضة على أكثر كتبها، وأفسدت جوهرها حتى تمزقت أشلاؤها وتغيرت أسماؤها، وما خرم منها برسم العارية، ربما أدخله في الإرث طول السنين الماضية أو نودي ببيعه في الأسواق، وإن ادعاه ناظر الوقف قصر به النظر عن موجب الاستحقاق، فأمر رحمه الله بتجديد أمرها بتعيين قيم عليها، وبإحصاء جميع الكتب وإصلاح ما كان قد فسد، بعد أن ينفض تناوله وينفس العثور على أمله، وأسند أمر ذلك إلى الشريف الفقيه أبي عبد الله محمد الطيب بن عبد القادر الفاسي، وذلك عام 1247. وكانت الحكومة الرحمانية من وزير وكاتب لا يعلمون من حال المكتبة السلطانية شيئا، فضلا عن بقية المكاتب المغربية. (تاريخ المكتبات الإسلامية 104).

وقد وصف هذه المكتبة بحاتة رحال، وهو ابن عبد السلام الناصري ذاكرا حالتها أواخر القرن الحادي وأول الذي بعده، فقال : "خزانة القرويين أدركنا بعض الحزم والضبط فيها، ثم تفرقت في أيدي الطلبة شذر مدر، وأعرض متولي النظارة عن تعهدها، فأفضت إلى البيع، لاسميا زمن الوباء إلى الآن، ويا أسفي عليها، فيها من الأمهات الدواوين القديمة ما لم يكن بهذه - يعني زاويتهم الناصرية - وإن تعجب، فعجب لقول الوافي في المسألة الشرفية : إن من مكتبة فاس والعراق اغتنت مكاتب أوربا، (تاريخ المكتبات 125).



كما سوف يهتم بها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، فقد ورد في ظهير خطاب لقاضية بفاس، مولا عبد الهادي : "أن يشد عضد قيم الخزانة العلمية التي بقبلة جامع القرويين الكبرى، وما أضيف إليها من خزانة مسجد الرصيف، وخزانة فاس العليا، وأن يأمر الناظر بإصلاح ما تحتاج إليه كتب الخزائن المذكورة، من إصلاح، وتجديد، وتسفير" أنظر العابد الفاسي الخزانة العلمية بالمغرب ص 71.

وقد احتفظ لنا التاريخ برسائل في غاية الأهمية، تبين حالة الخزانة في بداية لقرن الثالث الهجري، منها رسالة السلطان الحسن الأول، إلى قاضي فاس : محمد بن محمد العلوي، وحيد بناني، وفيها يقارن السلطان بين الماضي المشرق لخزانة كتب القرويين، مع حاضرها، حيث استحال أمرها إلى ضياع وتفريط بسبب إهمالها، وعدم الاهتمام بشأنها، ولذلك تأمر الرسالة بتكوين شبه مجلس للخزانة يحضر فيه - مع القيمين عليها - القاضيان والنظار، وأربعة من العدول، ليعلموا على تلافي واقع الخزانة، وفق الضوابط التي اقترحتها الرسالة، وهذا نصها :

"الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ابن عمنا الأرضي الفقيه سيدي محمد بن محمد العلوي المدغري، والفقيه الأرضي القاضي السيد حميد بناني، أعانكما الله، وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد، فلا يخفى ما كانت عليه خزانة الكتب بالقرويين من الضبط والصيانة والمقابلة والتعاهد، وقد بلغ علمنا الشريف، أن أمرها الآن استحال إلى ضياع وتفريط، بسبب إهمالها وعدم الاهتمام بشأنها، ولأجله تعين إيقاظكم وتنبيهكم وحضكم على رد البال إليها، وإجراء العمل فيها على ما سنقرره لكم من الضوابط والفصول، وحتى تعود بحول الله إلى حالتها الأولى، وترجع إلى ما كانت عليه من الصيانة، وما أسسه السلف الصالح فيها إن شاء الله.

فنأمركم أن تحضروا مع النظار وأربعة من العدول والقيمين إليها، لتصفح كناشها الأصلي، وزمامات المستعيرين للكتب منها، ثم ما وجد لازال عندهم يستخرج منهم، ويرد لمحلها، ومن كان مات منهم يحاز من ورثته، وما وجد خاصا وخارجا عن زمامات العارية ولم يعرف عند من هو، يؤاخذ به المكلفون وقت خروجه من الخزانة، وهم النظار والقيمون، ويغرمونه بنظيره لتفريطهم، ومن وجده الحال ما من أولئك المكلفين، يلزم ورثته الغرم كذلك.

ثم ينتخب لها قيم حازم أمين ثقة : كالتالب علال بن جلون، الذي كان مكلفا بها قيد حياة سيدنا الجد رحمه الله، وتكونان أنتما، والنظار مشرفين عليه.

ويعين لها ناسخ، ينسخ ما كاد أن يتلاشى من الكتب، ومسفر يصلح ما تمزق من الأسفار، وتكون لهم الأجرة، كما عهد للذين كانوا مرشحين لذلك قديما.

وقد كتبنا للنظار بمثله، فلتصرفوا هممكم لتدارك ذلك، فإنه من المهمات التي يتنافس في أحياء مراسمها، وتشيد معالمها، ومن سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين، والسلام في 29 رجب عام 1311هـ".

وهذا نص الرسالة الثانية :

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفقيهين الأرضيين القاضيين سيدي محمد بن محمد العلوي، والسيد حميد بناني، سددكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد : وصل جوابكم بامثالكم ما أمرناكم به في شأن خزانة الكتب التي بجامع القرويين، من تفقدها، ورد البال إليها، وإجراء العمل فيها على ما كنا قررناه من الضوابط في أمرها، إلى آخر ما أصدرناه لكم، وعلمنا ثناءكم على القيمين بها، وكونهما من أفاضل الأئمة، وزيادتكم عليهما ثالثا، وتنبيهكم إياهم على إتباع ما أمرنا به في شأنها، وأنكم بصدد تعيين ناسخ ومسفر لإعادة ما عسى أن يكون متلاشيا بها كما أمرناكم بعد إتمام تصفحكم لها، وأن النظار لا دخل لهم فيها حتى يتوجه الضمان عليهم للتفريط، وإنما هو على القيم بها خاصة، وصار بالبال.

فإنكم لم تعرجوا في جوابكم على نتيجة العمل التي هي بيان ما وجد مفقودا من الكتب، ومطالبة المتقاعدين عليها بها أو ورثتهم، وعليه فنأمركم أمرا جازما، ببيان ما فقد من تلك الكتب، وعدده، وتتبع كنانيش من سلفت نظارتهم على الخزانة المذكورة، كالتالب علال بن جلون ومن بعده، والإعلام بما حصله بحثكم ووقوفكم، ولا بد، والسلام. في 15 شوال عام 1311هـ.

على أن هذا الاهتمام، سوف يتزايد مع سلاطين الدولة العلوية اللاحقين، بعد أن ازداد انحطاطها، يقول الأستاذ محمد المنوني : "ولقد انحط شأن هذه المكتبة حينما من الدهر عما كانت عليه أيام ازدهارها، وذلك بسبب ضياع الكثير من كتبها بالعارية والنهب، وعدم تفقد البقية الباقية منها، وحمايتها من الحشرات، وكادت لو دامت على هذه الحال أن تلحق بأخواتها من المكاتب المغربية الأخرى، وتصبح خبرا بعد عين، ولكن في عهد مولانا الإمام، وأيام والده الهمام، تدورك تأخره، بعد تلاشيها، ونهضت بعد خمولها.



وقد أثرت الحالة السيئة التي لحقت بخزانة القرويين في نفسية المغفور له الإمام المولى يوسف، فوضع الحجرات الأولى لنهضتها، بما أحدث لها من تنظيمات عصرية، وضوابط حديثة تكفل السير بها إلى الأمام.

وسوف تزداد العناية بهذه المكتبة في عهد ابنه السلطان سيدي محمد بن يوسف وهو الذي كان يهتم بكل شيء يرجع إلى العلم، فقد حبس عليها الفينة بعد الفينة، الكثير من الكتب العلمية والمصاحف الكريمة، وأصلح قبة خزانها الكبرى، وأضاف إليها بناية جديدة تشتمل على بيوت ثلاثة، وفي أعوامه الأخيرة، ازداد اعتناؤه بها، فأسس لها من جديد بناية ضخمة، على نمط أرقى المكاتب العصرية، وقد احتفل بتدشينها خلال زيارته التاريخية لها سنة 1326هـ الموافق لـ 1943م.

وقد كان الهدف من هذا، إعطاء صفة مؤسساتية، تسمح لها بالانفتاح على الباحثين من مختلف المشارب، الدينية، والثقافية، بعد أن كان إشعاعها المعرفي مقتصرًا على الدارسين المسلمين طيلة ستة قرون، بالنظر إلى أن نواتها المركزية المرينية موجودة داخل جامع القرويين.

إلا أن الخزانة سوف تعرف تدهورا كبيرا في بنياتها الأساسية خلال العقود الأخيرة، وبدأ التلاشي يتسرب إلى رصيدها من المخطوطات بصفة خاصة، فتحركت بعض الجهات الغيورة منادية بإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وإعادة النظر في بنياتها التحتية، وأجهزتها المكتبية، بعد أن حذر محافظها بالخطر الذي يحيط بها، وإبلاغ الجهة الوصية، فجاء تدخل جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه الداعي إعادة الاعتبار لهذه المعلمة التاريخية، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من دررها الغالية، وأمر بتحديث أجهزتها الأساسية.

كما عين عالين لها خبرة بالكتب، والاطلاع على المخطوطات، وكلفهما بالبحث في المخطوطات والأوراق المبعثرة في غرفة الخروم بالقرويين، ولقد قام هذان العالمان بمأموريتيهما أحسن قيام، واكتشفا نفائس وذخائر كانت تعتبر مفقودة.

وسوف يستمر الاعتناء بهذه المكتبة إلى عهد السلطان الحسن الثاني طيب الله ثراه، الذي سيعين نخبة من رجال الفكر للنهوض بشؤونها.

تم تصل ذروتها من العناية والاهتمام، في عهد مولانا السلطان سيدي محمد السادس - نصره الله وأيده - الذي سوف يعمل على تحديث آلياتها، ويزودها بما تحتاج إليه، مع إحداث مختبر خاص لترميم مخطوطاتها، وسوف يدشنها في زيارته التاريخية لها، في شهر شتنبر سنة 2004م.



ومن مظاهر عناية ملوك الدولة المغربية بهذه الخزانة العامرة، تحييساتهم الكثيرة العدد عليها. يقول الأستاذ محمد بن عبد الهادي رحمه الله : "ثم لم يزل الملوك والأمراء، يجلسون عليها نفيس الدفاتر وجليل الذخائر، في مختلف العصور، ومتنوع الفنون، فقد أوقف عليها ملوك المرينيين، وملوك الوطاسيين الشيء الكثير، ثم أوقف عليها المنصور السعدي وأولاده، كثيرا من مخطوطاته، وفي الدولة العلوية كثر تحييسهم عليها، سيما السلطان الجليل سيدي محمد بن عبد الله، الذي أوقف عليها قسما كبيرا من خزانة جده المولى إسماعيل، بل إن روح الاهتمام بالتحسيس على هذه الخزانة من لدن الدولة العلوية كان حتى من أميراتها، فقد حبست وما بالعهد من قدم، إحدى عمات مولانا الإمام المؤيد بالله على مكتبة القرويين، كمية وافرة من الكتب القيمة النادرة".

(أنظر : دور الكتب في ماضي المغرب صفحة 58).

ويستفاد من هذا، شيوع الوعي الكبير لدى سلاطين المملكة المغربية الشريفة، بأهمية هذه الثروة المهمة، والذخيرة القيمة من الكتب، التي كانت بخزانة القرويين، وكذا أهمية الوقف الثقافي في إغناء دور الكتب، وحرصهم - رحمهم الله - على التشجيع على القراءة وتعميمها، ونشر الوعي والتنافس في خدمة العلم والعلماء، ودعم الخزانات العمومية.



## وقفية خزانة الشيخ عبد الرحمان الدكالي ذو النعمتين

الأستاذ عبد الرحمان الصديقي

اعتبر المغاربة وقف الكتب - أكثر من غيرهم - ضمن أعلى مراتب أعمال الخير والبر وأحسن أوجه الإحسان إلى الإنسانية عامة طبقا لتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، ويترتب عن ذلك الأجر الجزيل والثواب العظيم الذي يعود بالنفع على المسلم بعد وفاته. لذلك كان تحبيس الكتب النواة الأولى لتأسيس مكتبة عامة بعد أن كانت حبيسة رفوف البيت.

كان الطموح في البداية شراء كتاب لقراءته تم أضيف إليه ثان وثالث إلى أن تأسست خزانة صغيرة بسيطة في ركن من البيت، ثم طعّمت بما استجد من إصدارات تم الحصول عليها بالشراء أو الإهداء...، ومن هؤلاء المغرمين بجمع الكتب من أوصى بإهداء أو تحبيس خزائنه الخاصة بعد وفاته على الخزانات العامة أو خزانة مسجد أو زاوية أو مدرسة عتيقة لينتفع بها طلبة العلم.

وأوردت عدة مصادر الكثير من أخبار هؤلاء الفضلاء الأخيار الذين حبسوا خزاناتهم الخاصة وجعلوها وقفها لله منهم الشيخ عبد الرحمان الدكالي الذي رزقه الله امرأة بارة به حيا وميتا محافظة على تراثه الثري والشعري حتى لا يبقى حبس الرفوف، حيث عملت الزوجة الفاضلة الحاجة فاطمة لغزائل على إخراج تراث الشيخ إلى الوجود ونفذت جميع وصاياه مع تكليف ابن أخته الحاج محمد الصديقي الذي بذل جهدا كبيرا لتحقيق رغبتها بعد أن تكلفت بالنشر والإنفاق على هذا التراث العلمي.

وكان الشيخ عبد الرحمان الدكالي من أوائل العلماء الذين ألقوا دروسهم الرمضانية أمام جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، والملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وحضرها مدة تزيد عن خمس وعشرين سنة.

ومن عجيب الصدف أنه طلب من المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه بناء دار للحديث النبوي الشريف وكان ذلك عام 1388هـ/1966م، ويكفيه فخرا كسبه ثقة الملك الراحل حيث



عينه مرشدا عاما للقوات المسلحة الملكية، فكان يقوم بتربية الجند في ثكناتهم على حب العلم ومحاربة الأمية وأداء الشعائر، وتقلب في عدة مناصب سامية وكلف بأكثر من مهمة حيث أسندت إليه رئاسة المجلس العلمي لإقليم الجديدة، وكان عضواً بأكاديمية المملكة، بعد أن كان كاتباً عاماً بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومكلفاً بمهمة بالكتابة الخاصة لجلالة الملك كما نال عدة أوسمة ملكية من طرف المغفور لهما جلالة الملكين محمد الخامس والحسن الثاني طيب الله ثراهما، كما حصل على أوسمة من رئيسي جمهوريتي مصر وتونس وملك المملكة العربية السعودية وهكذا وافته المنية بعد صلاة الصبح بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، فجر يوم الأربعاء ودفن في البقيع عام 1983م.

ومن ميزات هذا الشيخ أنه حبس خزانة كتبه العلمية العظيمة في سبيل الله وأوصى بأن تودع بالمجلس العلمي بالجديدة، وكأنه استشعر قرب أجله ليفعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: "إذا مات العبد (وفي رواية ابن آدم) انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

صاحب هذه الخزانة هو العالم العلامة الأديب الشاعر ابن شيخ المحدثين المغفور له بكرم الله سيدي شعيب الصديقي الدكالي، ولد بمكة المكرمة من أم مكية تدعى جميلة، سنة 1905م وتوفي بالمدينة المنورة عام 1983م، وبذلك نال شرف المولد والوفاة حفظ القرآن الكريم منذ صغره ثم أتبعه بالقراءات السبع، فدرس علوم العربية والفقه والحديث بدءاً بوالده أبي شعيب، وعلى غيره من علماء المشرق مثل الشيوخ: محمد بخيت والمراغي شيخ الأزهر، ومحمد رضا صاحب المنار... ومن المغاربة الشيوخ التهامي الدكالي القاضي، وعبد القادر العاصمي، ومولاي عبد الله بن الطيب اكديرة، ومحمد بن أحمد حكم، ومحمد بن أحمد فتحا، ومحمد بن عبد العزيز بن عبد الله، ومحمد بن عبد القادر بنين، ومحمد المسطاسي، والمهدي الرحاني، وغيرهم كثير...

## نص التحسيس

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ملأ صدورنا بالإيمان، وعمر قلوبنا باليقين، فأثار بصيرتنا وبصائرنا، وهدانا النجدين، وأوضح لنا السليلين، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يخلقنا عبثا في هذه الدنيا، ولم يتركنا سدى، بل أوجدنا لنعبده حق العبادة لقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، فنمثلة أوامره، ونتجنب نواهيه، ونؤمن به إيمانا كاملا فنعمل الصالحات، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر حتى لا نكون من الخاسرين: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وهو سبحانه وتعالى فاتح الهبات والعطايا، ومقدر الأشياء وما فيها من الخصائص والمزايا. نحمده جل جلاله على ما أوى وتفضل به من النعم، ونشكره عز ثناؤه على ما أهدى من الخير والكرم، وأنه كرم بني الإنسان بالعقل والبيان، ووقفهم لأعمال البر والإحسان، ورتب على ذلك المغفرة والرضوان مصداقا لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾.

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله، الصادق الأمين وصفيه وحببيه، الشفيع يوم الدين، أرشد إلى الهدى، ونهى عن الفحش والمنكر، وأوضح للمؤمنين الطريق المثلى، وهداهم إلى سبيل الرشاد والعلا، القائل كما في الصحيح: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). اللهم صل وسلم على سيدنا محمد أكرم الكرماء، وسيد الشفعاء، وأفضل الأنبياء، وإمام الأتقياء، وعلى آله الأولياء، وصحابته الأصفياء، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم التنادي واللقاء. أما بعد؛

فلما كان المؤمن مدعوا إلى المساهمة في نشر الثقافة الدينية، والسعي إلى إصلاح مجتمعه بالحث على التعلم، والارتواء من معين الثقافة والتهديب بما يعود عليه بالمنفعة من أعمال الخير وأنواع البر مما يقدمه بين يديه لآخرته، ويجده حاضرا موفورا يوم الفزع الأكبر في عدته ورصيده، وحيث كان من الأعمال المنجية، والوسائل الواقية، والمكرمات الخالدة الباقية، بناء المساجد والمعاهد والمدارس وخزانات الكتب، وتوقيفها، والإنفاق عليها حتى تستدام منفعتها، وتبقى لها فعاليتها ومزيتها، ويعم نفعها والانتفاع بها، وكانت رغبة الفقيه العالم العلامة الجليل الأديب الشاعر الأصيل الضابط الحازم النبيل سيدي عبد الرحمان بن شيخ المحدثين بالديار المغربية العلامة الداعية إلى التمسك بالسنة



المحمدية، العلامة الدراكة المحدث الفهامة الوزير المغفور له سيدي شعيب بن المنعم الأكرم سيدي عبد الرحمان الصديقي الشهير بالدكالي، تجبىس كتب خزانته العامرة المليئة بمختلف الكتب العلمية النادرة، لتكون نواة لتأسيس خزانة المجلس العلمي لمدينة الجديدة، لترسيخ الثقافة، ونشر العلم بهذه الديار حتى ينتفع الباحثون من طلاب هذه المنطقة وغيرهم من الباحثين، من نفائس كتبها، وما تزخر به من معلومات ثقافية فذة، غير أن المنية عاجلته قبل أن يحقق رغبته، وينفذ إرادته، إذ كانت إرادة الله وقدرته أسبق من إرادته، حيث عاجلته المنية قبل إنجاز مبتغاه، حيث توفي عن أهل الإحاطة بإرثه الذين هم زوجه السيدة الحاجة فاطمة بنت المرحوم السيد محمد بن المنعم السيد عمر الغزایل، وولده منها الشقيقان الطالب السيد محمد، والأنسة أميمة، ولا وارث له سواهم حسبما بموجب إرثته المؤرخ بثمان من شعبان الأبرك عام 1403هـ، والمضمن بعدد 162، وصحيفة 102 ك3 رقم 118 بمحكمة التوثيق بالرباط، واحتراما وتقديرا لروح موروثهم المذكور، وتلبية لرغبته الأكيدة، وتنفيذا لإرادته السامية فقد التمست زوجه الأثيلة من سيدنا المنصور بالله التفضل بإصدار أوامره السامية لتحقيق أمنية زوجها المنعم المذكور، حيث أصدر أمره المطاع للسيد وزيره في الأوقاف والشؤون الإسلامية لتنفيذ ما ذكر، فتوجه شهيداه ساعهما المولى بمنه وكرمه، ورفقة السيد رئيس قسم التوجيه الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ السيد أسارة محمد بن السيد محمد بن السيد موح المغربي جنسية، المولود في سنة 1954م، بتعريفه الوطني عدد 117927 ن، من الأمن في 1987/4/23م، إلى منزل سكنى الهالك المذكور بشارع الإمام مالك بالرباط، حيث حضرت زوجه الفاضلة الجليلة الأيم السيدة الغزایل فاطمة المذكورة المولودة في 1932م حسبما بتعريفها الوطني عدد 118481 أ من الأمن في 1988/7/8م، في حق نفسها، نيابة عن بنتها أميمة المولدة في 1977/5/17م لما لها من الأولوية الشرعية عليها، وابنه الشاب الأديب الطالب الأديب السيد الصديقي محمد المولود في 1965/11/26م، بتعريفه الوطني عدد 247544 أ، من الأمن في 1994/12/15م، فأشهدا معا أنهما حسبما جميع كتب خزانة موروثهم الفقيه العالم سيدي عبد الرحمان الصديقي، الشهير بالدكالي على المجلس العلمي لمدينة الجديدة، حيث كانت هي النواة الأولى التي أسست بها خزانة كتب المجلس المذكور، والتي كان يطمح في تسميتها "بالخزانة المحمدية"، لمؤسسها عبد الرحمان الدكالي. ويبلغ مجموع هذه الكتب المحبسة المذكورة ثلاثمائة وتسعة عشر كتابا، بجميع ما لها من المنافع، لتكون حسبما مؤبداً ووفقا مخلدا على المجلس العلمي المذكور، وذلك كله تلبية وتنفيذا لرغبة وإرادة موروثهم المنعم الفقيه العالم الأديب سيدي عبد الرحمان الدكالي المذكور، فقبل منهما السيد أسارة محمد ممثل السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الحبس المذكور، معترفا بحيازته لجميع الكتب



المذكورة، حيث توجد بمقر المجلس العلمي المذكور حوزا تاما، مطمئنا السيدة الغزايل فاطمة وابنها السيد الصديقي محمد المذكور بأن الوزارة ستكون عينا ساهرة على الكتب المذكورة، وصيانتها وحفظها من أي تلف حتى تؤدي الغاية من تحبيسها، لنشر الثقافة والتعليم بدائرة المجلس العلمي بالجديدة، وبالتالي لكل الباحثين والدارسين، للارتواء من معلوماتها الفذة النادرة، وشاكرا لهما أريحيتهما، وحسن صنيعهما، ثم هناهما على صدق أمانتهما ووفائهما لموروثهما المذكور، داعيا له بالمغفرة والسلوان.

وقد تلقى هذا الإشهاد العدلان محمد بن محمد بن عبد السلام البرنوسي، والطيب بن عبد السلام أكديرة المنتصبان للإشهاد بالدائرة القضائية للمحكمة الابتدائية بالرباط، على الساعة 10 من صباح يوم الجمعة خامس عشر صفر الخير عام ستة عشر وأربعمائة وألف، 1416/05/15هـ، الموافق لرابع عشر يوليوز سنة خمس وتسعين وتسمعمائة وألف، 1995/07/14م، كما بمذكرة حفظ الأول عدد 277، وصحيفة 168 رقم 3. وحرر بتاريخه.

المملكة المغربية - وزارة العدل

المحكمة الابتدائية بالرباط

قسم قضاء الأسرة، شعبة التوثيق

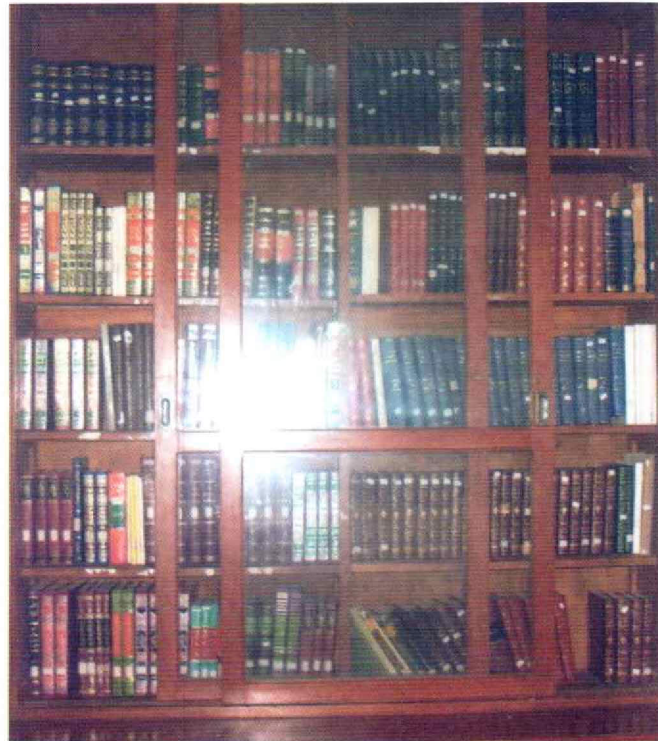
## رسم إشهاد إصلاحي

الحمد لله وحده، وعن إذن من يجب أمنه الله وأرشدته مشافهة تلقينا نحن العدلين عبد السلام قندوسي ومحمد بن محمد البرنوسي المنتصبين للإشهاد بالدائرة القضائية للمحكمة الابتدائية بالرباط، قسم قضاء الأسرة، شعبة التوثيق هذا الإشهاد الإصلاحي على الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ثاني عشر صفر الخير عام سبعة وعشرين وأربعمائة وألف، الموافق لثالث عشر مارس سنة 2006م، ألفين وستة، كما بمذكرة حفظ العدل الأول عدد 264، وصحيفة 598 رقم نصه :

هذا وبعد ما كانت السيدة الحاجة فاطمة بنت المرحوم السيد محمد بن عمر الغزایل إسمًا عائليًا، وولداها السيد محمد الصديقي، والسيدة أميمة الصديقي من زوجها الفقيه العلامة سيدي عبد الرحمان ابن شيخ المحدثين العلامة الداعية سيدي شعيب بن المنعم الأكرم سيدي عبد الرحمان الصديقي الشهير بالدكالي، حبسوا جميع خزانة كتب موروثهم زوج الأولى ووالد الأخيرين بما اشتملت عليه من كتب علمية نادرة على المجلس العلمي لمدينة الجديدة، حيث كانت هي النواة الأولى التي أسست بها خزانة كتب المجلس العلمي المذكور، حيث ذكر لشهيدتي رسم الحبس المذكور أن مجموع الكتب المحبسة هو ثلاثمائة وتسعة عشر كتابًا حسبًا برسم الحبس المؤرخ 1416/02/15 هـ الموافق 1995/07/14 م، والمضمن بعدد 2516، كناش المختلفة رقم 10 بذي المحكمة حضرت الآن لدى شهيدتي السيدة الحاجة فاطمة الغزایل أيم الفقيه العلامة سيدي عبد الرحمان الصديقي المذكور، الساكنة بحي الرياض، شارع النخيل، عمارة السلام، الطابق الثاني رقم 8 بالرباط، المولودة في 1932 م، بتعريفها الوطني A118481، وبعد ما ذكرت لنا بأنه وقع لها ولابنها محمد الصديقي وقت الإشهاد بتحسيس خزانة الكتب المذكورة على المجلس العلمي بالجديدة غلط في عدد الكتب المحبسة المشار إليها، إذ يبلغ عددها الحقيقي ثلاثة آلاف ومائة وسبعة عشر كتابًا، مفصلة على الشكل الآتي منها :

- كتب التفسير ويبلغ عددها مائتين وواحد وأربعين كتابًا (241).
- وكتب الحديث أربعمائة وثمانية وستون كتابًا (468).
- وكتب الفقه مائتان وسبعة عشر كتابًا (217).
- وكتب قواعد اللغة ستة وستون كتابًا (66).
- وكتب المعاجم مائة وثمانية وأربعون كتابًا (148).

- وكتب الآداب ثلاثمائة وثمانية وسبعون كتابا (378).
  - وكتب التاريخ خمسمائة وتسعة وعشرون كتابا (529).
  - وكتب الفكر الإسلامي مائتان وأربعة وخمسون كتابا (254).
  - وكتب الثقافة العامة مائتان وأربعة كتب (204).
  - ستمائة واثنان عشر مجلة.
- الجميع 3117، مشهدة بأنها إذ تدلي بهذا الإشهاد الإصلاحي تقصد من ورائه إظهار العدد الحقيقي للكتب المحبسة على الخزانة المذكورة. حضرا حضورا وإشهادا تامين، عرفت قدره وشهد به عليها من أشهدته به وهي بآتمه، بتعريفها. وحرر بعد تاريخه.





## الكلمات التي ألقى يوم حفل تحبيس الكتب على الخزانة المحمدية

كلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد الهاشمي الفيلاي  
بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين

صاحب السعادة عامل صاحبة الجلالة، أصحاب السعادة النواب والمنتخبين، سيدي وأستاذي وشيخنا جميعا وأستاذ هذا الجيل، ومربي هذا الجيل على المثل العليا وعلى محبة الدين، وعلى الشغف بالعروبة والإسلام، إخواني، نشكر صاحب السعادة عامل صاحبة الجلالة الذي أتاح لنا هذه الفرصة لأن ندشن هذه المآثر، ويسرنا جميعا أن يكون هذا التدشين، وهذا الاحتفال في غمرة هذه الأعياد المجيدة، أعياد النصر، وأعياد المجد، وأعياد ذكريات العرش المجيد.

ندشن هذه المآثر، ونستخلص منها عبرا ورموزا عظيمة، فنندشن في هذا المكان المقر والمركز للمجلس العلمي لإقليم دكالة، ويشرف هذا المجلس، ويشرف هذا الإقليم أن يكون على رأس هذا المجلس أستاذ ومربي وخادم سيدنا جلالة الملك نصره الله.

فهذا المجلس الذي يحظى بهذه الرئاسة العظيمة، لمحدث وعالم وأديب، هذا المجلس الذي يحظى بهذه الرئاسة التي تمثل عالم الإسلام في سعة ثقافته، وشمولية معرفته، وبداهته، هذا المجلس حقيقة يجب أن يكون في مستوى هذه القيمة، ويجب أن يكون القدوة لكل المجالس، مجالس المملكة المغربية، ولقد أراد صاحب الفضيلة شيخنا أن يعطي المثل لكل المجالس، ولكل رؤسائها، أن يعطي المثل ليس فقط بالتبليغ، وليس فقط بالدعوة ولكن أراد أن يعطي المثل بالجود على أبناء هذا الشعب بأعز ما يملك العالم وهو الكتاب.

فلكل واحد هوايا في الحياة، ولكل واحد ما يعز عليه، وأعز ما عند العالم هو الكتاب، فحينها يجود شيخنا على هذا الإقليم بمكتبته، معناه أنه جاد على هذا الجيل، وجاد على هذه المدينة، وجاد على هذا الإقليم الحافل بالأعاجاد والتاريخ، جاد عليه بأعز ما يملك.

فلذلك يجب أن يكون، وأن تكون هذه المكتبة هي أعز كذلك ما تحتفظ به هذه المدينة، وأعز ما تحتفظ به هذا الإقليم، لأنها رمز لأعز ما يملك العالم.

وفي الحقيقة ليس غريبا عن شيخنا وأستاذنا ومعلمنا حينما يجود بهذه المكتبة، فهذا البيت بيت أبي شعيب الدكالي، جاد على أمة الإسلام، وعلى بلاد العروبة بالعلم والسلفية وبالهداية وبالإرشاد. وإن طليعة بعث الفكر الإسلامي، وبعث الوعي الديني، وإن طليعة النضال ضد الخرافات، وضد الجهل، وضد التضليل، وإن الرمز والإعلان بكلمة الله كان أول ما تلقينا منه، ذلك هو والد هذا العالم الجليل، فلذلك من جاء على أصله فلا سؤال عليه. والشيخ أبو شعيب الدكالي، وحينما يعتز شيخنا بأنه دكالي، يعتز بهذه الأجداد، ويعتز بهذا التاريخ، ويعتز بهذا التسلسل. وصاحب الجلالة نصره الله حينما أسس هذه المجالس العلمية، وحينما فكر في أن يكون لكل إقليم مجلس، أراد بذلك استمرار رسالة الإسلام، واستمرار الدعوة إلى الله، واستمرار رسالة المسجد كمعهد وكمدرسة للتبليغ، وكماوى للمؤمنين والمتعبدين، وحينما أراد صاحب الجلالة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تعطي لهذه المجالس ما يجب أن يعطى لها من إمكانيات، ومن وسائل للعمل، أراد بذلك أن يكون للعمل الإسلامي في أرض الإسلام، وفي بلاد الإسلام العمل المستمر، والمركة التي تواجه الانحراف، وتواجه الضلال، وتواجه الخروج عن طاعة الله.

حينما أراد صاحب الجلالة أن تقوم المجالس بمهمة الدعوة، وبمهمة الإرشاد، وبمهمة إحياء الكراسي العلمية، وبمهمة زيادة الأندية ومآوى الشباب ودور التعليم.

حينما أراد جلالته الملك من العلماء أن يقوموا بكل هذا، أراد بذلك أن يصون جيلنا، وأن يصون ناشئتنا من الإلحاد، ومن الانحراف، ومن كل المستوردات التي تبعدنا عن حضارتنا، أو عن أصالتنا، أو عن تاريخنا، أو عن ديننا. أراد صاحب الجلالة أن يحفظ لهذه الأمة مقدساتها، وأن يحفظ لها مستقبلها، وأن يصونها مما يقاسي منه العالم الغربي، والعالم الأوربي من مآسي الماديات، ومآسي الميوعة والإباحيات، ومآسي الإجرام والطغيان. حينما أراد صاحب الجلالة أن يكون لهذه المجالس دور التوعية، ودور التعبئة، وأن يجعل من الإسلام ممارسة وعملا وعبادة.

حينما أراد أن يجعل من المجلس ملتقى المؤمنين، ملتقى ومربط أفئدة المسلمين، أراد بذلك أن يحفظ لأمتنا المغربية، ولوطننا المغرب وحدته واستمراره واطمئنانه، الاستقرار والاطمئنان الذي فقدته كثير حتى من أمة العروبة والإسلام. أراد أن يحفظ لهذا الوطن، وأن يحفظ لهذه الأمة وحدتها الدينية، وأن يحفظ على هذا الشعب تعاطفه الإسلامي حتى لا نقع فيما وقع فيه غيرنا في أرض العروبة والإسلام من تناحر، من طائفية، من تفرقة، من عنصريات فرقت الشمل في كثير من أرض العروبة، والتي أضعفت قوتهم، والتي استنقصت من أرضهم، والتي أذلتهم وجعلتهم طعمة حتى



للصهاينة، فلذلك نحن في هذا البلد الأمين الذي يعتز بمظاهر هذه الوحدة، وبمظاهر هذه القداسة، ويعتز بهاته المقومات الحضارية والثقافية والدينية. يجب أن نكون جميعا كعمال لجلالته، كأعضاء ونواب وممثلين في المؤسسات الديمقراطية والجماعية. يجب أن نكون جميعا في مستوى هذه المسؤولية، وفي مستوى هذه الأمانة، لأن المغرب لا يعيش لحاضره فقط، ولكن يعيش لحاضره ومستقبله.

فلسنا نحن الأمة التي يتساءل فيها عمن نحن ؟ أو عماذا نريد ؟ إننا الأمة التي تجر من ورائها أربعة عشر قرنا من المجد، ومن العظمة، ومن التاريخ. والأمة التي كانت قنطرة العبور للإسلام وللعروبة في إفريقيا وفي أوربا، هذا المغرب العظيم في تاريخه، والعظيم في أمجاده، والذي استرجع وكان أول من استرجع حريته واستقلاله بتضحية ملكه، وبنضال وطني هذا الشعب، هذا المغرب الذي يعيش اليوم أمجاد هذا التاريخ، ويحيي ذكريات عيد العرش، ولكن ما أجمل هذه الذكريات، إذ نحياها بتدشين المآثر، وبتدشين الأعمال، وبتدشين المؤسسات، فهذا في الحقيقة رمز من رموز الاتجاه القويم الذي يريده صاحب الجلالة لهذه الأمة.

فهو نصره الله لا يريد أن تكون احتفالاتنا احتفالات عابرة، ولكن يريد أن تكون احتفالاتنا احتفالات البناء، واحتفالات التشييد، واحتفالات العمل للمستقبل.

وإذا احتفلنا بهذه الأمجاد، وبمناسبة عيد عرش جلالة الملك نصره الله، فإننا نحتفل في الوقت نفسه بما أصبح المغرب والله الحمد يتمتع به من مكانة، ومن مقام، ومن قيادة، وليس فقط للمغرب، ولكن لكل أرض العروبة، ولكل بلاد الإسلام، فجلالة الملك نصره الله حينما قاد مسيرة توحيد الأمة العربية، وحينما قاد توحيد رؤيتها إلى ما تتطلع إليه من تحرير، ومن إنقاذ للقدس ثالث الحرمين الشريفين، ومن إنقاذ لفلسطين. حينما قاد جلالة الملك مسيرة توحيد الرأي العربي، وتوحيد الرؤية العربية في معركة الجهاد والنضال في العالم الدولي، وفي المجتمعات الأممية. حينما قاد هذه المسيرة، مسيرة النصر، أعطى للمغرب بعدا عظيما، وبعدا عالميا فلذلك يجب أن نشكر الله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. يجب أن نكون في مستوى هذه المهام، وفي مستوى ما يطمح إليه سيدنا نصره الله في هذه الأمة، وفي كل أرض العروبة والإسلام.

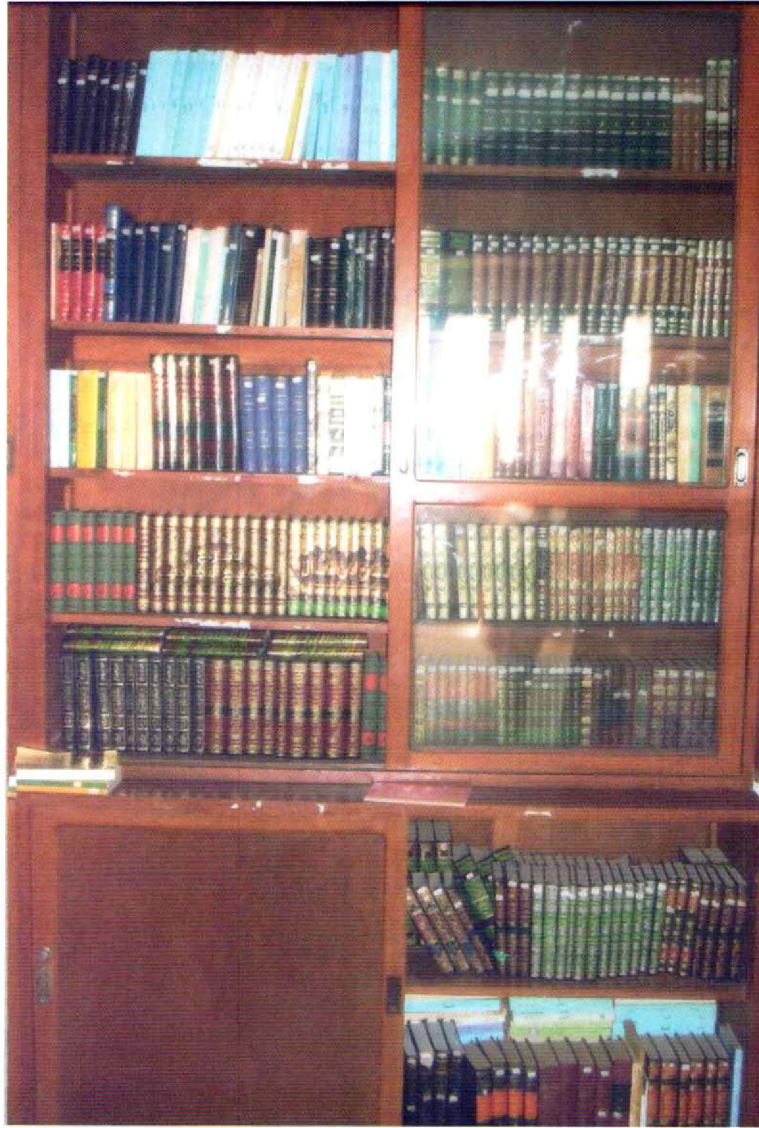
فهنيئا لإقليم دكالة، وهنيئا لمدينة الجديدة، وقد كانت سباقا في ميدان المعرفة، وفي ميدان الثقافة، حتى في عهد الاستعمار. فنحن لازلنا نستوحي في هذه المدينة أنها كانت من المدن الطلائعية



الأولى التي حاربت الجهل بالمدرسة العربية الإسلامية، وبالبعثات، وبالذين أتموا دراساتهم العليا، في الوقت الذي كان الاستعمار لا يمكن، أن يتم دراسته الثانوية إلا الأقل القليل.

فالمغرب اليوم والله الحمد يتوفر على ما يتوفر على شباب في طليعة من يعملون اليوم في هذه المسيرة لبناء المغرب. فشيخنا وأستاذنا حينما أعطى لهذه المدينة هذه المكتبة العامرة، أراد أن يضمن لهذا الجيل، ولشباب هذه المدينة الاستمرار في الخط العربي، في الخط الإسلامي، في الخط الذي يوصلها إلى أعلى مستوى المعرفة.

فشكرا لشيخنا وأستاذنا وعالمنا، وشكرا لكم حضرات السادة، والسلام عليكم.



## كلمة وزير الثقافة السيد سعيد بن البشير

بسم الله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بلغ الرسالة، وأدى الأمانة.

أستاذي الجليل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، أستاذي الجليل سيدي عبد الرحمان، السادة النواب والمنتخبين، أيها الإخوة الأعزاء.

هل يفتى ومالك في المدينة، هل آخذ الكلمة بعدما تكلم الأستاذان الجليلان، ولكنني مع ذلك أريد ألا أترك هذه الفرصة تمر دون أن أقول بعض الكلمات.

إن الأيام المجيدة التي نعيشها ونحن نحتفل بعيد العرش المجيد، لتبعثني على أن أقول كلمة في هذه الأيام المجيدة الجليلة، ونحن نحتفل اليوم في الواقع بهذا العيد، ونحتفل أيضا بعيد ثقافي، ذلك أن أستاذنا الجليل أثابه الله على عمله عندما قدم هذه المكتبة هدية لأبناء هذا الإقليم، بل أقول في الواقع إنه قدمها هدية لأبناء المغرب قاطبة، عندما قدم هذه المكتبة فإن الأمر لا يتعلق بمجرد تقديم كتب، إن الأمر لا يتعلق بتقديم هدية مادية إلى أبناء هذا الإقليم وهذا الشعب، ولكن الأمر يتعدى هذا النطاق إلى ما هو أسمى بكثير.

إن الأمر يتعلق بتقديم هدية لها رموز كثيرة، أولها أن هذا الرجل العالم المجاهد أراد أن يسير في الخطة التي رسمها صاحب الجلالة الحسن الثاني أعزه الله، هذا الرجل الموحد الذي أراد ألا يمسح هذا الشعب، والكلمة له قال صاحب الجلالة أعزه الله : إنه يريد ألا يمسح هذا لشعب حضاريا، وذلك بأن يتمسك بأصالته، فأرى أن هذه الهدية التي تقدم بها أستاذنا هي عبارة عن امتثال لتعليمات صاحب الجلالة في هذا الاتجاه، وأريد أن أقول إن هذه المكتبة وقد زرناها منذ حين تبعثنا على الاعتزاز، لأن الكتب كلها كتب إسلامية نابعة من الفكر الإسلامي، من الحضارة الإسلامية، من مقوماتنا، وهذا ما نعتز به.

المكتبة إذن ستسهم إن شاء الله في نشر الفكر العظيم الذي جاء به الشيخ شعيب الدكالي والد أستاذنا رحمه الله، والذي قام بهذا العمل الجليل بنشر الحركة السلفية، لا في ربوع المملكة المغربية فحسب، ولكن في كل البقاع الإسلامية رحمه الله وجزاه خيرا على هذا العمل الجليل.



وإننا لنحمد الله أن تكون هذه الحركة السلفية قد أعطت الكثير لهذه البلاد على الصعيد الديني والوطني، فما نشأت الحركة الوطنية إلا في قلب المسجد، وانطلاقاً من الحركة السلفية، فتحقق بذلك والحمد لله عز المغرب واستقلاله. هذا هو الرمز الأول الذي نراه في هذه الهدية.

أما الثاني فهو أن الكتاب اخذ يعيش أزمة لا في البلاد الآخذة في طريق النمو فحسب، ولكن أيضاً في الدول النامية والمصنعة والمتحضرة، وذلك لأن الوسائل الإعلامية الأخرى أخذت مكانة كبيرة في عقول الناس وحقت أهمية الكتاب في المجال الثقافي.

فعندما قدم هذه المكتبة هدية لشبابنا بصفة خاصة، فإن أستاذنا الجليل يريد بهذا العمل أن يقول لشبابنا الكتاب في المغرب والله الحمد يحتفظ بقداسته، الكتاب يحتفظ بمكانته، ولا شيء يمكن أن يعوض الكتاب.

يمكن أن نستعين بالوسائل الإعلامية الأخرى، ولكن لا يمكن أن نستغني أبداً عن الكتاب، خاصة إذا كان هذا الكتاب من مستوى ما لا حظناه في هذه المكتبة العامة.

أساتذتي الأعزاء، أيها الإخوة المحترمون، أريد أن أقدم رمزا ثالثا لهذه الهدية، وهو أن بعض الشباب انخدع بما يسمى بالحضارة، إذ أن الاستعمار في الأيام التي عاشها في بلادنا وحتى بعد الاستقلال حاول أن يستمر غزوه عن طريق الثقافة، ولكن هذه البلاد الصامدة في وجه الاستعمار بكل أشكاله وبصفة خاصة الاستعمار الثقافي. هذه الأمة المغربية لن تمسخ، لأنها أمة المجد، لأنها أمة الإسلام، لأنها أمة الأصالة. وإن صاحب الجلالة الحسن الثاني وفقه الله وأيده وهو يلح دائما على أن يكون للثقافة المكانة المرموقة في حياتنا الاجتماعية، ما يرمز إلى هذا، وهو أن المغرب ينبغي أن يظل مستقلا من الناحية الثقافية، كما ينبغي أن يكون مستقلا من الجانب السياسي، وفي الميدان الاقتصادي والاجتماعي. فهو حفظه الله ينظر إلى الاستقلال الوطني دائما بنظرته الشمولية، ولا شك أن هذه المكتبة وهي تقدم إلينا الفكر الإسلامي بلغة القرآن، ستساعد شبابنا على أن يدرك على أننا لم نصل إلى ذروة المجد إلا عن طريق الاستقلال الثقافي. فبارك الله هذا العمل الجليل الذي يعتبر لبنة في بناء صرح الثقافة في بلادنا. ولا أريد أن أذكر أكثر من هذا والمزايا كثيرة.

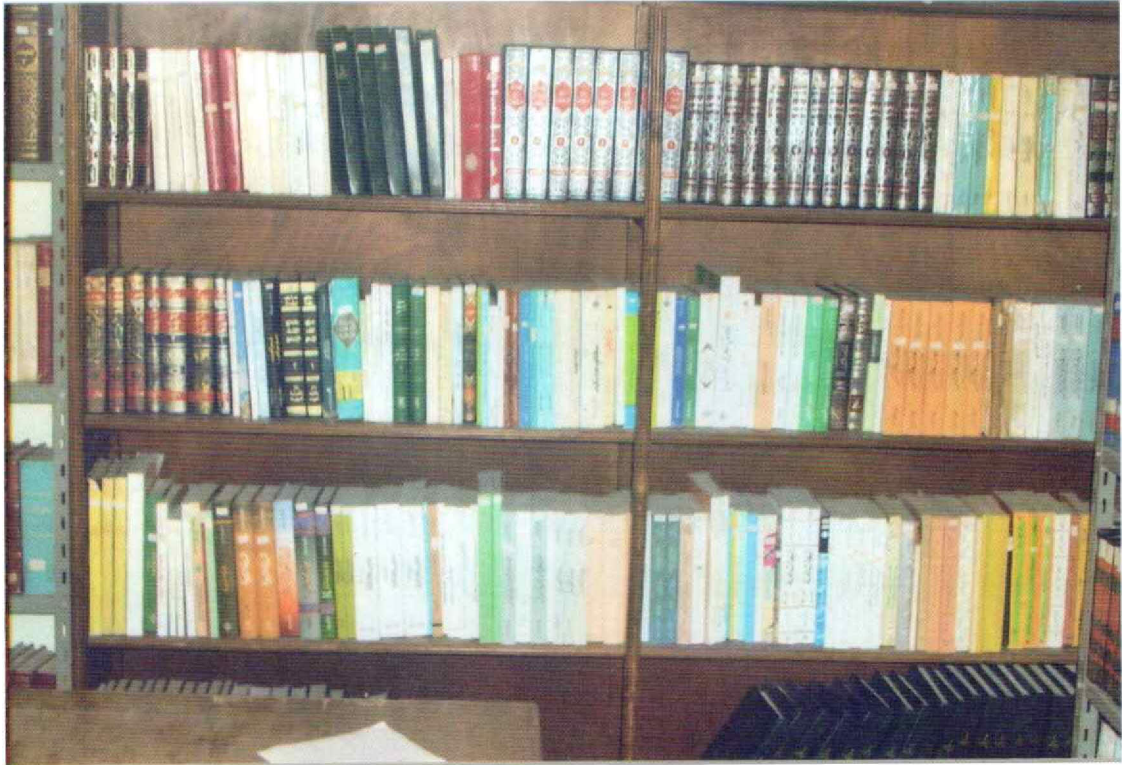
الرمز الرابع وهو متصل بالثالث، وهو أن صاحب الجلالة الحسن الثاني أيده الله، وقد أصبحنا نسميه بالملك الموحد، لأنه وحد بلادنا في كل مجالات حياتنا، جلاله الملك يوحد بلادنا فكريا وثقافيا، ولن يتم توحيد الفكر إلا بما قامت عليه هذه الأمة، فمن عهد المولى إدريس رضي الله عنه إلى



عهد الرجل العظيم الحسن الثاني والدولة المغربية قائمة أساسا من المسجد، قائمة أساسا من الكتاب الإسلامي، قائمة أساسا من المقومات الإسلامية والوطنية.

هذه نظرة صاحب الجلالة الحسن الثاني أيده الله إلى وحدة بلادنا، إنه ينظر إليها أولا وقبل كل شيء من توحيد الفكر.

أيها الإخوة، أساتذتي الأعزاء، لعلني أطلت بعض الشيء، ولكن الفرصة غالية وثمينة، والأيام التي نعيشها أيام مجيدة، فوددت كما قلت في بداية كلمتي ألا أترك هذه الفرصة تمر دون أن أعبر عن هذه المشاعر. فمرة أخرى شكرا جزيلا لأستاذنا الجليل سيدي عبد الرحمان على هذه الهدية. واسمحوا لي بهذه الكلمة التي أقول عنها أنها ليست هدية لهذا الإقليم، ليست هدية لهذه المدينة، ولكنها هدية للمغرب، ونريد إن شاء الله أن يكون في هذا العمل مثالا يحتذى به في كل الأقاليم إن شاء الله، حتى نجمع شملنا، ونوحد كلمتنا على كلمة واحدة هي كلمة الإسلام، لأن بها ازدهر المغرب، وعلى سبيلها يسير صاحب الجلالة أعزه الله، ونحن وراءه لعزة المغرب ومجده. والسلام عليكم ورحمة الله.



## كلمة العلامة عبد الرحمن الدكالي

الحمد لله القائل : «الرَّحْمَانُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ»، والقائل : «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» والقائل : «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»،  
القائل : «فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»، والقائل : «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم، سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين، القائل : (العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر). والقائل : (العلم أفضل من المال، العلم يزيد بالإنفاق، والمال ينقص بالإنفاق، العلم يحرسك، والمال تحرسه أنت). والقائل عن جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي بن الصحابي ابن الصحابي ثلاثة: الابن صحابي، والأب صحابي، والجد صحابي، هذه بيوت عزيزة علينا، أسامة ابن زيد بن حارثة، صحابي ابن صحابي، ابن صحابي، هذا سيدنا جابر بن عبد الله الأنصاري جاءه رجل مسيرة شهرين، قال جئتك يا جابر مسيرة شهرين أسألك عن مسألة واحدة من العلم، قال : أبشر يا ابن أخي، فإني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وإن العالم يستغفر له كل شيء، حتى الحيطان في البحر، وفي رواية أبي داود : وحتى النمل في جحورها، تقول : اللهم اغفر للعالم، وإنه يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء فلا يعدل أحدهما الآخر، وإن عالما واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وإن فضل العالم على الصالح أو على الولي كفضل القمر البدر على سائر النجوم والكواكب لأن الصالح ينفع نفسه، والعالم نفعه متعدد إلى غيره. توضع منابر من نور غدا يوم القيامة، فأقول يا رب لمن ؟ فيقول لعلماء أمتك).

والمقام يطول فيه الحديث، وإنما أتينا بحمد الله، وبالشأن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونخلص إلى الموضوع فأقول :

صاحب المعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، اسمحوالي إن عواطفني تتكلم، وإن قلبي هو الذي يتكلم لا لساني، فأعبر لمعالي وزير الأوقاف بأخي، وأعبر لوزير الثقافة بأخي، لأنني



أحبهم، ولأنني رأيت منهم ما رأيت، ولأن النبي عليه الصلاة والسلام، جاءه صحابي فقال : يا رسول الله إني أحب فلانا، قال أخبره بذلك. روح عظيمة في الإسلام، فأنا أقولها أمامكم.

صاحب المعالي أخير وحببي سعادة عامل هذا الإقليم، أعد من الحسنات ومن المكرمات أن الله أكرم هذا الإقليم بك، لأنني أعرف تقواك وفضيلتك ونزاهتك، وأخلاقك الكريمة، ومحبتك للدين، ومحبتك للعلم، ومحافظتك على الدين.

سادتي وإخواني الوزراء، وعامل صاحب الجلالة، وسادتي وإخواني أعضاء المجلس البلدي لقبيلة دكالة التي أعتز بالانتساب إليها، قال لي واحد من الناس أنت مولود بمكة، فلماذا لا تنسب إلى مكة ؟ قلت نعم.

بلاد بها نيطت عليّ تمائي ❀ وأول أرض مسّ جلدي ترابها

ولكنني أجد النسبة إلى دكالة تشرفني كثيرا.

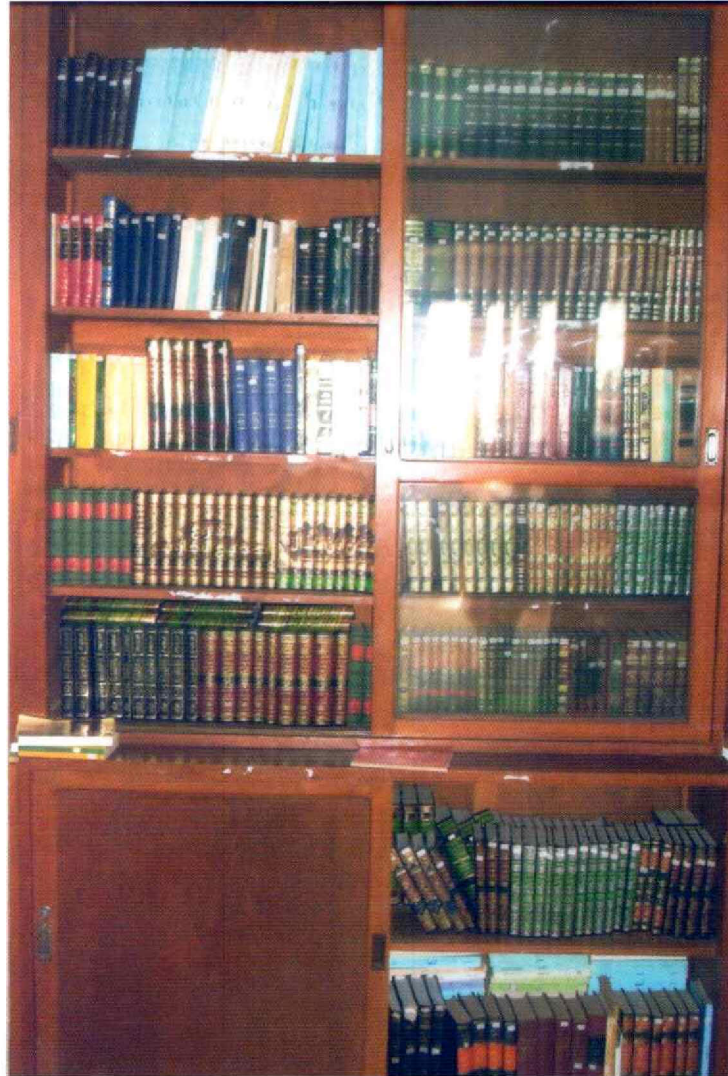
إخواني أعضاء المجلس البلدي، إخواني وسادتي النواب المحترمين، اسمحوا لي إذا كنت لا أعرف كيف أعبر عبارات الإكبار والاحترام والتقدير، فالله يشهد أنني أقدر الجميع، وأحب الجميع.

إخواني جميع الحاضرين هنا، اسمحوا لي قبل كل شيء أن أقدم باسمكم، وباسمي شخصيا، شكرنا وتقديرنا لهذه الزيارة الميمونة التي رأينا فيها وزيرين من وزراء سيدنا، ومن المرموقين، ومن المحترمين بين ظهرانينا، فلقد رحب قلبي من ينوب عنكم، ولكن أنا بدوري أرحب باسم العلماء، وباسم المجلس العلمي، وأشكرهم شكرا جما على هذه الزيارة، وإذا كان لي ما أقول في هذا الموضوع عن مقر المجلس العلمي، وعن الخزانة المتواضعة التي قدمتها احتسابا لله، فإني أرجع الفضل في كل ذلك إلى سيدي وولي نعمتي أمير المؤمنين جلاله الملك الحسن الثاني أعلى الله في سماء المجد والعز كعبه، وأحیی بالعلم والعدل شعبه، فهو والله الذي شق الطريق فسلكناه، وهو الذي دل على الخير فاتبعناه، وهو الذي أراد منا أن نبني فبنينا، وأراد أن نعمل فعملنا، وأراد منا أن نسير بخطى واسعة إلى الأمام وها نحن نسير، وهو أمامنا، ولن نتنكر أبدا ولن نتكسر أبدا، وسيتم الله سيرنا حتى يحقق له أمله في شعبه، في وطنه حتى يحقق له الله أمله فيما أراد لهذه الأمة. ولقد علمتم كما علم غيري، وربما علمتم ما لم يعلمه غيري، والله إنه ليسهر في مصالح أمته الليلة كاملة ولا ينام، ويسهر الليلتين ولا ينام، ويسهر الثلاث ليال ولا ينام، وإذا ما سُئل أو قيل له اتق الله فإنك ضعيف يا مولاي، يقول : المغرب، المغرب، المغرب، فيردد هذه الكلمات الثلاث رضي الله عنه وأرضاه. فيا مولاي يا صاحب الجلالة، يا باني السدود، يا محصن الحدود، يا رافع البنود، يا قائد الضباط والجنود، سر بنا



إلى الأمام فسترانا أمة متراصة الصفوف ورائك، لن نحيد قيد أنملة عما تخططه إلينا، لأنك لا تريد إلا عزتنا ورفعتنا وفضيلتنا.

فيا أيها الإخوان لقد كنت أريد أن أقول الكثير، ولكنني أعلم أن هذه الدار التي أسسها حفظه الله ونصره وأيده، كما أسس غيرها في كل ناحية من نواحي المغرب، ستسمع صوتها مجلجلا ببث الدين ونشر التوعية، وإحباط مكائد الكائدين لهذا الإسلام، ولهذا الدين. سنحارب الأفكار الزائفة، سندعو الشباب إلى مجادلتنا ومحاورتنا بالحسنى، سيجدون عندنا الإقناع الكافي، سنقوم بالواجب علينا في حدود مسؤوليتنا، سنعمل كل ما في طاقتنا حتى نبليغ الرسالة، ونؤدي الأمانة التي وضعها في أعناقنا أمير المؤمنين، ابن سيد الأولين والآخرين، وخليفة رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ملا صدورنا بالإيمان وغمر قلوبنا باليقين فأنا بصيرتنا وبصائرنا وهذا لنا العبدان (والسبيلين) ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يخلقنا عبثاً في هذا الدنيا ولم يتركنا سدى بل أوجدنا لنعبده حق العباداة لقروله وما أمرنا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فامتنثل أوامرنا ونهينا ونؤمن به رسالاً كما ملاً فعمل الصالحات ونترضى بالحق ونترضى بالصبر حتى لا نكون من الخاسرين، والعصران الإنسان لغير خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وهو سبحانه وتعالى فاتح الهبات والعطايا ومقدر الأتنياء وما فيها من الخصائص والمزايا بخدا جل جلاله على ما أولى وتفضل به من النعم ونشكره عن ثنائنا على ما ألهم إليه من الخير والكرم وأنه كرم بني الإنسان بالعقل والبيان وقهلم لأعمال البر والإحسان وترتب على ذلك بالمعنى والرصوان مصداقاً لقوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ونشهد أن سيدنا ونبينا وولانا محمداً عبداً وسوله الصادق الأمين وصفيه وجسيه الشيعي يوم الدين أرشد إلى الهدى ونهى عن العيش والمنكر ووضح للمؤمنين الطريق (المشاي) وهداهم إلى سبيل الرشاد والعلى القائل كما في الصحيح إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له اللهم صل وسلم على سيدنا محمد كرم الكرماء وسيد الشفعاء وفضل الأنبياء وإمام الأتنياء وعلى آله الألباء وصحابته الأصفاء والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين يوم التنادي واللقاء كما بعد فلما كان المؤمن مدعواً إلى المساهمة في نشر الثقافة الدينية والسعي إلى إصلاح مجتمعه بالحث على التعلم والإتواء مع معين الثقافة والتهذيب بما يعود عليه بالمنفعة من أعمال الخير وأنواع (البر) ما يقدمه بين يديه لأخرته وبجدا حاضر أم غور يوم الفرز الأكبر عندئذ وصيدك وحيث كان من الأعمال المنجية والوسائل الوافية والمكرات الخالدة الباقية بناء المساجد والمعاهد والمدارس وخزانات الكتب وتوزيعها والإنفاق عليها حتى تستدام منفعتها وتبقى لها فعاليتها ومنزيتها وبعث نفعها والإنتفاع بها وكانت رغبة الفقهاء العالم العلامة الجليل الأديب الشاعر الأصيل الضابط الحازم النبل سيدي عبد الرحمن ابن شيخ الحديث بالديار الغربية العلامة الداعية إلى التمسك بالسنة المحمدية العلامة الذرارة المحمد الفهامة الوزير المعفور سيدي شعيبة بن المنعم الأكرم سيدي عبد الرحمن الصديقي الشهير بالدكالي تحبب كتب خزانته العاركة الملية بمختلف الكتب العلمية النادرة لتكون نواة لتأسيس خزانة المجلس العلمي لمدينة الجديدة لترسيخ الثقافة ونشر العلم بهذه الديار حتى ينتفع بها حتى تستدام منفعتها وتبقى لها فعاليتها ومنزيتها وبعث نفعها وما تخرجه من معلومات ثقافية فذة غير أن المدينة عاجلته قبل أن يحقق رغبته وينفذ إرادته إذ كانت إرادة الله وقدرته أرسق من إرادته حيث عاجلته المدينة قبل أنجاز مبتغاه حيث توفي عن أهل الإحاطة بإرثه الذين هم زوجة السيدة فاطمة بنت المرحوم السيد محمد بن المنعم السيد محمد الغزالي ولداً منها الشقيقان الطالب السيد محمد والأنسة كريمة. لا إله إلا الله له شواهد حسنها بموجب إرادته للمؤرخ بشان شعبان الأكرم عام 1403 والمصنف بعدد 162 وصحيفة 102 ك 3 رقم 118 بمحكمة التوثيق بالرباط واحتراماً وتقديراً لروح موروثهم المذكور وتلبية لرغبته الأكيدة وتنفيذاً لإرادته السامية فقد التمسنا زوجه الأشيلة من سيدنا المنصور بالله التفضل بإصدار تأمير السامية لتحقيق كريمة زوجها المنعم المذكور حيث أصدنا تأميراً بالمطاع السيد وزير في الأوقاف والشؤون الإسلامية لتنفيذ ما ذكر فتوجه شهيداً سماحهما المولى بمنه وكرمه رفقة السيد رئيس قسم إرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ السيد (سار) محمد بن السيد محمد بن السيد موح المغربي جنسية (المولود في سنة 1954 بتعليقه الوطني عدد 117927/ن من الأمن في 23-4-1987 إلى منزل سكني لها لك المذكور بشان إمام مالك بالرباط حيث حضرت زوجه الفاضلة الجليلة الأيم السيدة الغزالي فاطمة المذكورة (المولودة في 1932 حسبها بتعليقها الوطني عدد 118481/ن من الأمن في 7-8-1988 في حق نفسها ونيابة عن بنتها الأنسة كريمة) (المولودة في 1977-5-17 لها لها من الولاية الشرعية عليها وأبنته الشاب الأديب الطالب الأريب السيد الصديقي محمد (المولود في 1965-11-26 بتعليقه الوطني عدد 247544/ن من الأمن في 15-12-1994 فاستشهدا معاً لأبهما حسباً جميع كتب خزانته موروثهم الفقهاء العالم سيدي عبد الرحمن الصديقي الشهير بالدكالي على المجلس العلمي لمدينة الجديدة حيث كانت هي النواة الأولى التي أُنست بها خزانة كتب المجلس المذكور والتي كان يتطعم في تسميتها بالخزانة المحمدية لمؤسسها عبد الرحمن الدكالي ويبلغ مجموع هذه الكتب الخمسة المذكورة ثلاثاً وتسعة عشر كتاباً بجميع مالها من المنافع لتكون حسباً مؤيداً ووقفاً مخلداً على المجلس العلمي المذكور لك كلة تلبية وتنفيذاً لرغبة وإرادة من موروثهم المنعم الفقهاء العالم الأديب سيدي عبد الرحمن الدكالي المذكور فقبل منهما السيد (سار) محمد ممثل السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الخيس المذكور عتفاً بحيازته لجميع الكتب المذكورة حيث توجد بمقر خزانة المجلس العلمي المذكور جواراً تاماً مظهرتها السيدة الغزالي فاطمة وابنتها السيد الصديقي محمد المذكور بأن الوزارة ستكون عيناً شاهجة على الكتب المذكورة وصيانتها وحفظها من كرم تلف حتى تؤدي الغاية من تحبيسها لنشر الثقافة والتعليم بدائرة المجلس العلمي بالجديدة وبالتالي لكل الباحثين والدارسين للإرتواء من معلوماتها الفذة النادرة وشكرهما أكرم محبتهمما حسن ضيعةهما ثم هناهما على صدق أمانتهما ووقائهما لموروثهما المذكور دليلاً له بالمعنى والسلوان وقد تلقى هذا الإشتهاد العدلان محمد بن محمد بن عبد السلام البرنوسي والطيب ابن عبد السلام (أدري) المنتصبان للإشتهاد بالداررة القضائية للمحكمة الابتدائية بالرباط على الساعة 10 من صباح يوم الجمعة خامس عشر صفر الخير عام ستة عشر وثمانمائة وألف 1416.02-15 الموافق لاربع عشر يوليوز سنة خمس وتسعين وتسعمائة وألف 14-7-1995 كما بمذكرة حفظ الأول عدد 277 وصحيفة 168 رقم 3 وجرد بعد تاريخه 510 - 25 - 1995 - 2 - 10 - الختلفة - له تحرير



التمتة لله أعلم بشيئته في  
27 أكتوبر 1416  
26 يوليوز 1995  
أعشاء : محمد علي العبودي



رسالة (المحرمة) في ذكر الملك العزيز  
والحكيم (الدينار) في ذكر الملك العزيز  
شهادة (المحرمة)

[illegible]

الحمد لله اعلم بشوكة في

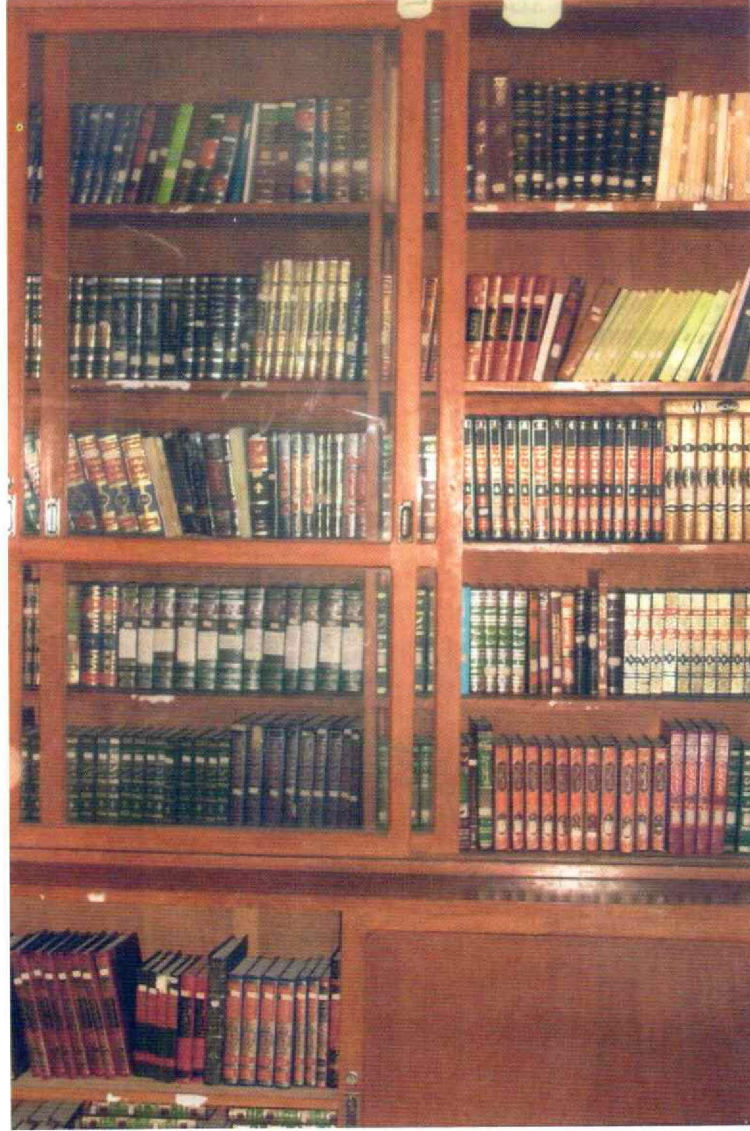
2006

امام ابو عبد الله بن سينا الملقب بم

عبد السلام البرنوسي

عبد السلام بن عبد الله بن  
محمَّد بن عبد الله بن عبد الله





## الخزانة الحسنية الملكية : تاريخها، ومنجزاتها في فهرسة المخطوطات ورقمتها

الأستاذ محمد سعيد حنشي

تعتبر حضارة المغرب من بين أعظم حضارات العالم وأعرقها، فقسم منها ما زال صامدا في وجه نوائب الزمان، متمثلا في مختلف أنواع العمران، من مدن، وحصون، وقصور، وقلاع، وأسوار، وقسم مسود بمداد العز والسؤدد في بطون الكتب والأسفار، على يد علمائه الأبرار، لذلك فقد حاز هذا البلد الطيب الفضل بشطريه، وأسباب المجد بقطريه. والحديث عن هذه الحضارة ومقوماتها حديث طويل متشعب، لكنه حديث نافع ممتع، يشمل مآثر جليلة تجل عن الاستقراء والاستقصاء، ونفائس كثيرة تعز عن العد والإحصاء، وقيماً وتقاليده راسخة رسوخ الجبال الرواسي، مستمدة من دين جليل، وشمائل شعب أصيل.

وسنقتصر في هذا البحث على الحديث عن جانب من جوانب حضارة هذا الشعب، وركن مكين من ثقافته، وهو حب سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب للعلم، وتكريم أهله، والحرص على اقتناء مظانه وحفظها في خزائن الكتب.

اشتهرت في مختلف ربوع المغرب مجموعة من خزائن الكتب العامة والخاصة، فالدول التي تعاقبت على حكم المغرب وسلاطينها الأفذاذ كانوا يتنافسون في توشيح أركان قصورهم بخزائن كتب عامرة، وصار على سننهم في حيازة أسباب هذا الفضل الأمراء والوزراء والعلماء، وإلى هذه المكرمة انصرفت همم شيوخ الزاويا، والولاة والقضاة وعامة الناس، وكان من النادر أن تجد بيتا من البيوت في المغرب لا يضم في ركن من أركانه خزانة كتب غنية بالدفاتر والذخائر، وكانت خزائن كتب السلاطين، والجوامع، والمساجد، والمدارس، والزاويا، تستفيد من بعضها البعض بالإهداء، أو الوقف، أو الإعارة، أو الوصية، أو البيع أو غيرها من أنواع المعاملات الشرعية، وستحدث؛ إن شاء الله؛ على نوع بعينه من خزائن الكتب في هذا البلد، ويتعلق الأمر بالخزانة السلطانية، التي تعتبر مفخرة لهذا الوطن بين الأوطان، وصرحا شامخا من صروح العلم رغم كثر الدهور وتوالي الأزمان، وقبلة للعلماء من مختلف الأمصار والبلدان، ويرجع تاريخ إنشائها لأكثر من عشرة قرون، وكان لها



الفضل في الحفاظ على قسم كبير من تراث أمتنا المخطوط، وأسهمت بنصيب وافر في تنشيط الحركة العلمية في ربوعه، وما فتئت تطور خدماتها لتظل منارة شامخة للعلم، وقبلة مفضلة للعلماء.

## 1- نشأة الخزانة الملكية :

تعتبر خزانة واسطة عقد البيت الإدريسي يحيى الرابع المتوفى سنة 332هـ النواة الأولى للخزانة الملكية بالمغرب التي ذكرها المؤرخون، فقد كان بلاط هذا السلطان قبلة العلماء، والأدباء، والشعراء، تعقد فيه المناظرات العلمية، والمجالس الأدبية، وقد استقدم مجموعة من النُسخاء لنسخ الكتب برسم خزائنه العامرة، وكان الناس يقصدونه "من الأندلس وغيرها فيحسن إلى جميعهم وينصرفون عنه أكرم منصرف"<sup>1</sup>. وأنشأ خزانة كتب تضاهي خزائن الكتب التي أنشأها ملوك الدولة العباسية في بغداد، وملوك الدولة الأموية بقرطبة.

وقد توارث سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب هذه السنة الحميدة في الاعتناء بخزائن الكتب وتزويدها بالمصنفات في مختلف العلوم، ووضعها في زاوية من زاويا قصورهم، وهذا التقليد المجيد ظل قائما إلى الآن.

لكن هذه الحركة الثقافية النشيطة سرعان ما خبت بمجيء الدولة العبيدية<sup>2</sup>، ودولة آل أبي العافية<sup>3</sup>، ودولة زناتة<sup>4</sup>، لما كان في عهدهم من صراع ونزاع على الحكم. ورغم الظروف السياسية الصعبة التي مر منها المغرب في هذه الحقبة من الزمن فقد عرفت بعض خزائن الكتب شيئا من الازدهار مثل خزانة جامع القرويين التي زودها الخليفة الناصر لدين الله الأموي (ت. 350هـ) وابنه الحكم المستنصر (ت. 366هـ) بمجموعة مهمة من كتب العلم، وعرف هذا العصر أيضا ظهور بعض الخزائن الخاصة في بعض حواضر شمال المغرب مثل: أصيلة، وطنجة، وسبتة.

## 2- الخزانة الملكية في عهد دولة المرابطين :

إن بداية ازدهار وانتشار خزائن الكتب عامة، والخزانة الملكية بشكل خاص في الحواضر المغربية لم تبدأ إلا ببداية الدولة المرابطية للمتونة التي حكمت المغرب في الفترة الممتدة ما بين

1 - ينظر المسالك والممالك للبكري: 816.

2 - دولة العبيديين من الدويلات التي قامت على أنقاض دولة الأدارسة، تنسب لمؤسسها وزعيمها عبيد الله المهدي الفاطمي. الاستقصا: 182/1.

3 - دولة آل أبي العافية من الدويلات على أنقاض الدولة العبيدية، وتنسب لمؤسسها موسى بن أبي العافية. الاستقصا: 185/1.

4 - زناتة قبيلة عظيمة كانت مضاربهم تشغل صحراء تونس ومناطق كبيرة من الجزائر، وتعتبر مكناسة ومغراوة وبني يفرن أهم بطونها، وكان لها دور كبير في تاريخ المغرب من حقبة سقوط الأدارسة إلى ظهور المرابطين. المغرب عبر التاريخ: 138/1، ومعلمة المغرب: 4716.



(454هـ-541هـ)، فقد وحدت بلاد المغرب، وضمت إليه عدوة الأندلس، وبلغت حدودها الجنوبية إلى نهر النيجر، وأضحت عاصمتها مراكش من أعظم حواضر الإسلام، وتقاطر عليها العلماء، والأدباء، والكتاب، من الأندلس ومن غيرها من البلاد الإسلامية، وغدا مجلس يوسف بن تاشفين العلمي من أكبر المجالس العلمية في وقته، و" أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه علي من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"<sup>5</sup>، وكتب في دواوين إنشائهم كتاب أفذاذ مثل أبي بكر ابن القصيرة، والوزير ابن عبدون، وأبي القاسم ابن الجد، وابن أبي الخصال، وغيرهم.

وشملت هذه النهضة العلمية خزائن الكتب أيضا، إذ جلبت إليها مجموعة مهمة من الذخائر والنفائس من الأندلس بعد الاستيلاء عليها، وكان ملوك وأمراء وأعيان هذه الدولة يتنافسون في اقتناء الدواوين العتيقة، وجمع الأصول النفيسة لتوشيح خزائن كتبهم بها<sup>6</sup>.

ومن أكبر خزائن الكتب في الغرب الإسلامي في هذا العصر خزانة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، في عاصمة ملكه مراكش، وقد وصلنا منها نسخة من موطأ الإمام مالك منسوخ برسمها في مراكش حرسها الله سنة ثلاث وخمسمائة، وهو محفوظ في خزانة القرويين بفاس.

### 3- الخزانة الملكية في حقبة حكم الموحدين :

عرفت خزائن الكتب في المغرب إبان فترة حكم الموحدين التي امتدت من سنة (541هـ إلى 668هـ) ازدهارا أكبر، وانتشارا أكثر، إذ أصبح لكل أمير ولاية من الولايات الموحدية سواء في المغرب الأقصى، أو في المغرب الأوسط، أو في الأندلس مجلس خاص به، وكتاب وشعراء ملازمون له، ونفقت سوق الكتب بازدياد نشاط حرفة الوراقة والنساخت، وكثرة معامل الورق، فقد كان بمدينة فاس لوحدها أكثر من أربعمئة معمل لإنتاج هذه المادة في حي الكغادين.

وفي هذه الفترة أيضا اشتهر ورق مدينة سبتة أكثر من ورق شاطبة<sup>7</sup>. كما ازدهرت حركة التأليف، والكتابة الديوانية، ونبع وراقون مغاربة مجيدون، ونساخ محترفون، ومسفرون ونقاشون ومرصعون متخصصون، من بينهم من تخصص في نساخت وزخرفة أشياء بعينها كالمصاحف، وكتب

5 - المعجب 243.

6 - قال ابن الأبار في ترجمة المنصور بن محمد بن أبي داود بن الصنهاجي في معجم أصحاب الصديقي: 202. إنه كان راغبا في العلم، منافسا في الدواوين العتيقة، والأصول النفيسة، جمع من ذلك ما أعجز أهل زمانه.

7 - ينظر تاريخ الوراقة المغربية: 33.

الحديث، أو غيرها. وتفنن النساخ في تنويع الخطوط وتفريعاتها، والمزخرفون في تزويق الكتب وتديبجها، والصناع في تفسير الكتب وتجليدها، وتطور الخط المغربي تطوراً ملحوظاً<sup>8</sup>.

وكانت فترة حكم أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي التي امتدت من (557هـ إلى سنة 580هـ) من أزهى فترات حكم الموحدين في الجانبين السياسي والثقافي، فقد كان الرجل عالماً، ولوعاً بجمع الكتب، "ولم يزل يجمع الكتب من أقطار المغرب والأندلس، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب. وكان ممن صحبه من العلماء والمتفنين أبو بكر محمد بن طفيل... وأبو الوليد ابن رشد،"<sup>9</sup> وأبو بكر ابن زهر، والحافظ أبو بكر ابن الجذ، واجتمعت في خزائن كتبه، وخزائن كتب أبنائه من بعده ما لا يحصى من نواذر مصنفات العلم.

#### 4- الخزانة الملكية في حقبة حكم المرينيين والوطاسيين :

إن التطور الكبير الذي شهدته الخزانة الملكية في عهد المرابطين والموحدين سيستمر بوتيرة أسرع، وباهتمام أكبر، في عهد المرينيين، إذ استفادت هذه الدولة من هذا التراث الغني، ومن الاستقرار السياسي، والازدهار الثقافي، الذي شهدته المغرب في هذه الحقبة من الزمن، وكثرت خزائن الكتب الخاصة والعامة على حد سواء. ونفقت سوق الكتب، وتطورت صناعة الوراقة.

وعرفت الخزانة الملكية أوج تطورها في عهد السلطان أبي عنان فارس بن علي بن عثمان المريني (ت. 759هـ) فقد وصفت في أكثر من مصدر على أنها من أعظم خزائن الكتب في وقته، وقد وصفها ابن فرحون في ترجمة ابن عربي المعافري، قال: أخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام بالإسكندرية سنة 760هـ قال: رأيت تأليف القاضي أبي بكر ابن العربي أنوار الفجر في خزانة الملك العادل أبي عنان المريني، وكان السلطان المذكور إذاك بمراكش، وكانت له خزانة كتب يحملها في الأسفار، وكنت أخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها، فعددت أسفار هذا الكتاب فبلغت عدتها ثمانين مجلداً، ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء<sup>10</sup>. فإذا كانت خزانة كتب هذا السلطان التي يحملها معه في أسفاره على ما وصفنا فكيف حال خزانته العامرة التي يحتفظ بها في قصره؟!<sup>11</sup>.

8 - تاريخ الوراقة المغربية: 27.

9 - المعجب: 349-353.

10 - ينظر الديباج المذهب: 182-183.

11 - ينظر تاريخ المكتبات الإسلامية: 83.

وكان لأبي فارس عبد العزيز بن علي بن عثمان المريني (ت. 774هـ) خزانة كتب عامرة، وهي التي ألف ابن خلدون برسمها تاريخه المشهور العبر وديوان المبتدأ والخبر. وألف برسمها أيضا محمد بن أبي بكر الحضرمي كتابه السلسل العذب والمنهل الأحلى المرفوع للخزانة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مر الزمان تتلى<sup>12</sup>.

وكما اشتهر بعض ملوك الموحدين بنسخ الكتب، مثل المرتضى الموحدي، فقد كان من ملوك بني مرين نساخ متفنون، مثل أبي الحسن المريني الذي كان ناسخا بارعا، وكتب بيده ثلاثة مصاحف شريفة، وبعث واحدا إلى الحرم المكي، والثاني إلى الحرم المدني، والثالث أرسله إلى بيت المقدس. قال صاحب نفح الطيب: "وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي بعث لبيت المقدس وربعته في غاية الصنعة"<sup>13</sup>.

وقد حاولت الدولة الوطاسية أن تستمر على نفس نهج دولة بني مرين في الاعتناء بالحياة الثقافية والعلمية رغم الظروف السياسية الصعبة التي مر منها المغرب في ظل هذه الدولة، لكن الخزانة الملكية ظلت مؤسسة قوية حافظت على قسم كبير من ذخائر ملوك الدولة المرينية، وأثرت بكثير من مصنفات علماء هذا العصر.

#### 5- الخزانة الملكية في عهد السعديين :

شهدت الخزانة الملكية إبان حقبة حكم السعديين (التي امتدت من سنة 915هـ إلى سنة 1069هـ) تطورا كبيرا، فقد كانت خزانة واسطة عقد هذه الدولة أحمد المنصور الذهبي (ت. 1012هـ) من أعظم خزائن الكتب في عصره، وجمع فيها "من غرائب الدفاتر ما لم يكن لمن قبله ولا يتهيأ لمن بعده مثله، وجل كتبه طالعه ووقف عليه"<sup>14</sup>. وكان يبعث إلى المؤلفين داخل مملكته وخارجها بعطايا سنوية ليهدوا إلى خزانته أحدث ما ألفوه<sup>15</sup>. كما كان يرسل نوابا عنه إلى سائر الأمصار لشراء الكتب برسم خزانته العامرة<sup>16</sup>، وألفت برسمها مجموعة مصنفات عديدة، منها مصنفات العلامة أحمد بن القاضي المكناسي (ت. 1025هـ)، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، ودرة الحجال في غرة أسماء الرجال، وجذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، إتحاف ذوي الأرب بمقاصد

12 - نشر بعناية العلامة محمد الفاسي بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد العاشر 1964.

13 - نفح الطيب: 100/4، ما زال قسم من هذا المصحف محفوظا هناك، وقد صورت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية نسخة منه.

14 - نزهة الحادي: 136.

15 - ينظر نشر الثاني: 399/2.

16 - ينظر الاستقصا: 149/5.



لامية العرب، لسعيد بن مسعود الماغوسي (ت. 1016هـ)، والنفحة المسكية في السفارة التركية لعلي بن محمد التمكروقي (ت. 1003هـ).

وقد ورث هذه الخزانة العظيمة السلطان زيدان بن المنصور الذهبي (ت. 1037هـ)، إلا أنه فقد قسما كبيرا من ذخائرها بعد أن استولى عليها القراصنة الإسبان سنة 1020هـ، وهي التي ما زالت محفوظة بخزانة كتب دير الاسكوريال، وحاول هذا السلطان استرجاعها، وبذل مقابلها ستين ألف دينار ذهبية، لكن جهوده وجهود غيره من سلاطين الدولة العلوية باءت بالفشل بسبب تعنت واستكبار الإسبان<sup>17</sup>.

### 6- الخزانة الملكية في ظل حكم العلويين :

كانت الخزانة الملكية في ظل حكم الشرفاء العلويين السجلمايين من أقوى المؤسسات العلمية في الغرب الإسلامي، فقد وضع المولى الرشيد نواتها الأولى، وحكم من بعده المولى إسماعيل بن محمد الشريف (ت. 1139هـ) الذي كان شغوفاً بجمع الكتب والنوادر، وله "في ذلك الهمة البالغة، والرغبة السابغة، وقد جمع من الدفاتر في كل فن ما يحير العقول"<sup>18</sup> وجمعها في جناح خاص بقصره في عاصمة ملكه بمكناسة الزيتون عرف بـ"دويرة الكتب"، واختار لها قيمياً من أعيان علمائه ووزرائه وهو العلامة الأديب صاحب المصنفات العديدة محمد بن الحسن اليعمدي (ت. 1130هـ). وكان رحمه الله يشجع على نسخ الكتب، وزخرفتها وتزويقها، وجعل للنساخ محلاً خاصاً بهم في قصره، ونسخت برسم خزانته العامرة مجموعة من المصنفات في مختلف العلوم. وقد حبس قسماً كبيراً من هذه الخزانة بعد وفاته ولده السلطان المولى عبد الله (ت. 1171هـ)، وحفيده السلطان العالم سيدي محمد بن عبد الله العلوي (ت. 1204هـ)، على مجموعة من مساجد المملكة الشريفة وزواياها ومدارسها، وأنشأ هذا الأخير خزانة كتب أخرى جلب إليها غرائب المصنفات من مختلف العلوم، ومن علم الحديث خاصة، لأنه كان ولوعاً به، وله فيه تأليف معروفة، وولى أمر حفظها للعلامة محمد بن قاسم السجلمايي، وأضاف إليها السلاطين الكرام الذي تولوا أمور الحكم من بعده، المولى سليمان، والمولى عبد الرحمن بن هشام، والمولى محمد بن عبد الرحمن، والمولى الحسن الأول، والمولى عبد الحفيظ رحمه الله عليهم أجمعين من النوادر والذخائر، والأسفار والدفاتر الشيء الكثير، وهذه الخزانة العظيمة هي التي أشرع أبوابها المرحوم الحسن الثاني في وجه العلماء والباحثين المغاربة والأجانب لكي ينهلوا من غزير علمها في شهر مارس من سنة 1962.

17 - قام بفهرسة كتب هذه الخزانة ميشال الغزيري، وطبعت بعض نوادرها، وستسلم الخزانة الحسنية بالرباط قسماً من مصوراتها.

18 - روضة التعريف بمفاخر مولاي إسماعيل الشريف: 68.

## 7 - منجزات الخزانة الحسنية في الفهرسة :

حرصت الخزانة الملكية منذ افتتاحها ضمان خدمة مثلى للباحثين، وبدأت مشروع إحصاء ذخائرها، وتصنيفها وفهرستها في الستينات من القرن الماضي على يد مجموعة من العلماء الأعلام، فقد دشن العلامة محمد المنوني رحمه الله هذا المشروع بإنجاز كشف لقسم من مخطوطاتها؛ ضم حوالي ثلاثمائة كتاب مخطوط؛ حسب ترتيب تسلسلي، مع عناية خاصة بفك المجاميع، وأتم هذا المشروع بعده الأستاذ عمر عمور وأنجز كشافا عاما لمخطوطات الخزانة الملكية، اقتصر فيه على ذكر عناوين الكتب، وأسماء مؤلفيها، وأرقامها المحفوظة بها<sup>19</sup>.

وواصل المرحوم محمد المنوني جهوده الطيبة بإنجاز فهرس خاص بنوادير المخطوطات المحفوظة بالخزانة سنة 1978، صدره المرحوم محمد الفاسي بمقدمة طويلة مفيدة، ذكر فيها اهتبال ملوك المغرب بالكتاب، ورعايتهم للعلم وأهله. وخص بالشناء منهم سلاطين الدولة العلوية الشريفة لما لهم من أياد بيضاء في هذا المجال.

أما الفهارس الوصفية لهذه الخزانة والمرتبة حسب العلوم فبدأها المرحوم محمد عبد الله عنان بفهرس قسم التاريخ والرحلات سنة 1400هـ-1980م. ثم توالى بعد ذلك سلسلة فهارس الخزانة الحسنية على يد العلامة المرحوم محمد العربي الخطابي الذي أنجز خمسة فهارس مهمة وهي :

- فهرس العلوم العقلية: الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات. صدر سنة : 1402هـ-1982م.

- الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا صدر سنة : 1403هـ-1983م.

- الفهرس الوصفي لمخطوطات المنطق وآداب البحث والموسيقى ونظم الدولة والفنون الحربية وجوامع العلوم. طبع سنة : 1405هـ-1985م.

- الفهرس الوصفي لمخطوطات الكيمياء وتعبير الرؤيا والعلوم الخفية طبع سنة : 1406هـ-1986م.

- الفهرس الوصفي الخاص بالقرآن وعلومه طبع سنة: 1407هـ-1987م.

ثم أصدرت الخزانة الحسنية الفهارس التالية :

19 - استغرق إنجاز هذا المشروع وقتا طويلا، ولم يتم تصفيفه وطبعه إلا سنة 2007.

- ملحقا لفهرس مخطوطات التاريخ والرحلات والإجازات من إنجاز محمد سعيد حنشي،  
وعبد العالي لمدير. صدر سنة: 1421هـ-2000م.
- فهرس مخطوطات الأدب. إنجاز محمد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدير. صدر سنة :  
1422هـ-2001م.
- فهرس مخطوطات البلاغة والعروض. إنجاز محمد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدير. صدر  
سنة : 1424هـ-2003م.
- فهرس مخطوطات اللغة. إنجاز مصطفى طوبي، وخالد زهري. صدر سنة : 1424هـ-2003م.
- فهرس مخطوطات النحو والصرف، إنجاز مصطفى طوبي، وخالد زهري. صدر سنة :  
1424هـ-2003م.
- فهرس مخطوطات السيرة النبوية، إنجاز محمد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدير. صدر سنة :  
1431هـ-2010م.
- فهرس مخطوطات الحكمة والمنطق وآداب البحث والمناظرة والوضع، إنجاز خالد زهري  
وعبد المجيد بوكاري. صدر سنة: 1432هـ-2011م.
- فهرس مخطوطات العقيدة الأشعرية ، إنجاز خالد زهري وعبد المجيد بوكاري. صدر سنة:  
1432هـ-2011م.

والفهاص الثمانية الأخيرة أنجزت بإشراف فعلي من فضيلة الدكتور أحمد شوقي بنين.

ولم تقتصر الأنشطة العلمية للخزانة الملكية على الفهرسة بل تعدتها إلى ضبط وتحقيق مجموعة  
مهمة من الكتب ونشر بعض الدراسات المرتبطة بعلم المخطوط.

#### 8 - منجزات الخزانة الحسنية في رقمنة المخطوطات :

حاولت الخزانة الحسنية بالرباط منذ افتتاحها سنة 1962 مواكبة أحدث تقنيات التصوير  
لإتاحة ذخائرها للأساتذة وللباحثين من المغرب، ومن مختلف الأقطار والأمصار، فقد مرت من  
تجربة التصوير الآلي غير الملون، والتصوير بالميكروفلوم في ستينيات وسبعينيات وثمانينيات القرن  
الماضي، ولم تتم بإشراف تقنيين متخصصين، ما عدا تلك التي تم إنجازها بالتعاون مع الخزانة العامة  
بالرباط، وفي شهر مارس من سنة 1997 بدأ مشروع رقمنة مخطوطات الخزانة الحسنية بمساعدة مادية  
وتقنية من مديرة المحافظة العقارية، بأمر من أمير المؤمنين الحسن الثاني طيب الله ثراه، الذي أصدر



أوامره المطاعة إلى السيد مدير المحافظة العقارية آنذاك سعد حصار لتنفيذ بعض بنود اتفاقية التعاون التي تربطها بالخزانة الحسنية، والتي تهدف إلى تحديث تجهيزات قسم المعلومات والتصوير، وقد تم الاتفاق بين السيد مدير الخزانة الحسنية فضيلة الدكتور أحمد شوقي بنين، والسيد مدير المحافظة العقارية على اقتناء أحدث ماسح ضوئي بالألوان، من نوع A 0 ZEUTSHEL من ألمانيا، وتم تشكيل فريق تقني من المؤسستين للبدء في تنفيذ هذا المشروع، لكن وتيرة العمل به؛ ككل بداية؛ كانت متعثرة بسبب الأعطاب المتتالية التي لحقت بهذه الآلة، بسبب سوء تركيبها من جهة، وبسبب قلة خبرة مستخدميها من جهة أخرى، فاضطرت المؤسسة لهذا السبب، ونظرا للتطور الكبير والاختراعات المتتالية التي يشهدها هذا الصنف من الآلات، اقتناء ماسحين ضوئيين آخرين بالألوان من نوع A 4 وآخر من حجم A 0 أكثر تطورا، وأيسر استخداما في رقمنة الكتاب المخطوط، كما عملت مؤسستنا على تدريب الموارد البشرية العاملة بقسم التصوير على الاستخدام الأمثل لهذه الآلات، وتعزيز مهاراتهم في ضبط الإضاءة، والتقاط الصورة، ومعالجتها، وتنظيم العمل.

هذا وقد تم إعطاء الأولوية في عملية الرقمنة لنوادير المخطوطات المحفوظة بالخزانة، وتلكم التي يطرد طلبها من لدن الباحثين للمطالعة، أو التي يرجعون إليها لإنجاز مشاريعهم العلمية، بالإضافة إلى بعض النسخ الخطية التي تنتخب للتبادل بين مؤسستنا وخزائن الكتب الأخرى في العالم، وقد بلغ عدد المخطوطات المرقمنة بنهاية شهر مارس من سنة 2012 حوالي 3200 نسخة خطية، أضف إليها حوالي 1220 كتاب مخطوط من الخزانة الملكية بمراكش، وعدد لا يستهان به من الكنائش والوثائق الملكية.

وتروم الخزانة الحسنية من خلال تنفيذ هذا المشروع إلى حفظ العدد الهائل الذي تمتلكه من الكتب المخطوطة والذي يقدر بحوالي 16000، وأكثر من مليون وثيقة، وعدد لا يستهان به من الكنائش المخزنية، وتجنبيها التلف والضياع، وسائر نوائب الدهر، وتيسيرها لروادها من الأساتذة والباحثين داخل المغرب وخارجه عبر وسائط إلكترونية متعددة، في صورة قريبة من الأصل، تحفظ لون الأحبار المستعملة في الكتابة والزخرفة، مع إمكانية تدبير أمثل لحجم الصورة وشكلها، في انتظار الإذن المولي لإتاحتها عبر الشبكة العنكبوتية.

هذا باختصار لمحة سريعة عن تاريخ هذه المؤسسة العلمية العتيقة، وجهود الفهرسة والتصوير والرقمنة في رحابها، والتي نروم من خلالها بالأساس إلى خدمة مثلى لتراث أمتنا، بحفظه، وإتاحته للعلماء والباحثين لنشره والانتفاع به، والنفع به، ليكون أسا متينا من أسس نهضتنا، وركنا مكينا من أركان إعادة بناء حضارتنا.

## فهرس المصادر والمراجع

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1956م.
- تاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، ط.1، 1412هـ/1991م.
- تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب لمحمد عبد الحفي الكتاني، ضبط وتعليق: أحمد شوقي بنين وعبد القادر سعود. منشورات الخزانة الحسنية بالرباط، ط.2، 2005.
- دور الكتب في ماضي المغرب لمحمد بن عبد الهادي المنوني، منشورات الخزانة الحسنية بالرباط. ط.1، 2005.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي (799هـ)، تحقيق محمد الأحدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت.
- روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف لأبي عبد الله محمد الصغير اليفري، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/1962م.
- المسالك والممالك لأبي عبيد حقه أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة قرطاج، 1922م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، تقديم محمد الفاسي، مطبعة، سلا، 1357هـ/1938م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتب الدار البيضاء ط.7. 1978م.
- معجم أصحاب الصدي، لابن الأبار طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1967م.
- معلمة المغرب، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 2003/1989م.
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفرائي، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط.1، 1419هـ/1998م.

- نشر المثاني لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1997م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1388هـ/1968م.





## في رحاب خزانة العلامة محمد المختار السوسي

الأستاذ رضى الله عبد الوافي المختار السوسي

يعتبر والدنا العلامة سيدي رضى الله محمد المختار السوسي علامة ثقافية مميزة، يشهد له بها معاصروه ومن أوتوا بعده، والذين وصفوه بالعالم المبرز صاحب القلم السيل، الساهر طوال حياته على التدوين والتسجيل، وبصماته التي تركها على صفحات التاريخ شاهدة له بأنه ما وهب حياته إلا لخدمة العلم والمعرفة؛ بالتدريس والتربية والنضال، مع إحياء ماضي هذه الأمة: الثقافي والأدبي والعلمي والاجتماعي والسياسي، وتوظيف ذلك كله في دروسه ومحاضراته وخطبه ومؤلفاته، وهذه الأخيرة هي التي أهلته لاحتلال المكانة المرموقة في صفوف الكتاب والباحثين والمؤرخين والزعماء المصلحين، وقادة الفكر والدين والوطنية، وذلك بسبب ما تركه من آلاف الصفحات في عشرات المجلدات، أغنت رفوف الخزائن في ميادين ومجالات عديدة، مما يدل على أن حياته وهبها للبحث والتأليف والكتابة.

وقبل الحديث عن تركته الفكرية، والوقوف على ما بخزائنه؛ لا بد لنا أن نعطي فكرة موجزة عن كيفية تعامله مع الكتاب، وذكر بعض مطالعاته في طفولته وطوال مشواره التعليمي.

كتب يقول: «... أول ما أعلنه عن والدتي [للا رقية الأدوزية] أنها هي التي سمعت منها بادئ ذي بدء تمجيد العلم وأهله، وإكبار تلك الوجهة، فكان كل مناها أن تراني يوما ما ممن تطلعوا من تلك الثنية، وممن يداعبون الأقلام؛ ويناغون الدفاتر؛ فبذلك كانت تناغيني، وذلك هو محور دعواتها حولي... في سحر يوم عاشوراء 1323هـ [17 مارس 1905م] أيقظتني فناولتني كأسا مملوءة ماء فقالت: إن هذا الماء ماء زمزم الذي هو لما شُرب له، وهذا سحر يوم عظيم، وهو مظنة الاستجابة، فاجرع منه وانو في قلبك أن يرزقك الله العلم الذي أتمناه لك دائما، فأفرغت الماء في حلقي بنيتها هي التي تدري ما تطلب، وما تنوي إذ ذاك...»<sup>1</sup>.

لقد كانت والدته رحمها الله هي التي وضعت على السكة في درب القراءة والكتابة، والتي كانت أستاذة داخل الدار؛ وأول من بدأت معه حفظ القرآن الكريم حتى سورة ﴿عم يتساءلون﴾ ليستمر

1 - من أفواه الرجال، مخطوط، الجزء السادس منه.

بعد ذلك في حفظ القرآن الكريم حتى ختمه سبع ختمات في سن العاشرة ونصف، لينتقل إلى تعلم العلوم العربية، بدءا بقريته إلغ ثم إلى مدرسة إغشان وبعدها مدرسة بونعمان فمدرسة تانكرت بإفران وهو مع ما يأخذه من علوم يمزجها بمطالعاته المتعددة، وقد كان سأل مرة سيدي الطاهر الإفراي شيوخه وعميد مدرسة تانكرت بإفران عما يطالع من الكتب، فأجابه : "أطالع القلائد، فقال له : حسنا يا سيدي المختار، أنت الآن أديب كبير حيث صرت تطالع مثل هذا الكتاب"، وكان في المدرسة قد تلا كتاب حياة الحيوان كأول كتاب تلاه على شيوخه مولاي عبد الرحمن البوزاكاري، وكذا شيئا من نفح الطيب والطبقات لابن خلكان وقلائد العقيان ومروج الذهب وكل سيرة ابن هشام مرتين<sup>2</sup>.

كانت مدرسة تانكرت بإفران آخر المدارس التي تلقى منها العلوم بالقطر السوسي، لينتقل بعد ذلك إلى أحواز مراكش بمدرسة الساعدات وكتب يقول : «... كانت الوالدة كلما رأني تناولت كتابا للمطالعة تجلس إلي وكلها سرور، حين بدأت تتطلع إلى أمانيتها في، وقد استحضرت أنني سهرت ليلة في تلاوة قصة ... فقالت : الحمد لله الذي أحياني حتى رأيت ولدي يسهر على كتب العلوم مطالعة ... خطرت لي سفر إلى حوز مراكش 1336هـ فقلت لها : يا أماه، أطلب منك أن تهينني لله، كما وهبت أم مولانا عبد القادر ولدها لله ؛ فقالت : إنني أهب منك كل ما أملكه لله ؛ فليكن الله في معونتك يا ولدي»<sup>3</sup>.

هكذا غادر والدنا بيئته السوسية إلى الحواضر، فكانت مدرسة الساعدات بأحواز مراكش محطته الأولى، ليحل بعدها بمراكش والتي اشترى منها كتبا كثيرة غالبيتها أدبية ؛ استغل فراغه من دراسة العلوم على يد أسيائها على مطالعتها، وخصوصا وأنه كان لا يخالط إلا القليلين من الطلبة.

وكانت فاس المحطة ما قبل الأخيرة والتي قضى بها أربع سنين، تطور فيها فكره تطورا غريبا، استفاد من علماء القرويين إفادات بارزة، مع احتكاكه بمجموعة لا يستهان بها من الشباب المتشبعين بالوعي الإصلاحي والمتطلعين إلى التجديد، وهو مع هذا كله ولمّا كان يأخذه عن شيوخه في القرويين ؛ كانت نفسه تتوق إلى المزيد من العلم وتوسيع آفاق فكره، وخصوصا مع شغفه بالمطالعة، فما كان منه إلا أن يمزج بين مختلف أنواع المطالعة بفتونها العديدة، وخاصة بمكتبة شيوخه سيدي محمد بن العربي العلوي الذي عمل بنصيحته التي يقول عنها : «... فلا أدري بأي سبب كنت أتكلم معه يوما بعد قيامنا من درس، فقال لي : إنني عرفت من أنت، فالآن اصح إلي، فإنني كنت وفدت على فاس في سنك،

2 - محاضرة : كيف عرفت الأدب ؟

3 - من أفواه الرجال، مصدر مخطوط، ج 6.



فاستفد من تجربتي، أوصيك أن لا تتسلف أبدا من فاسي، ولا تتركه يدرك أنك محتاج، فإن ذلك يسقطك من عينه، وها أنذا فكلما تحتاج إليه من الدراهم فخذ من عندي حتى تصلك الدراهم من عند أهلك، وكذلك الكتب ؛ فهذه خزانتي مفتوحة أمامك، فخذ واقرأ ما قدرت عليه» وأضاف : «كانت خزائنه مورد كل الكتب التي بها أدركت ما أدركت ؛ فكتب المنفلوطي وفريد وجدي دائرة المعارف فما دونها، وكتب محمد عبده ورشيد رضا، وكتب المحدثين الجدد، كلها ما طالعتها إلا من تلك الخزانة الكريمة، وكذلك ما سواها من كتب التاريخ، وما تضمه من المجلات، فما كنت أعرف مصر ولا شوقي ولا حافظ ولا المنفلوطي، وكل أركان الانقلاب الأدبي العصري، ولا كتب أساطين العلم، كفريد وجدي، إلا من أستاذي هذا، فمنه سمعت بهم أولا، ومن خزائنه طالعت كتبهم، وأذكر أنني طالعت «دائرة المعارف» في ستة أشهر مررت بها كلها مرورا»<sup>4</sup>.

هكذا كان رحمه الله يزجي الوقت طوال مقامه بفاس، ما بين التعلم والمطالعة وبسبب قراءاته للصحف والمجلات المشرقية، ومدى تأثيرها الكثير في نفسيته والتي صارت بعد ذلك تزن الأمور بميزان الوعي والتحليل والاستنتاج.

وبعد فاس انتقل إلى الرباط، ليمضي فيها سنته الأخيرة في رحلته العلمية، وكانت عنده سنة مباركة، وكتب يقول : «... لم يمض علي نظيرها في كل السنوات التي قضيتها في الدراسة ... كانت كلها جنة، فهذه دروس شيخنا المدني بن الحسن متعة من متع الفكر، وتلك مجالس الدكالي الشيخ الأكبر، فيها كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وعن يمينها مذكرات العلامة السائح، الذي كثيرا ما أطرقه كل يوم، وبين ذلك مطالعات في كتب نواذر تمدني بها الخزانة العمومية والمطابع المصرية. وأما المجلات العلمية فحدث عن البحر ولا حرج»، ومما أضافه : «حقا مضت لنا سنة 1347هـ سنة حافلة بكل لذيذ نافع، وما اللذيذ النافع إلا العلم الحي إذا كان الصديان إليه يكرع فيه بمثل فيه، قال لي الأستاذ المدني يوما : إنك يا فلان ستؤثر على بصرك من كثرة المطالعة، فقد أخبرت أنك لا تفرغ منها بعد قيامك من الدروس إلى أن تنام، فقلت له : وماذا أصنع ؟ فما كل وقت يساعد الدهر، ولا في كل مكان أجد مكتبة كهذه في الرباط ... فأمرني أن أسلك الوسط، فإن المنبت لا ظهرا أبقي ولا أرضا قطع»، إلى أن قال : «وكثيرا ما آوى إلى سيف البحر في غير أيام الدراسة، أمضي هناك جل النهار حتى يمنعني الليل من مواصلة المطالعة، فأرجع إلى ضوء البيت إلى أن أنام، وأنا ألتهم الكتب الجديدة والقديمة»<sup>5</sup>.

4 - من ترجمته بكتاب : المشيخة.

5 - من ترجمة المدني بن الحسن بالمشيخة.

حقا كان والدنا ملتها للكتب طوال مشواره التعليمي وولوعه بها كتب عنه يقول : «... فقد أولعت منذ عرفت قبيلي من ديري، وميزت يميني من شمالي بالتاريخ والأدب وبمطالعة كتبها، فلا أظل ولا أبيت منذ كحلتني العربية بأثمدها، وأذافتي حلاوة معانيها الطلية فانتشتني بخمرتها، إلا بين كتاب أبتدئه، وآخر أختتمه، منذ بكرت إلى مطالعة كتاب "ألف ليلة وليلة" في فجر حياتي، إذ كان أول كتاب طالعته وأنا ابن نحو عشر سنين، فأخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدينة العرب في بغداد ومصر وما إليهما، من أناقة ولطف وحسن ذوق ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما طالعت مثل : المستطرف وحياة الحيوان للدميمري، وابن خلكان ومروج الذهب ونفح الطيب وقلائد العقيان والاستقصا ونزهة الحادي والصفوة وهي الكتب التي طالعتها في حياتي الأولى في إلغ، وما إلى إلغ من إفران وإغشان. ثم لما كلت تراب الأرض بقدم الهجرة، ووجدت خزائن تطفح بالكتب الكبرى، أقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني، كيفما كان الكتاب، مادام يمت إلى الأدب والتاريخ، فلا أرد أي كتاب سنح ... [تم لما حللت بفاس] ... صرت أقرأ من نثر المنفلوطي وفريد وجدي ومحمد عبده وأضراهم، ومن شعر شوقي وحافظ ومطران وأمثالهم، ما عرفت به أن الذي كنت أسبح فيه منذ صغري ليس إلا ضحضا كدرا، لا يبرد جسدا، ولا يفثا غلة، ولا يقضي على لهفة»<sup>6</sup>.

لم يكن إعتاد والدنا رحمه الله في تكوين شخصيته الثقافية والعلمية على ما أخذه من أساتذته وشيوخه في حلقات التدريس طوال مشواره التعليمي بقريته (إلغ) وأرجائها، أو في الحواضر (الساعدات - مراكش - فاس - الرباط) على يد أساتذة ومشايخ - خمسة وأربعون<sup>7</sup> - ... بل بكثرة مطالعته في كل الكتب التي يجدها أمامه، وبشغوفه بها والاستفادة منها أهله ذلك ليصبح ذا ثقافة شمولية واسعة المعارف، وذا فكر مستوعب للعديد من الفنون، نال إعجاب كل أساتذته وتلاميذه وكافة من خالطه أو درس ما قاله وما كتبه، وأعدوه في مقدمة الشخصيات المرموقة من رجال الفكر والمعرفة والإطلاع، الذين يمزجون بين مختلف المعارف والفنون في مطالعاتهم، والتي نمت ثقافته وعمقت إدراكه ووسعت آفاقه، واحتل بذلك مكانة علمية بارزة.

كانت لوالدنا رحمه الله عدة هوايات، كركوب الخيل خاصة في طفولته، وهواية المطالعة لكل ما تراه عينه، وزيارة المكتبات والخزانات الخاصة، ومكوته بها لساعات بل ولأيام عديدة، كالمكتبة

6 - المعسول، الجزء 1، ص 14.

7 - انظر أساءهم وأماكن تراجهم في كتبه في ملحق الكتاب الذي نشرناه له سنة 2010م : "مشيخة الإلغيين من الحضريين" مع ذكر من أجازوه.



الخاصة لمحمد بن العربي العلوي بفاس، ومكتبة ابن زيدان بمكناس وأخريات كالتى بأبزو، والمكتبة العامة بالرباط، والتي كان يمدّها بنوادير بعض المخطوطات لتصويرها، فقد اكتشف بنفسه العديد منها مثل ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ومختصر رحلة العبدري وصفحات من مناهل الصفا للفشتالي وطبقات المالكية لمؤلف مجهول، وغيرها كثير، وما ذكره للكثير مما بالخزائن الخاصة والزوايا والمدارس العتيقة السوسية على الخصوص، والتي بينها في رحلاته الأربع الجزولية خير دليل على ذلك، هذا كله إلى جانب متعته في شراء الكتب، وتدوين وتسجيل ما تحتويه بعض النفائس منها في أوراق وكنائش عديدة تحت أيدينا بخزائنه.

بعد رحلته العلمية واستقراره بمراكش (1929م-1937م) لمزاولة التدريس بمدرسته الخاصة التي أسسها بزواوية والده بالرميلة، كان ملزما عليه تأسيس مكتبة لهذه المدرسة، فقام رحمه الله بمجهوده الشخصي على اقتناء الكتب من المغرب والمشرق، حيث كان يعتمد بالخصوص عند اقتناء كتب المشرق على صديقه الوفي المرحوم سيدي محمد بن أبي بكر التطواني السلوي، الذي كان يشتغل ببيع الكتب ويأتي بها من المشرق.

وقد تم تأسيس هذه المكتبة سنة 1353هـ، حسب ما وجدناه بالطابع الخاص لها، والذي يثبت بالصفحات الأولى لكل كتاب، والطابع مستطيل الشكل كتب فيه: "مراكش الرميطة مكتبة المطالعة لطلبة الزاوية الدرقاوية خاصة تأسست سنة 1353هـ".

إذن هي مكتبة والدنا الأولى التي أسسها منذ ثمانين سنة بمدرسة زاوية الرميطة، وقد كانت تضم المئات من الكتب المختلفة الألوان والمشارب، وتحت أيدينا بخزانة والدنا الخاصة بالرباط كنائش بها قوائم ما كانت تحتوي عليه، فمن كتب الأدب وما إليه من البحوث، وكتب التاريخ والأصول والبيان والتوحيد والتفسير والفقه والحديث والتصوف واللغة والنحو والجغرافية والعروض... وكذا كناش خاص كتب عليه: "مذكرات الخارج من الكتب على سبيل الإعارة حتى ترد لأجل معلوم لخزانة طلبة الزاوية الدرقاوية بمراكش" به أسماء الكتب وقبلها اسم كل من استعار كتابا، وسينفع كثيرا في معرفة من كانت له علاقة بهذه المدرسة وبخزائنها، ولذلك يمكن لنا أن نحكم أن تاريخ تأسيس هذه المكتبة كان قبل تاريخ 1353هـ الذي بالطابع الرسمي لها، لأننا وجدنا بالصفحة الأولى للكناش المذكور أخيرا (الخاص بالإعارة) كتب فيه تاريخ 1351-11-25هـ.

عند استقرار والدنا بالعاصمة الرباط لمزاولة مهامه الوزارية والقضائية جمع مكتبة زاخرة بكل أصناف المعرفة، بها العديد مما كان قد اشتراه لمكتبة مدرسته بمراكش (وإن كان ضاع منها الشيء



الكثير بسبب تنقلاته بين مراكش والمنفى الإلغبي والبيضاء)، أو ما كان قد جمعه من بعد ذلك، ويمكن لنا أن نقسم مكتبته بالرباط إلى ثلاثة أقسام: قسم عام ضم المئات من الكتب المتنوعة مغربية ومشرقية، وقسم ثان ضم مخطوطات ومسودات كتبه التي ألفها؛ وقسم ثالث ضم العشرات من المخطوطات والوثائق والمستندات أكثر من ثلثها تهم قطرنا السوسي.

عند شروع والدنا في عمله البطولي لنشر مؤلفاته المخطوطة كان لزاما عليه أن يوجد لذلك المالية الكبيرة والكثيرة لنشر ما نشره - 37 جزءا في أربع سنوات - فما كان منه إلا أن يضحي ببيع منزل له بالرباط، وكذا ببيع جزء من مكتبته التي بمنزله بالرباط، وخاصة القسم الأول-الذي ذكرناه-الخاص بالكتب العامة، وذلك إلى جمعية علماء سوس بتارودانت، وتحت أيدينا بعض قوائم هذه الكتب، بها اسم الكتاب وعدد الأجزاء ثم السعر، وهي بخط من قوم ذلك المرحوم سيدي محمد بن أبي بكر التطواني السلوي، وكذا رسالة رسمية بتوقيع الحسين وجاج كتب فيها: "معالي وزير التاج سيدي المختار السوسي، تحية واحتراما، وبعد؛ فلقد أديت الأمانة ومكنتها من صاحبها وسلمتها بنفس الشرط الذي به تسلمتها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإليكم لائحة الكتب التي كلفت بإبلاغها إلى خزانة جمعية علماء سوس، وتقبلوا تحياتي والسلام" وفوقها تارودانت في 59/2/10. وبعدها صفحة بها أسماء كتب وأجزائها وثمان كل واحد، وهي بإمضاء وطابع قيم الخزانة.

هكذا ضحى والدنا ببيع جزء كبير من كتب خزائنه لطبع مخطوطات مؤلفاته، ولتقريب القارئ لمعرفة ما تحتويه خزانة والدنا بعد وفاته وبإيجاز نشير إلى الأقسام الآتية:

- قسم به الآن عشرات من الكتب المغربية والمشرقية، ضم بعض ما كان في المكتبة الأم المؤسسة بمدرسة الزاوية بمراكش، والآخر ما جمع بعد بيع ما بيع لخزانة جمعية علماء سوس، ويوجد بعدد غير قليل إهداءات أصحابها، بالإضافة لبعض المجلات والجرائد.

- قسم يضم مخطوطات ما كتبه، منها ما نشره في حياته أو الذي تركه كما هو أو ما قام بتهيئته للطبع - مرقون - مع العديد من الكنانيش المدونة فيها ما يهم مؤلفاته.

- قسم يضم العديد مما جمعه خاصة بمنفاه الإلغبي، به المآت من الرسوم والشهادات العدلية والظواهر والفتاوى، والمراسلات والرسائل، والعديد من الأشعار في أوراق ودواوين وكنانيش؛ إلى غير ذلك من الوثائق المتنوعة.

- قسم يضم العشرات من المخطوطات المختلفة الأحجام، بها ما بخط أصحابها أو منتسخة إما على حدة أو ببعض الكنانيش.

- قسم خاص يضم مراسلاته ما قبل الاستقلال أو ما بعده، وأوراق إدارية تهتم مراسلاته الإدارية، وظهائره وصور عديدة متنوعة، وإجازاته الخاصة، والميداليات التي حصل عليها، وأوراق شخصية عديدة، وأغراض أخرى كالقلم - اليراع - الخشبي المستعمل في الدواة للكتابة الذي رافقه بمنفاه، إلى غير ذلك مما يضيق المجال لذكره.

إن بخزانة والدنا رحمه الله ذخيرة نفيسة تضم بعض نفائس المخطوطات والوثائق، لم يسعفنا الوقت لإتمام فهرستها بسبب انشغالاتنا في سبيل إخراج تراثه المخطوط، ومع ذلك كله فقد هدانا الله إلى تبيان ما تحتويه، وذلك على هامش بعض الندوات التي أقيمت له، والتي كنا نضع في معارضها بعض ما تحتويه (أكادير، تنزيت، إلغ، الرباط، البيضاء، الرشيدية) وكذا تبيان وتقريب ذلك في مقدمات الكتب التي نشرناها، أو ما بيناه في المقالات التي نشرناها<sup>8</sup>، وكذا ما بكتيب دليل مؤلفات ومخطوطات العلامة رضى الله محمد المختار السوسي<sup>9</sup>، وهذا كله بالإضافة إلى فتح أبواب خزانته في برنامجين للقناة الثانية، وأخيرا القناة السادسة في برنامج : من مكتبة عالم ... وعملنا في ذلك كله نابع من كوننا واعين بأن هذه الخزانة أصبحت إرثا إنسانيا لا يمكن لنا نحن ورثته أن نغفل عن ذلك، مما حدا بنا إلى إغنائها بالعديد من الكتب التي كانت بحوزتنا، إضافة إلى اقتنائنا للمصادر التي احتجنا إليها في سبيل نشر كتبه، وكذا ما أضفناه لها وخاصة كل الكتب والمجلات والجرائد التي ترجمت له، أو ما كتبه الباحثون عنه أو عن التراث السوسي.

8 - أربعون حلقة بجريدة "التجديد" بين 2005 و2006.

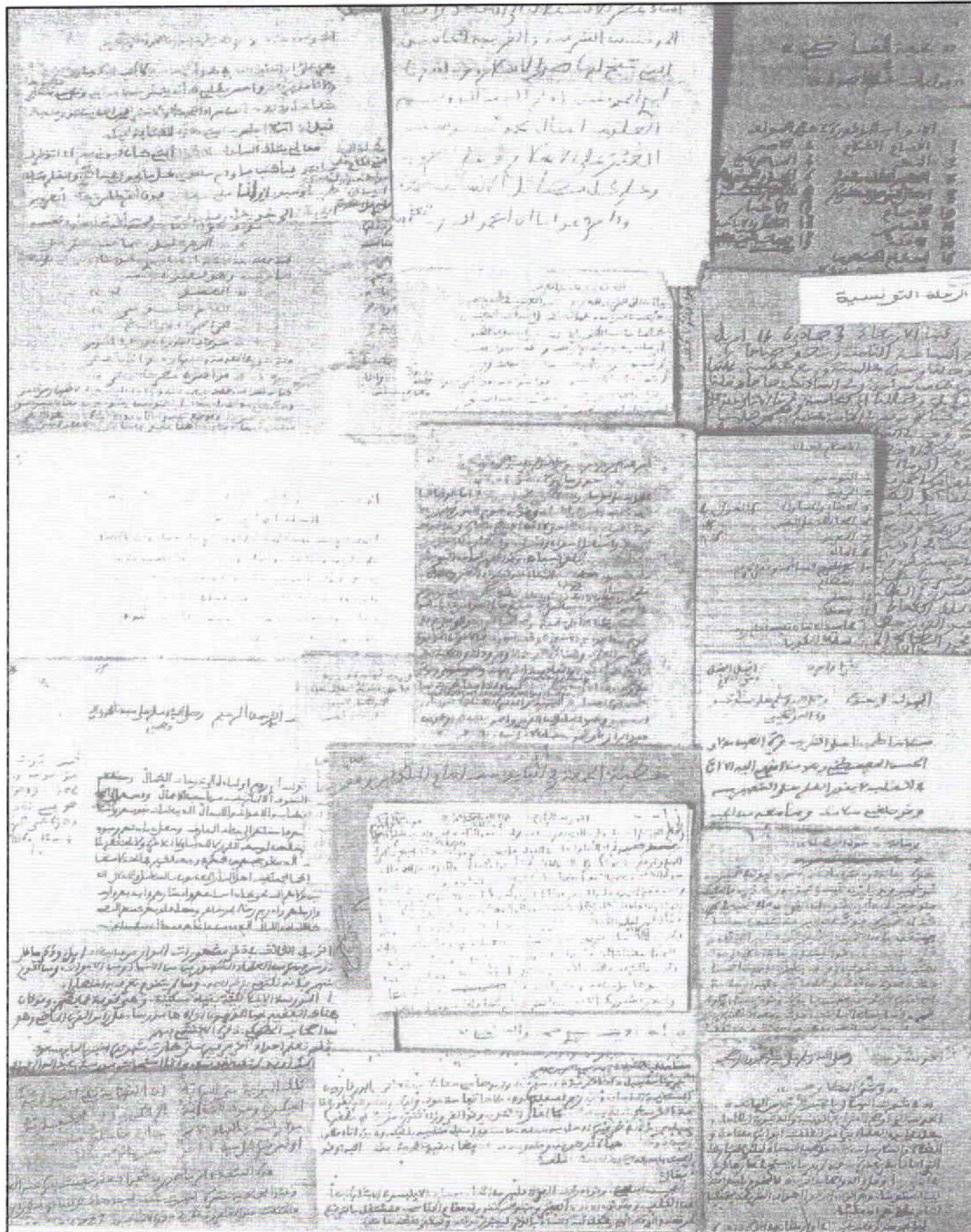
9 - نشرنا طبعته الثانية سنة 2005.





صاحب الجلالة مولانا محمد السادس أعز الله أمره أثناء تسلمه المجموعة الكاملة للمؤلفات المطبوعة  
للعلامة محمد المختار السوسي عند زيارته لتفراوت يوم 31 أكتوبر 2001م وقد سلمها ابنه : رضى الله  
عبد الوافي المختار السوسي (المحافظ على تراث والده - نيابة عن الأسرة)





نماذج من مخطوطات العلامة رضى الله محمد المختار السوسي التي بخزائنه الخاصة بالرباط



## مؤسسة علال الفاسي في سطور مع نبذة عن حياة الزعيم علال الفاسي الفكرية

الأستاذ عبد الكريم بن عبد القادر البوكيلي

### - مدخل حول المكتبة ودورها في المجتمع

تعتبر المكتبات، بما فيها الوطنية والجامعية ومكتبات البحث العلمي وكذا المكتبات العمومية الخاصة بنيات تحتية ودعامات أساسية للنهوض بالبحث العلمي ونشر تقاليد القراءة وتحقيق الإقلاع الثقافي، ومن تم فهي تشكل مدخلا فعليا لولوج مجتمع المعرفة. كما أنها صارت اليوم فضاءات مفتوحة تتواصل مع محيطها المباشر ومع العالم الخارجي من خلال التنشيط الثقافي والتوظيف المتزايد لتكنولوجيا الإعلام والاتصال. ووفق هذا المنظور يمكن للقطاع المكتبي المغربي أن يتحول إلى رافعة أساسية للتنمية البشرية بل هذا القطاع في رأيي، هو التنمية البشرية الحقيقية، ويندرج بفعالية في صلب المشروع التنموي لبلادنا والذي أطلقه صاحب الجلالة والمهابة محمد السادس نصره الله.

فالمكتبة مظهر من مظاهر الرقي والتقدم الاجتماعي، مهمتها الأساسية تقديم المعرفة إلى المجتمع ونشر الوعي الثقافي بين صفوفه حيث تزود أفراده بأنواع الثقافات المختلفة والخبرات العلمية المتنوعة.

والمكتبة مؤسسة عليمة ومستودع للتراث الإنساني وأداة تثقيف وتوجيه في آن واحد.

ونعرض هذا النموذج من نماذج المكتبات العمومية الخاصة وهو مكتبة أو مكتبات مؤسسة علال الفاسي حيث تضم هذه المؤسسة بين جدرانها عدة مكتبات خاصة تزخر بحشود متواضعة وقيمة من أفكار إنسانية دبجتها براعة عباقرة الفكر العلمي.

مؤسسة علال الفاسي مؤسسة ثقافية ذات منفعة عامة تحمل اسم المرحوم الزعيم العلامة محمد علال الفاسي (1910-1974م) أسست بناء على الوثيقة العدلية التي أقر بها الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله، بتاريخ 17 أبريل 1979، والتي قرر بموجبها جلالته تحويل سكني المرحوم سيدي علال الفاسي إلى مؤسسة ثقافية، تحمل اسم "مؤسسة علال الفاسي" وتخليدا لاسمه، وعرفانا منه بما



للزعيم علال الفاسي من أعمال جليلة لوطنه ورعاية من جلالته للتراث الأدبي والعلمي الذي تركه الزعيم الراحل، وتقديرا لعلمه وتفانيه في خدمة وطنه.

على إثر ذلك وضعت عائلة الزعيم المرحوم جميع الكتب والوثائق المكونة للخزانة التي تركها، قصد تأسيس هذه المؤسسة التي تخضع في تنظيمها وتسييرها للقانون الذي وضع لها.

الراعي الأول للمؤسسة هو المغفور له الملك الحسن الثاني رحمه الله، الذي هو من الأعضاء المؤسسين، إلى جانب الأمين العام لحزب الاستقلال وأرملة المرحوم وأبنائه.

وكان جلالته يعين بعض أعضاء المكتب المركزي للمؤسسة.

يرأس المؤسسة حاليا الأستاذ الفاضل محمد بوسنة الذي له من الحنكة والتجربة الكبيرة في شتى ميادين المعرفة والإدارة وبالأخص في الشؤون الاجتماعية.

وتأسست بالمؤسسة لجنة ثقافية وعلمية مكونة من شخصيات مرموقة ذات قيمة علمية يترأسها الأستاذ الأديب عبد الكريم غلاب.

- نبذة عن حياة علال الفاسي الفكرية :

علال الفاسي شخصية متعددة الاهتمامات والآفاق، عميقة الإيمان بالتطور وبالانضال من أجله، علال واسع الإطلاع والمعرفة، بعيد النظر، ملتزم، ذو مبادئ ورسالة اضطلع بهما بكفاءة عالية، وفي مثابرة إلى آخر رفق من حياته.

تحلى دوماً برحابة الفكر وسعة الصدر وقوة التساؤل وصفاء الحوار مع الآخرين، ممن يقاسمهم الهوية والثقافة واللغة ومشاكل الفكر والوطن، أو مع من ينتسبون لثقافات ولغات أخرى، يلتقي معهم في المشترك الإنساني يختلف مع الاثنين أحياناً، في التأويلات ووجهات النظر، وفي تفسير الوقائع، وتصور الآفاق أو البدائل.

إن إسهام علال الفاسي في تطور الثقافة المغربية، بل والعربية إجمالاً، موضوع جدير بالبحث والدراسة والمقاربة. إسهامه أكيد، بالغ الفائدة، متواصل التأثير، خلاق.

تميز إنتاجه بجملة من الصفات والملامح التأليفية والفكرية منها :

• غزارة إنتاجه الفكري والأدبي وانتظام عادة الكتابة والنشر لديه دون انقطاع رغم انشغالاته المذهبية والسياسية المتعاقبة والمتصلة في حياته. الكتابة والتأليف والصدع بالرأي، شكلت لديه

أسلوبا في الحياة، ونبراسا في السلوك، وقناة دائمة لبناء المعرفة ونشرها وتعميم الاستفادة منها وامتلاكها، ارتقاء بإنسانية الإنسان.

• موسوعية التناول والمقاربة، وشمولية النظرة، في حرص واع على التجانس في مناحي التأليف والكتابة، وفي اللغة أسلوبا واستدلالات ومتابعة حفرية واستقصائية للموضوع أو القضية المدروسة.

• علال الفاسي وبحوثه ومناظراته، تنتج المعرفة وتؤسس الوعي المستقل بالأنا وبالأخر، الوعي المشدود إلى الإنسية المغربية والحرية والعقل والعدل في دائرة الإسلام المستنير.

• في كتابات علال الفاسي وتأليفه بعد بيداغوجي شفاف، يأخذ في الاعتبار حاجة القارئ أو المستمع إلى الفهم والاستيعاب وأهداف المتحدث أو المؤلف في التبليغ وإحداث الأثر، من هنا وضوح اللغة وسلاستها، والتوضيح بالأمثلة والاقتراسات والاستشهادات الملائمة، وتجنب التعقيد اللفظي والتركيب.

• بهذا وبغيره من المكونات التي لا يتسع المجال لذكرها، كان إسهام علال الفاسي في تطور الثقافية المغربية قويا خلّقا، كتاباته تترجم بالدرجة الأولى صوته واقتناعاته وصوت المرحلة والمجتمع اللذين ينتمي إليهما، وصوت ثقافته الموسوعية، وصوت القيم التي آمن بها وناضل من أجلها.

• لذلك، سيظل في الذاكرة الثقافية المغربية علامة بارزة على حيوية الثقافة وتدفقها في القرن العشرين.

- أهداف المؤسسة :

تهدف المؤسسة كما في قانونها الأساسي إلى :

- جمع الإنتاج الأدبي والقانوني والسياسي والفكري للمرحوم علال الفاسي، من أجل نشره وتعميم الفائدة منه.

- وضع المستندات والوثائق التي تحتوي عليها خزانة المرحوم، والمكتبات الملحقة بها، رهن إشارة الباحثين والمثقفين والمهتمين.

## - أنشطة المؤسسة :

من أنشطة المؤسسة : القيام بعدد من المحاضرات والندوات الفكرية والموائد المستديرة حول موضوعات مختلفة، ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية تشغل بال الرأي العام المحلي والعالمي وذلك إسهاما منها في الإشعاع الثقافي وإبراز لأهم الأفكار والقضايا الكبرى التي كانت تستأثر باهتمام الزعيم الراحل وتأخذ حيزا كبيرا من كتاباته وكفاحه اليومي.

تعمل المؤسسة إلى جانب ذلك على طبع مؤلفات المرحوم علال الفاسي ونشر تراثه والتعريف به على أوسع نطاق وكذلك طبع المحاضرات والندوات التي تقوم بها بقصد تعميم الفائدة المرجوة منها.

تنظم المؤسسة مرة كل سنتين جائزة تسمى : "جائزة علال الفاسي" وتمنح لأجود البحوث في موضع فكري تختاره لجنة علمية تشرف على هذه الجائزة. وقد شرعت المؤسسة في تنظيم هذه الجائزة منذ سنة 1996 إلى يومنا هذا.

## - خزانة المؤسسة والمكتبات التي ضُمت إليها :

تشتمل المؤسسة على خزانة كبرى هي الخزانة الخاصة بالمرحوم علال الفاسي وقد أضيفت إليها مكتبات أخرى أهداها أصحابها إلى المؤسسة.

**فخزانة علال الفاسي :** تعتبر من أهم خزائن الكتب بالمغرب إذ تحتوي - فضلا عن مؤلفاته الشخصية وإنتاجه العلمي والأدبي المتنوع على مجموعة كبرى من كتب التراث الإسلامي والعربي والمغربي منه على الخصوص وكان بعض محتويات هذه الخزانة العليمة قد آل إليه من خزانة والده العلامة المرحوم عبد الواحد الفاسي أحد علماء القرويين المشهورين. أما جله فكان مما عمل رحمه الله، منذ حداثة سنه وإلى آخر أيام حياته، على تحصيله واقتنائه، باذلا في ذلك كل غال ونفيس.

وهكذا فإن محتويات هذه المكتبة تنقسم إلى :

**1- مؤلفات علال الفاسي :** وبحوثه ومقالاته ورسائله وإنتاجه الذي طبع جزء كبير منه في كتب، وما يزال بعضه مخطوطا في دفاتره وكناشاته وأوراقه الخاصة، وبعض آخر مبثوث في ثنایا الصحف والمجالات المغربية وغيرها.

**2- قسم المخطوطات :** ويحتوي على أكثر من 800 مجلد، منها :



242 مجلدا يحتوي على أكثر من مؤلف (أي مجامع). وبذلك يصل عدد المؤلفات المخطوطة في هذه المكتبة على أكثر من 2400 عنوانا. ويوجد لهذه المخطوطات فهرس مطبوع في أربعة مجلدات، أعده المرحوم عبد الرحمان بن العربي الحريشي المدير السابق للمؤسسة.

3- المطبوعات الحجرية : وهي قيمة خاصة ترقى إلى مستوى المخطوطات لأهميتها وندرتها، ويبلغ عددها في هذه الخزانة 171 مجلدا.

4- المطبوعات العادية : في مكتبة الزعيم علال الفاسي وباقي المكتبات يفوق عددها خمسة وثلاثين ألف (35.000) كتابا، بما فيها 52 من المصاحف الشريفة في مختلف طبعاتها بلغات مختلفة.

5- الكتب الأجنبية : وهي الكتب المكتوبة بغير العربية، من الفارسية والفرنسية والانجليزية والألمانية والاسبانية وغيرها، ويبلغ عددها زهاء اثني عشر ألف (12.000) مؤلف.

6- الدوريات (المجلات والصحف) : ويبلغ عددها بالمؤسسة أكثر من 4.540 مجلة وصحفية.

7- الوثائق : تشتمل خزانة علال الفاسي على كم هائل من الوثائق المتعلقة بتاريخ الحركة الوطنية المغربية والمغربية، بما فيها الرسائل المتبادلة بين صاحب الخزانة وعدد من الشخصيات المغربية والعربية والإسلامية والأجنبية.

8- مجموعة من الصور الفوتوغرافية : للزعيم المرحوم علال الفاسي وشخصيات أخرى وطنية وعربية ودولية لها قيمة خاصة في تاريخ المغرب الحديث.

المكتبات الملحقه : بالإضافة إلى خزانة علال الفاسي الأصلية، أو المكتبة الأم، ألحقت بالمؤسسة خلال السنوات القليلة الماضية، مكتبات قام أصحابها - أو ورثتهم - بإهداءها إليها تقديرا منهم لمكانة الزعيم علال الفاسي العلمية والوطنية وإسهاما في تعزيز رصيد مؤسسته ومد إشعاعها الثقافي وخدمة المثقفين والباحثين الذين يرتادونها باستمرار. والمكتبات التي تم إلحاقها بالمؤسسة لحد الآن هي :

- مكتبة المرحوم الأديب الحاج أحمد بناني ومكتبة الأستاذة والأديبة خنثة بنونة، ومكتبة المرحوم عبد الهادي الديوري، ومكتبة السفير الأديب المرحوم محمد التازي ومكتبة المرحوم الحاج السلمي، ومكتبة المهدي بوتاهرة، ومكتبة محمد السلوي أبو عزام. ومجموعات أخرى صغيرة من الكتب مهداة من المرحومين محمد اليزيدي ومحمد بن شقرون. كما أضيف إلى رصيد المؤسسة مجموعات كبيرة من المؤلفات باللغة العربية وبلغات أجنبية، من منظمة اليونسكو والاسيسكو

وأكاديمية المملكة المغربية. جل هذه المجموعات الخاصة مفهرس ومصنف حسب تصنيف ديوي العشري المعروف عالميا وأدخلت عناوين هذه المؤلفات في الحاسوب حسب قاعدة معطيات تتيح البحث حسب المؤلف أو العنوان أو الموضوع.

هذا ما يمكننا أن نقول باختصار في حق هذه المؤسسة وفي إشعاعها العلمي والثقافي والأدبي المتصل منذ تأسيسها، وعلى فضيلة حفظ الذاكرة الثقافية، وتنميتها والإبقاء عليها حياة نابضة تصل الماضي بالحاضر وتبني استمرارية ثقافية متجددة وتحقق تواصلًا منتظمًا بين فكر الرائد علال الفاسي وثقافته المستنيرة بينه وبين الأجيال الجديدة من القراء والمثقفين والفاعلين والنخب.

## مكتبة عبد الله كنون بطنجة

الأستاذ محمد كنون الحسني

من المكتبات العلمية الخاصة لصاحبها العلامة عبد الله كنون الحسني المتوفي بطنجة يوم تاسع يوليو 1989، جمع كتبها ودورياتها وعمل على تنميتها بالشراء والمبادلة منذ العقد الثاني من عمره، وتولاها بالحفظ والصيانة طول حياته ضاماً إليها كل ما يتوصل به من هدايا أو جديد مؤلفات أصدقائه من رجال العلم والأدب من كافة أنحاء المعمور، ثم رصّعها بمخطوطات علماء الأسرة الكنونية التي وفدت من فاس على مدينة طنجة عام 1914، مما جعلها خزانة ضخمة، تضم آلاف المجلدات في شتى العلوم، ومثلها من المجلات والدوريات، وعددا هائلا من المطبوعات الحجرية والمخطوطات النادرة، والنشرات السياسية والعلمية والأدبية والوثائق الخطية والجرائد المغربية والعربية التي ترجع إلى أوائل القرن الماضي إضافة إلى صور ووثائق عن تاريخ طنجة والمغرب، ومراسلات مع كبار الوطنيين والعلماء والمفكرين داخل المغرب وخارجه.

أهداها الأستاذ عبد الله كنون لمدينة طنجة وأمر بوقفها وجعلها حيسا على مثقفها وطلابها، ومن خلاهم على كل الباحثين بالمغرب وخارجه بناء على هبة سجلت في السجل العدلي لمدينة طنجة سنة 1984.

وقد تم افتتاح هذه المكتبة رسميا في حفل بهيج يوم 28 فبراير سنة 1985 في الطابق الثاني من بناية للأملك المخزنية تسمى "دار السلف" وتقع في وسط شارع "باستور"، وأسندت إدارتها إلى ابن أخت الأستاذ عبد الله كنون المرحوم عبد الصمد العشاب.

وقد تأسست جمعية للمحافظة على هذه المكتبة ورعايتها والسهر على سلامة الكتب الموجودة بها وتنظيم إدارتها ومواعيد المطالعة، وتزويد المكتبة باستمرار بالكتب التي تكون في حاجة إليها، بالإضافة إلى :

- نشر كتب العلامة المرحوم عبد الله كنون وإعادة طبع ما سبق نشره منها.
- تنظيم ندوات علمية والمشاركة في المحافل العلمية بالدراسات والبحوث.



• تنظيم جائزة عبد الله كنون للدراسات الإسلامية والأدب المغربي. يديرها مجلس إداري يتكون من عشرة أعضاء ثلاثة دائمون، اختارهم العلامة عبد الله كنون من بين أفراد عائلته ومن خيرة تلامذته، ويترأسه ابن أخته الأستاذ محمد مصطفى الريسوني.

واستمرت الجمعية تؤدي واجبها عبر السنوات الماضية. ولما توسعت أعمالها بتوسع اختصاصاتها تحولت من جمعية إلى مؤسسة تحمل إسم "مؤسسة عبد الله كنون للثقافة والبحث العلمي". ووقع الإعلان عن ميلاد هذه المؤسسة في محضر اجتماع مكتب جمعية مكتبة عبد الله كنون بتاريخ 06-06-2005 وذلك بعد أن ارتفع من عشر إلى ثلاثة عشر، وحازت من إدارة الأملاك المخزنية جميع مرافق البناية المتصلة بالمكتبة والتي وزعت حسب التنظيم الجديد الذي يضم :

1. طابق سفلي خاص بالكتب والجرائد والمجلات المكررة.
  2. طابق أرضي خاص بالدوريات والمجلات، يتوفر على قاعة خاصة بالقراءة وموظف يُلبى طلب رواد هذا القسم.
  3. طابق أول خاص بالمخطوطات والنشرات والجرائد وصور الذكريات التاريخية والوطنية لمدينة طنجة والمغرب بصفة عامة، ويضم مكاتب وقاعة للمحاضرات.
  4. طابق علوي ويضم الكتب والوثائق والمطبوعات، وقاعة كبرى للمطالعة، ومكاتب إدارية.
- تضم المكتبة أكثر من 17000 عنوان، منها :

- باللغة العربية أزيد من 15990 عنوان ؛
- باللغات الأجنبية أزيد من ألف عنوان : (فرنسية وإسبانية وإنجليزية) ؛
- الكتب المخطوطة والمصورة عن مخطوطات أصلية : أزيد من 2900 ؛
- الوثائق الخطية أو المصورة ؛
- صور ذاكرة طنجة ؛
- الجرائد والمجلات.

وتشتمل المكتبة على أقسام أهمها :

1- قسم المخطوطات والمصورات والمطبوعات الحجرية : يضم هذا القسم :

أ- جملة وافرة من الكتب المخطوطة التي اقتناها الأستاذ عبد الله كنون في حياته أو التي كانت تضمها مكاتب علماء العائلة مثل مكتبة أبيه الشيخ عبد الصمد وعمه العلامة محمد بن التهامي

وغيرهم، بالإضافة إلى مخطوطات مكتبة أخيه العلامة عبد الحفيظ التي انتقلت إلى الخزانة بعد وفاته. وتتناول هذه الكتب مختلف جوانب الإنتاج العلمي والأدبي والتراث المغربي.

ب- عدد من المصورات التي استخرجها من دور الكتب من مصر وتركيا وإسبانيا وغيرها، بالإضافة إلى عدد آخر أهدي للمكتبة من مديرية الوثائق الملكية، ومن بعض العلماء والباحثين الذين يترددون على المكتبة.

ج- عدد وافر من المطبوعات الحجرية التي اقتناها الأستاذ كنون أو كانت ضمن كتب العائلة، أو أهديت للخزانة.

وقد وضع محافظ المكتبة المرحوم عبد الصمد العشاب فهرسا لعدد من هذه المخطوطات والمصورات والمطبوعات الحجرية طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 1996، كما أعد جزءا ثانيا للمخطوطات التي لم يتضمنها الجزء الأول أو التي انتقلت إلى المكتبة بعد هذا التاريخ - مخطوطات خزانة عبد الحفيظ كنون - وللمصورات والمطبوعات الحجرية التي أهديت للمكتبة، وسيطبع قريبا بإذن الله.

## 2- قسم المجلات والجرائد والوثائق : يشتمل هذا القسم على :

أ- أمهات الصحف والمجلات الإسلامية والعلمية والأدبية الصادرة في معظم أرجاء الوطن العربي، بالإضافة إلى كم هائل من الصحف التي كانت تصدر بشمال المغرب في السنوات الأولى من القرن الماضي.

ب- عدد كبير من الوثائق التي تتناول موضوعات مختلفة، منها رسائل موجهة إلى الأستاذ كنون من كبار المفكرين في العالم العربي والإسلامي والغربي، ومن رجال الحركة الوطنية، وزعماء الحركات التحررية في الوطن العربي، ومراسلات تهم المجامع العربية والإسلامية التي كان ينتمي إليها، مثل رابطة العالم الإسلامي، والمجمع اللغوي بالقاهرة، ودمشق وغيرها، يرجع تاريخ أولى هذه الرسائل إلى سنة 1925، وقد جمعها ورتبها محافظ المكتبة المرحوم عبد الصمد العشاب في مجلدات ضمت :

• رسائل تتعلق بالقضية الوطنية وقد طبعتها مؤسسة عبد الله كنون في كتاب تحت عنوان :

"عبد الله كنون في قلب الحركة الوطنية" ؛

• رسائل تتعلق بالقضية الفلسطينية ؛

- في حظيرة مجمع البحوث الإسلامية ؛
- في حظيرة مجامع اللغة العربية بمصر وسوريا والأردن والعراق ؛
- في حظيرة رابطة العالم الإسلامي ؛
- مهرجانات ولقاءات ثقافية ؛
- في حظيرة رابطة علماء المغرب ؛
- في الحقلين الأدبي والعلمي ؛
- رسائل عامة.

ومنها وثائق تتعلق بالحركة الوطنية في شمال المغرب، وبرابطة علماء المغرب، وبتأسيس المدرسة الإسلامية الحرة بطنجة..

ج- صور تمثل ذخيرة من الذكريات الوطنية والعربية، تؤرخ بشكل أساس لطنجة وشمال المغرب وعدد من المحطات في تاريخ المغرب.

3- قسم الكتب المطبوعة : ويشتمل على المصاحف بجميع القراءات وبأحجام وطبعات مختلفة، وكتب التفسير والدراسات القرآنية، وكتب الحديث والفقه والأصول، وكتب السيرة، وكتب التاريخ العام، والأدب، والدواوين الشعرية، والمعاجم ويتميز هذا القسم بكتب نادرة لم تصل إلى سوق الكتاب بالمغرب أهديت لصاحب المكتبة من مؤلفيها أعضاء المجامع العربية والإسلامية التي كان ينتمي إليها، أو من أصدقائه من كبار المفكرين، كما تنفرد ببعض الطبعات القديمة والنادرة لمصادر التراث العربي والإسلامي.

ويعتبر هذا القسم أكبر أقسام المكتبة من حيث عدد الكتب والمطبوعات، وهو ينمو ويتوسع باستمرار من خلال :

1. شراء مكتب مؤسسة عبد الله كنون لبعض الكتب والمطبوعات الحديثة أو التي يطلبها الباحثون ولا تتوفر في المكتبة.

2. إهداء بعض العلماء والباحثين مكتباتهم أو جزءا منها للخزانة في حياتهم أو وصيتهم بذلك لورثتهم، ومن بينهم :



- العلامة عبد الحفيظ كنون ؛
- الأديب عبد القادر السميحي ؛
- الشاعر عبد الغني اسكيرج ؛
- المقاوم الحاج مصطفى بن عثمان ؛
- الأستاذ عبد العلي العبودي أطل الله في عمره .
- الأستاذ محمد مصطفى الريسوني رئيس المؤسسة .
- ... وغيرهم .

3. مساهمة بعض الجهات والمؤسسات في إغناء هذه الخزانة بمطبوعاتها، وعلى رأسها :

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ؛
- مديرية الوثائق الملكية ؛
- الأكاديمية المغربية ؛
- معهد العالم العربي بباريز ؛
- مؤسسة علال الفاسي بالرباط ؛
- مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء ؛
- معهد الملك فهد للترجمة ؛
- كلية الآداب بتطوان ؛
- ... وغيرها .

وتستقبل المكتبة كل يوم عدداً كبيراً من الطلبة والباحثين من داخل طنجة وخارجها وأحياناً من خارج المغرب. كما زارها عدد من الشخصيات العلمية والسياسية من المغرب والجزائر وتونس ومصر والسعودية...، وعدد من الوفود العلمية من داخل المغرب وخارجه.



## الفهرس الوصفى للخرانة السودفة (أحمد بن سودة)

الأستاذ عبد العزيز التلانى

تحتوى الخزانة السودفة على مؤلفات ثمنفة تهم مجالات علمفة مطبوعة بالتنوع والتعدد، ولها علاقة وثفة بمختلف العلوم الرائفة فى حقل الفكر الإسلامى.

■ وىأتى فى طلفة ذلك كتب الفقه والنوازل والأصول والتوحد والتفسفر والقراءات القرآنف والحديث والسفرة النبوفة والوعظ والإرشاد والتصوف، وىحتل هذا النوع المرتبة الأولى وىكتسح قطاعا مهما فى هذه الخزانة.

■ وىأتى فى الدرجة الثانية كتب اللغة العربفة وما فسبح فى فلكها من نحو وصرف وعروض وبلاغة ومنطق ناهفك بكتب الأدب كالمقامات والدواوفن الشعرفة.

■ وتحتل المرتبة الثالثة كتب الأوقاف والحكمة والتارىخ والجغراففة والطب والفلك والتوقفت والكفمفاء والموسقى والحساب وتفسفر الأحلام.

هذا التنوع العلمف فمنح الفرادة والتمفر لهذه الخزانة العرفقة الجدفة بكل عناية واهتمام.

### الزخرفة والخط

تؤول أهمة الخزانة السودفة إلى كونها تشكل جماعا نففسا لفنون الزخرفة الإسلامفة الأندلسفة والخط المغربى بشفى أصنافه وتنوعاته.

إن بعض الكتب تطالعنا ورقتها الأولى بنمنمات زخرفة مذهفة تعتمد على التورفق والتسطف والتشجفر وتلوفن الفراغ بالأصفر والأمر والأزرق مما ففعل جمالفة على المخطوط وىفعل منه قطعة فنف نففسة. فظهر ذلك جلفا فى دلائل الخفرات، وشفاء القاضف عفاض، خاصة فى الكتب الحاملة لرقم 16-14-5-89-381-15-203.



ومعظم الكتب يتم فيها تلوين رؤوس الأقلام بالأحمر والأزرق والأخضر.  
وغالبها كتب بالخط الزمامي المبسوط والمجوهر، زيادة على ما كتب بالخط الجبلي أو  
الصحراوي أو الخط العدلي.

جرت العادة في بعض الخزائن المغربية أن يقل فيها ذكر أسماء النساخ في مخطوطاتها، بينما نلمس  
العكس في ذلك بخصوص الخزانة السودية التي تطفح كتبها بالتوثيق لأسماء النساخ بنسبة 80%.

وحينما نتصفح أواخر المخطوطات تطالعنا أسماء الناسخين الذين ينتمون إلى المجالات الأولى  
نتعرف على الناسخين من فاس ومكناس وتطوان وشفشاون ووزان والقصر الكبير ومراكش  
وآسفي، وبخصوص المجالات الثانية هناك أسماء لها صلة بسوس وتادلة وتافيلات والحياينة  
والشاوية وبني مسارة ودرعة... ويمكن تحقيق مرحلة النسخة من القرن السابع إلى القرن الرابع  
عشر الهجري وفيها يلي لائحة بأسماء بعض الناسخين الذين وثقوا لأنفسهم في آخر صفحة من  
الكتب التي نسخوها.

✓ محمد الأيراري السجلماسي انتهى من نسخ كتابه أوضح المسالك على ألفية ابن مالك لابن  
هشام الأنصاري في متم ربيع الثاني عام 1305هـ.

✓ محمد بن علي الصنهاجي انتهى من نسخ شرح تحفة ابن عاصم محمد التاودي بن سودة عام  
1228هـ.

✓ محمد بن أحمد المدعو بابن برقوق نسخ كتاب الشفا للقاضي عياض في أواخر رمضان عام  
1315هـ.

✓ عمر بن إدريس الشريف العلمي اللحياني انتهى من نسخ الدر الثمين في شرح المرشد المعين  
لمحمد بن أحمد ميارة في 14 محرم 1163هـ.

✓ محمد بن عيسى الوردغي انتهى من نسخ دلائل الخيرات في سنة 1085هـ.

✓ محمد بن محمد العزفي القصري انتهى من نسخ مقامات الحريري يوم الأربعاء 16 شوال عام  
1294هـ.

✓ إدريس بن أحمد الدمناتي انتهى من نسخ عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل  
التوحيد لمحمد بن يوسف السنونسي في 28 رجب 999هـ.

✓ عبد النبي بن المجدوب بن عبد الحفيظ الفاسي نسخ حاشية عبد الرحمان الفاسي على  
صحيح البخاري.

- ✓ أحمد بن قاسم العزاوي انتهى من نسخ موطأ الإمام مالك في 27 جمادى الثانية 1274هـ.
- ✓ عبد الواحد بن المدني بن عبد الواحد بن أحمد الفيلاي المكناسي انتهى من نسخ الجزء الثاني من شرح الخرشي يوم السبت 22 جمادى الثانية سنة 1306هـ.
- ✓ أحمد بن الحاج علي بن الحاج أبي القاسم بن محمد بن سودة المري الأندلسي الغرناطي انتهى من نسخ غيث الأدب المسجم في شرح لامية العجم في 3 ربيع النبوي عام 995.
- ✓ عبد الله بن إبراهيم الرسموكي انتهى من نسخ تسهيل الفوائد وتعميل المقاصد لابن مالك يوم الاثنين 1 ذي القعدة عام 1133هـ.
- ✓ محمد بن أحمد الرهوني انتهى من نسخ شرح البردة لخالد الأزهري يوم الأربعاء 27 ربيع الثاني عام 1194هـ.
- ✓ الحاج عبد السلام بن محمد بن عبد السلام الحسني اليرتوني الأغزاوي، انتهى من نسخ المجالس السنية في شرح الأربعين النووية لأحمد حجازي الفشني.
- ✓ ابن يوسف بن الحسين البليدي، انتهى من نسخ كتاب المقنع لأبي القاسم بن علي بن خجو الحساني في يوم الثلاثاء 7 رمضان عام 1136هـ.

### ذخائر الخزانة

تنطوي الخزانة السودية على مجموعة من الكتب والنوادر النفيسة في علوم مختلفة يمكن أن تصبح أصولاً في التحقيق والمقابلة إضافة إلى كونها تحتوي على كنائش تنفرد بها ولا يوجد لها نظير بالخزائن الأخرى.

وفيما يلي ذكر لبعض نماذج الكتب التي يمكن أن ندرجها في عداد النفيس والشمين :

- ✓ مجموعة لقطات ومقتطفات من بعض علامات وعدول قضاة فاس وغيرها جمع الأستاذ عبد السلام بن سودة.

- ✓ كناشة خاصة للأديب المؤرخ محمد بن أحمد الكانوني الأسفي.
- ✓ مناقب العشرة لسيد محمد المعطي الشرقاوي.
- ✓ ائمة البصائر في معرفة إتمام المظاهر لابن عزوز المراكشي في سر الحرف.
- ✓ ریحانة الجيوب في خواطر العقاقير والعشوب للطبيب المعروف بابن الوزير.
- ✓ الرحلة الحجازية للشيخ التاودي ابن سودة.

- ✓ كناشة تضم فوائد علمية وأدبية وتاريخية لمحمد بن محمد بن علال بن سودة.
- ✓ الفتح الوهبي في مناقب مولانا العربي لمحمد العربي بن داود.
- ✓ جواهر السباط في مناقب سيدي عبد الله الخياط للريفي.
- ✓ اليواقيت الأدبية في جيد المملكة المحمدية بخط مؤلفها أحمد بن المهدي الغزال الأندلسي.
- ✓ سلوك الطريق الواوية بالشيخ والمريد والزاوية لمحمد الزبادي.
- ✓ كناشة تضم جملة من الرسائل وتقاييد اقتصادية ومسائل في الفرائض.
- ✓ رحلة حجازية للمهدي بن الطالب بن سودة.
- ✓ فهرسة الحسن بن عمر مزور.
- ✓ العنوان المغرب بمفاخر مولانا عبد الحفيظ لعبد القادر بن عبد القادر ابن سودة.
- ✓ تذكرة الألباب في صفة عمل الإسطرلاب للحسين بن الحسن بن عيسى المجاصي.
- ✓ حاشية على ميارة على لامية الزقاق ليعيش الرغاي الحرائي الشاوي.
- ✓ شرح تائية الحراق في التصوف لمحمد المهدي بن محمد التاودي بن أحمد بن القاضي.
- ✓ شور الطوية في مذهب أهل الصوفية لمولاي العربي الدرقاوي.
- ✓ شرح صغرى السنوسي للحسن بن محمد الهداجي الدرعي.
- ✓ ديوان العارف الرباني عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى المهبطي.
- ✓ نظم محمد بن عبد القادر العرائشي عدد فيه شيوخه.
- ✓ حاشية عبد الرحمان الفاسي على صحيح البخاري.
- ✓ أرجوزة في القراءات السبع لسيد المحجوب البحراوي.
- ✓ نزهة ذوي الألباب وتحفة نجباء الانجاب لمؤلفه محمد بن أحمد بن محمد بنيس شرح فيه كتاب منية الحساب لابن غازي.
- ✓ القطوف الدانية في شرح الدالية لمحمد بن عبد السلام الفاسي في القراءات القرآنية.
- ✓ العذب الزلال على لامية الأفعال لمحمد بن عبد السلام الفاسي.
- ✓ بيان المراد لجمال المجراد لأبي إسحاق إبراهيم التادلي.



- ✓ شرح رائفة الحسن بن مسعود اللىوسى لمحمد المهدى بن سودة.
- ✓ لباب الحقام فىما سمعت من الفوائد والحكم لأبى القاسم سىدى غازى.
- ✓ إرشاد السالك إلى ألففة ابن مالك لابن أحمد الشرفى الحسنى الشهفر بالدباع.
- ✓ شرح الغرب فى صحف الإمام البخارى لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمان الففرى.
- ✓ إتحاف ذوى الاستحقاق ببعض مراد المرادى وزوائد أبى إسحاق وهى حاشفة على ألففة ابن مالك فى النحو لمحمد بن أحمد بن على ابن غازى العثمانى.
- ✓ كناش المراثى جمع عبد السلام بن عبد القادر بن سودة.



## من خزائن الرباط الخاصة : خزانة الدكتور عباس الجراري

الأستاذ مصطفى الجوهري

خزانتكم تلي علينا علومها  
رفوف غدت ملأى بكل ذخيرة  
إذا زارها أهل الفنون تكشفت  
فيا سعد من تلي عليه الخزائن  
فياليتها كانت لديها زبائن  
لأعينهم فيها كنوز دفائن<sup>1</sup>

لعلني لست في حاجة إلى التأكيد بأن تكوين أو تأسيس خزانة للكتب خاصة تحتاج إلى جملة معطيات أساسية في طليعتها التحصيل الذاتي الذي يعتبر بنية أساسية في التكوين المعرفي للشخص المعني، رغم ما يتطلبه الأمر من إقبال ونهم وميل إلى القراءة ومجالسة الكتاب الذي يساعد في تقوية الثقافة الذاتية المؤهلة للتفاعل والعطاء إفادة واستفادة ذاتا وجماعة رغم ما يتطلبه الأمر من توضيحات تمس زمن الحياة (الوقت) وزمن الاقتصاد (المال) ولكنها في نفس الآن تشكل ثروة تخدم الثقافة والحضارة بوجه عام لا يدرك أهميتها إلا من اقتنع بأهمية الكتاب ودوره الوظيفي في المنظومة المعرفية الإنسانية.

وإذا كانت عادة بعض علماء المغرب وأدبائه منذ القديم وإلى اليوم ممن استهوتهم الثقافة الذاتية رغم بعض الإكراهات المرتبطة يومئذ بالورق والطباعة والنساخت ليس مجال بسطها في هذه المقالة، قبل أن تتطور بشكل لافت للنظر في آليات طبع الكتاب وإخراجه إلى عالم المكتبات في صورة جمالية، سهلت الإقبال على القراءة، وجمع الكتب وتأسيس الخزانات الخاصة رغم ما يشتمل منه بعضهم من الانصراف عن القراءة بتعليقات مفتعلة تتصل بغلاء الكتاب وظهور المكتبات الرقمية العالمية وما إلى ذلك من وسائل الاتصال والتواصل الحديثة.

1 - الأبيات للشاعر أبي بكر بناني نظمها سنة 1968م.



وقد عرفت مدينة الرباط منذ منتصف القرن التاسع عشر وعلى امتداد القرن العشرين مجموعة من العلماء والأدباء الذين عنوا بالقراءة الذاتية وتعاطي جمع الكتب. وأكاد أذهب إلى القول بأن بعضهم كان له عشق خاص بالكتب، وقدرة متميزة على امتلاكها يغنيه عن باقي متطلبات الحياة إلى درجة الزهد فيها فكان ذلك عاملا على تصنيفها وتنظيمها وتعهدتها من الأرضة خوفا من ضياعها إدراكا منه أنها ليست فقط عالمه الذاتي الخاص، بقدر ما هي عالم حضاري جماعي يؤثث للماضي والحاضر والمستقبل بل قبل ذلك وبعد أن تتجمع وتصبح (خزانة) تتحول من خزانة خاصة إلى مؤسسة أو خزانة عامة للمعرفة.

### الخزانة الجرارية أو العباسية :

ومن بين هذه الخزانات الخاصة بمدينة الرباط - وهي كثيرة - خزانة العلامة الأديب عبد الله الجراري (1910-1983م) الذي اشتهر بالقراءة والتدوين والتحصيل الذاتي وبالكتابة والتأليف وجمع الكتب تؤكد في نظرنا مجموعة عناصر ارتبطت بل ميزت حياته العلمية المعطاء وخزائنه الخاصة نلخصها في ما يلي :

**أولا :** ناديه الأدبي المعروف بالنادي الجراري الذي أسسه سنة 1930 والذي لم تتوقف حلقاته بعد وفاته رحمه الله، وحافظ على امتداده إلى اليوم ابنه البار المفكر الدكتور عباس الجراري ولذلك استحق أن يوصف بأعتد الأندية المغربية على الإطلاق<sup>2</sup> والأهم عندي ارتباط النادي بخزانة كتبه العامرة ارتباطا وثيقا وحميميا يؤكد رواد النادي وجموع الباحثين من الطلبة والأساتذة ممن استفادوا من محتوياتها ووثائقها النفيسة والحديثة.

**ثانيا :** إنتاجه الغزير الذي يشكل حصادا ثريا ومتنوعا فاق الثمانين تأليفا يعكس موسوعية ثقافته المنفتحة على مختلف أصناف المعرفة منها المطبوع المتداول والمرقون والمخطوط مما نتمنى أن يرى النور قريبا لتعزيز المكتبة الفكرية المغربية<sup>3</sup>.

وهذا الإنتاج الغزير سيكشف لنا إحدى بنيات ثقافة العلامة عبد الله الجراري الموسوعية ونقصد بها التحصيل الذاتي أو القراءة الذاتية رغم ما تجمع له من إجازات علمية وشهادات جامعية وتربوية.

2 - انظر النادي الجراري الرباطي أقدم الأندية المغربية مجلة زهور عدد 4، شتنبر 2012 للدكتور مصطفى الجوهري ص : 48.

3 - انظر إنتاجه بتفصيل في كتاب : عبد الله بن العباس الجراري الأديب مصطفى الجوهري ص : 79 وما بعدها.

**ثالثا :** إن التحصيل الذاتي يعد أبرز العوامل المؤدية ليس فقط لتطوير مكونات الثقافة، بل يؤسس من زاوية لنزعة ذاتية تتمثل في جمع الكتب والإقبال على الكتاب، هو ما يساهم من زاوية ثانية في تكوين خزانة خاصة، وهذا ما تأتى للعلامة الجراري الذي لم يجد عن لذة التحصيل والتدوين كان شغوفاً بالمطالعة والبحث الدائم في عالم الكتب فتكون لديه خزانة فريدة في محتوياتها ومصنفاتها ووثائقها، ستتسع وتتطور، كما ستجدد بفعل جهود أستاذنا الجليل الدكتور عباس الجراري كما سيأتي بعد قليل.

**رابعا :** متحف الخزانة : وإذا كانت الخزانة الجرارية تضم الكثير من نواذر المخطوطات والوثائق والمؤلفات، إذ تجمع لديه عدد ضخم من التأليف نافت على الألف الرابعة، ضمت مختلف ثمرات المعرفة الإنسانية القديمة والحديثة المعاصرة، علاوة على جناح خاص بالمجلات والجرائد والدوريات والوثائق، فإن ما يلفت النظر هو المتحف الذي يضم مجموعة من المصاحف تمثل الخط العربي بجميع أنماطه بل المصاحف بجميع أشكال القراءات واللغات المختلفة، والتسجيلات المتعددة لأشهر المقرئين في العالم العربي والإسلامي، مع نسخة نادرة لأول تسجيل بإذاعة (راديو المغرب) منذ تأسيسها سنة 1928. إضافة إلى كثير من الأثرية من آلات موسيقية، وآلات حسابية وفلكية، وأوراق نقدية، وحلي تقليدية ومجسمات للألبسة المغربية، ومطرزات تراثية وشهادات وأوسمة وأدوات للكتابة التقليدية وما إليها مما يعد اليوم في حكم المفقود. وقد عمد الدكتور عباس الجراري إلى تطعيم هذا المتحف وتوسيعه وتجديده، حيث أضاف إليه أجنحة خاصة بصور أعلام الفكر والثقافة من علماء وأساتذة وباحثين مغاربة وفي مقدمتهم شيوخ النادي ومريديه، مع جناحين جديدين الأول خاص بالدكتور عباس والثاني بابنته الفقيدة علا رحمة الله عليها، ويشكل الجناح الأول إضافة نوعية في مواده ولوحاته ومفرداته وكذا وعي صاحبه بأهمية التوثيق التاريخي من خلال أدوات قل من يلتفت إلى أهميتها وأبعادها ومرجعياتها السوسيوثقافية ودورها في الحفاظ على الذاكرة في مختلف محطاتها الذاتية والجماعية.

وقد عرفت الخزانة الجرارية أسماء مختلفة كلما اتسعت جنباتها، وتعددت محتوياتها. فبعد أن اختار لها اسم "خزانة الطالب" تحول عنه بعد أن أطلقه على مكتبه صديقه الحاج عبد القادر المكناسي (مكتبة الطالب)<sup>4</sup>، وهي مازالت تعرف بهذا الاسم إلى اليوم، فسمى خزانته باسمه (خزانة عبد الله

4 - كان مقرها أولا بحي بوقرون أمام جامع النخلة، ثم انتقلت إلى شارع القناصل قبل أن تستقر بحي الجزء امتداد شارع محمد الخامس.



ابن العباس الجراري) كما يتضح من الخاتم الذي تحمله بعض مؤلفات الخزانة، ثم استقر الرأي عنده على ان تحمل اسم "الخزانة العباسية" بعد أن ضم إليها محتويات خزانة ابنه البار العلامة الدكتور عباس الجراري، وهو الاسم الذي تعرف به حتى اليوم.

أما محتويات "الخزانة العباسية" فتشكل بحق مؤسسة للمعرفة بكل ما تنطوي عليه، دون ميل لفرع أو آخر، يؤكد ما أشرت إليه سابقا تحصيله الذاتي المتنوع، وتعميق آفاقه، ومشاركته الثقافية الواسعة التي أهلته ليصبح أحد رجال الفكر والإطلاع في الثقافة المغربية الحديثة، ويسم شخصيته بالموسوعية والشمولية.

إن من تتاح له زيارة هذه الخزانة العامرة - التي كانت مفتوحة باستمرار للباحثين سواء في حياته أو بعد وفاته رحمه الله - سيقف بنفسه على مدى عناية صاحبها بنهم القراءة الذاتية، ويكتشف مقدرة عالية، وروحا علمية صبورة، وذوقا سليما يتمثل في حسن التنظيم والفهرسة<sup>5</sup>، وروعة الانتقاء.

يتضح من شهادات بعض رواد الخزانة من العلماء والأدباء والشعراء والباحثين - مغاربة ومشاركة - ممن وقعوا دفترها الذهبي مدى عنايته الكبيرة بخزانة كتبه التي أفنى حياته العلمية في جمع ودراسة وتصنيف محتوياتها شكلا ومضمونا.

ومن بين تلك الشهادات ما كتبه الأستاذ المؤرخ محمد المنوني : "الحمد لله وحده. في يوم الأحد 3 شعبان عام 1374 - 27 مارس 1955، زرت الأخ الأستاذ الفاضل العالم المؤلف المؤرخ الباحث المعتمي سيدي عبد الله الجراري حياه الله وبياه، فاستقبلني بلطفه المعهود، وبشاشته المعروفة، وتفضل فأطلعني على فهرسة خزانته، ثم أتبع ذلك بأن دعاني لزيارتها، فرأيت فيها من الكتب في مختلف العلوم والفنون ما دلني على كمال عناية صاحبها بجميع الكتب، بعد ما أعرف عنه من عناية بها حوته من المعارف.. وأعجبني أيضا في المكتبة حسن تنظيمها وترتيبها، مما يدل على حسن ذوق منظمه، وقد سرني جدا ما ذكر لي أنه ينوي جعلها شبه مكتبة عامة، أعانه الله تعالى وسدده وكثر في أهل العلم من أمثاله. وكتبه في التاريخ أعلاه بمحروسة رباط الفتح : محمد بن عبد الهادي المنوني"<sup>6</sup>. وكتب العلامة المرحوم محمد المختار السوسي ما يلي<sup>7</sup> :

5 - تضم الخزانة ثلاثة فهارس : الأول وضعه العلامة عبد الله، والثاني كتبه الدكتور عباس في سنوات الخمسين، والثالث دونه الأستاذ عبد الواحد في سنوات الستين.

6 - كتاب العالم المجاهد عبد الله الجراري ص : 92.

7 - المرجع السابق ص : 93.



"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

17 شعبان 1374هـ

للأستاذ العلامة الكريم سيدي عبد الله الجراري همة عالية وعزيمة في ميادين المعارف نافذة وسمو لا يزال في الازدياد إلى الأوج. وهذه المكتبة الفخمة المزدهرة الأخاذة بالأبصار لتنظيمها ولا تساعها من أكبر الأدلة على ما له من الولوع والاهتمام بالمعالي وإحراز المجد المؤثل. فليدم الأستاذ وهمته وولوعه ليستفيد منه الشعب الذي يتقدم الآن شيئا فشيئا إلى الأمام.

ودون الأستاذ إبراهيم السولامي هذه الكلمة<sup>8</sup> : « لا يدرك المرء مقدار النفع الجزيل الذي يسديه الأستاذ الفاضل والباحث الصبور المؤلف عبد الله الجراري للدارسين الناشئين مثلي إلا من سعى للبحث في التراث المغربي أو الإنتاج الحديث منه، إن كل باحث في هذا الميدان الغني سيجد شحا كبيرا في المصادر، وسيجد ضنا غريبا من الأساتذة والمتصلين بهذا الجانب أو ذاك. ولكن هذه الصورة - لحسن الحظ - تجدها مناقضا في الأستاذ الجراري. فهذا الرجل الفاضل يفتح باب مكتبته ويعطى من وقته وعلمه ما يغني الباحث الشاب عن وقت طويل وجهد كبير. لست أجد في هذه الآونة غير تقديم الشكر والتقدير للأستاذ الباحثة عبد الله الجراري على ما قدم لي من عون ثمين، وأرجو الله أن يمد في عمره ويرزقه العافية والصبر حتى يخرج ما بقي من كتبه المخطوطة، ففيها الخير الوفير للدراسات المغربية».

وحرر بالرباط في 1972/4/25.

الخزانة الجرارية في عهد الدكتور عباس الجراري :

فقد أصبح لها شأن عظيم حين بصمها بخصائص ذاتية جديدة فأضاف إليها من عطائه وحسن تعهده وتدبيره، لتغدو ثرية في تصانيفها وانفتاحها على أشكال جديدة من التأليف والإصدارات الوطنية والعربية والدولية وبلغات مختلفة إلى درجة يصعب على الزائر الاهتداء بسهولة إلى محتوياتها. وأكاد أجزم بحكم معرفتي بالخزانة أنها صارت اليوم تتجاوز خمسة عشر ألف عنوانا دون الإشارة إلى بعض الوثائق والظواهر والمرسلات والدوريات والمجلات المتخصصة وهي محفوظة في ملفات خاصة.

وسأكتفي بالتعريف بجناحين خاصين :

8 - المرجع السابق ص : 94.

• الأول يتعلق بالرسائل والأطاريح والبحوث الجامعية سواء التي أشرف على إنجازها أو شارك في تفحصها ومناقشتها، وهو بالنسبة لي جناح مفردة يشكل خزانة نادرة لأن أغلبها لم ير النور بعد، ولأنه أيضا يغطي مساحة جغرافية واسعة لجامعات ومعاهد مغربية وأجنبية، تعكس بحق مكانته الفكرية، ومساهمته في صناعة رجال الثقافة والتربية والحياة العامة ببلادنا. وقبل ذلك بروزه كعلم أذكى تطوير مجالات البحث العلمي الأكاديمي درسا وتدريسا وتأليفا.

• والثاني يتصل بتأليفه وكتابه ومحاضراته ومشاركاته في المنتديات الوطنية والعربية، فتظهر مؤلفاته المستقلة المطبوعة، والدوريات أو المجلات التي تحمل توقيع ومقالاته، وأخرى بتكريماته وإمعانا في التوثيق تظهر تسجيلات خاصة مفهرسة كوسيلة جديدة متطورة في التثقيف السمعي البصري، يضاف إليها قسم خاص بمنشورات النادي الجراري، وآخر يتعلق بمشاريع كتاباته المخطوطة وهي كثيرة تربو على الثلاثين عنوانا.

ولعل أبرز ما يمكن استقراؤه حول الخزانة الجرارية العباسية هو قدرة صاحبها الفاعلة في التعامل مع الكتاب ومع الوثيقة والصورة ترتيبا وفهرسة وتصنيفا وذوقا وجمالية تؤكد عمله الجبار، وطموحه في أن تصبح الخزانة مؤسسة عمومية عملا بأمنية مؤسس نواتها الأولى العلامة عبد الله الجراري، وهو ما أعلنه متعهدها اليوم أستاذنا الجليل الدكتور عباس الجراري في أكثر من مناسبة، فمتى يتحقق هذا الإنجاز العظيم ؟ حقق الله الرجاء.

## الخزانات العلمية بمركز التوثيق والأنشطة الثقافية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمكناس

الأستاذ أحمد شواف

تقديم :

تعتبر الخزانات العلمية العريقة بالمغرب ثروة علمية وفكرية هائلة، تزخر أغلبها بنوادير الكتب، ونفائس المخطوطات والوثائق والمطبوعات الحجرية في شتى الميادين العلمية والمجلات المعرفية، كانت لها إسهامات فعالة في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية على امتداد تاريخ امتنا المغربية، بالإضافة إلى دورها الكبير في الحفاظ على تراثنا لأصيل، وهويتنا التاريخية والحضارية التليدة.

ونظرا لأهمية هذه الخزانات العلمية الخاصة ودورها الريادي في نشر ثقافتنا الإسلامية المشرقة وقدرتها على الاستجابة لحاجيات ومتطلبات شريحة واسعة من مجتمع المعرفة، فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أولت كامل عنايتها وفائق رعايتها لهذه الخزانات العلمية العريقة من أجل بناء مجموعات متكاملة ومتوازنة من أوعية المعلومات تجمع بين الأصيل والجديد، لتغني الرصيد المعرفي لمكتبة مركز التوثيق والأنشطة الثقافية التابع للمندوبية الجهوية للشؤون الإسلامية لجهة مكناس تافيلالت، فقامت - مشكورة - باقتناء أجود الخزانات العلمية الخاصة الغنية بنفائس التراث العربي والإسلامي، ونوادير الكتب التاريخية القيمة باللغة العربية والأجنبية، وذلك إما عن طريق الشراء من أصحابها مباشرة، وإما عن طريق التحسيس بواسطة إدارة المركز من بعض الأسر العلمية بمكناس، نورد نماذج منها مفصلة على النحو التالي :



## I- الخزانات العلمية العريقة المقتناة عن طريق الشراء :

### 1- مكتبة المؤرخ الفرنسي جون لويس ميج<sup>1</sup> :

وهي مكتبة غنية بنفائس الأرشيف التاريخي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي للمغرب خلال القرنين 18 و 19 (1765-1760) و (1936-1956) على مدى 50 سنة، كما تزخر بنوادير الكتب في التاريخ المغربي باللغة الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية يرجع تاريخ طبعها إلى القرن 17 و 18 و 19، أذكر منها، في الجدول التالي على سليل المثال لا الحصر، ما يلي :

| N° | Titre et auteur                                                                                       | Date et lieu d'édition | Langue   |
|----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------|----------|
| 1  | Nchrichten von marokkos und Fes im lande selbst gesammelt, in den jahrei<br>HORS, Georg.              | 1768, Copenhagen       | Allemand |
| 2  | Relation concernant le Maroc<br>HORS, Georg.                                                          | 1779, Copenhagen       | Français |
| 3  | Sultant Mogh'rib – al Aksaoder<br>kaiserreich ma okkos.                                               | 1808, Stuttgart und    | Allemand |
| 4  | An Account of the empire of Morocco<br>and the districts of Suse and Tafilalt<br>JACKSON, James Grey. | 1814, London           | Anglais  |

### 2- الخزانة العلمية الخاصة للعالم والمؤرخ لمغربي الأستاذ عبد الكريم الفيلاي :

وهي خزانة تحتوي على ثروة غنية بنوادير المطبوعات وبنفائس المخطوطات التي لا يعرف لها وجود في أي خزانة في العالم شرقا وغربا كما ذكر ذلك هو نفسه في فهرسة مخطوطاته، ومن أهم نوادر الكتب المطبوعة باللغة الأجنبية التي تزخر بها خزانته أورد منها ما يلي :

1 - جان لويس Mieg هو مؤرخ فرنسي، متخصص في تاريخ المغرب خلال القرنين 18 و 19 م. وهو من مواليد 20 غشت 1923 بالرباط. وهو أستاذ فخري في جامعة بروفانس، ومسؤول عن مجلة "في العلاقات بين أوروبا والمغرب". وكان عضوا في مركز البحوث في إفريقيا البحر الأبيض المتوسط (قسم الحديث والمعاصر).

| N° | Titre et auteur                                                                         | Date et lieu d'édition | Langue   |
|----|-----------------------------------------------------------------------------------------|------------------------|----------|
| 1  | Journey to mekanez; the residence of the prefent emperor of Fez and Morocco, STEWART, C | 1725, London           | Anglais  |
| 2  | Tierra y sus habitantes                                                                 | 1878, Barcelona        | Espagnol |
| 3  | Paris en 1789<br>Albert Balbeau                                                         | 1889, Paris            | Français |
| 4  | Geschichte der Neuesten zeit Theodor Slathe                                             | 1892, Berlin           | Allemand |

أما بالنسبة لنوادير المطبوعات الموجودة في خزانته، فإن أقدم مطبوع يرجع إلى سنة 1871م بعنوان : "كتاب الرغائب في منتجات الجوائب" لسليم فارس، يليه "ديوان البحري" المطبوع سنة 1880م، ثم "مقالة في الإسلام" لجرجيس صال التي طبعت سنة 1891م، وكذا "رسائل بديع الزمان الهمداني" المطبوعة سنة 1898م، وغيرها من المطبوعات النادرة.

وفيما يخص التراث المخطوط، فإن خزانته غنية بمخطوطات تتميز بالعراقة والنفاسة والندرة، أذكر منها المخطوطات التالية :

1- "السفر السادس من مختصر كتاب" الواضحة" لعبد الملك بن حبيب المالكي المتوفى حوالي 298هـ، اختصره فضل بن مسلمة المتوفى سنة 319هـ.

2- "شرح مقامات الحريري" للسلطان العلوي مولاي سليمان، والشرح بخط يده.

3- "شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، من تأليف مولاي عمر بن السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي.

4- "الترجمة الكبرى" لأبي القاسم الزياني، كتب في حياة المؤلف سنة 1233هـ. طبع ونشر بتحقيق صاحب الخزانة.

### 3- الخزانة العلمية الخاصة للعالم الدكتور عبد الوهاب بمنصور مؤرخ المملكة رحمه الله<sup>2</sup> :

وهي مكتبة تضم مخطوطات نفيسة كلها مصورة، منها :

1- "جزء مهم من رسائل ابن أبي الخصال" المتوفى سنة 540هـ. لا يوجد ضمن الرسائل التي حققها الدكتور محمد رضوان الداية من النسخ المحفوظة في مكتبة الأسكوريال.

2- "نوازل ابن بشتغير" أحمد بن سعيد اللخمي ت 516هـ.

3- "مناقب العكاري" ألفه حفيده علي بن محمد العكاري.

4- "تراجم أعلام مغربية".

أما أقدم الكتب المطبوعة الموجودة في خزائنه، فهو كتاب :

أ- "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" للقسطلاني الذي طبع سنة 1479م.

ب- "صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" لمحمد بيرم الخامس، طبع سنة 1884م،

ت- "صحيح البخاري"، المطبوع سنة 1886هـ.

ث- "المعرب عن كيفية مكاتيب المغرب" المطبوع سنة 1891م.

### 4- الخزانة العلمية العريقة للشيخ بنعيسى المراتب<sup>3</sup> :

وهي خزانة غنية بالكتب التراثية النادرة، أغلبها مطبوع طباعة قديمة (الطبعة الأولى) كما تضم مخطوطات تليدة وعريقة ونفيسة أذكر منها :

2 - مؤرخ للمملكة المغربية، ومدير الوثائق الملكية، ومحافظ لضريح محمد الخامس سابقا، وعضو مؤسس لأكاديمية المملكة المغربية، وعضو بمجمع اللغة العربية بدمشق، وبالمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن. ولد يوم 17 نوفمبر 1920 بمدينة فاس، حيث تلقى دراسته بفاس، ثم التحق بجامعة القرويين حيث حصل على شهادة العالمية في العلوم الأدبية والقانونية عام 1961. عمل أستاذا للتعليم الثانوي بالرباط وسلا. وافته المنية يوم 12 نوفمبر 2008. مؤلفاته : "البدائع" و"تعقيبات حول السياسة الاستعمارية بشمال إفريقيا" و"الحسن الثاني.. حياته، جهاده ومنجزاته" و"كشاف الأسر المغربية" و"حفريات صحراوية" و"أعلام المغرب العربي"، كما قام بتحقيق العديد من الكتب والمصنفات والمتون التراثية من بينها "أخبار المهدي بن تومرت"، و"المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب" لأبي بكر الصنهاجي و"الإعلام بمن حل بمراكش وأغبات من الأعلام" وهو في عشرة أجزاء من تأليف العباس بن إبراهيم السملالي، كما أشرف بمنصور منذ سنة 1956 على إصدار حوليات "إنبعاث أمة". حصل على عدة أوسمة وطنية مغربية وأجنبية.

3 - ولد المرحوم بنعيسى المراتب بن المحجوب بن إدريس بمكناس سنة 1928م حيث نشأ في بيئة دينية وأسريرة عريقة محافظة. حفظ القرآن وبعض المتون الفقهية مبادئ اللغة العربية على يد والده المحجوب المراتب الذي كان مدررا بالزاوية التهامية وإماما بمسجد سيدي عبد الكريم بن الراضي، ومقدما للطريقة الجزولية. ثم التحق بالمعهد الإسلامي الأصيل منذ تأسيسه من لدن مؤسسه الحاج المختار السستسي، خلف والده في التقديم الطريقة المذكورة حتى أصبح شيخا عارفاً بحيث تكون على يديه عدد كبير من الموردين. كانت هوايته واهتماماته رحمه الله البحث والتنقيب عن الكتب العتيقة وخاصة المخطوطة منها. وقد خلف خزانة تضم أمهات الكتب في مختلف العلوم منها المخطوطة والمطبوعة الحجرية والمطبوعة العصرية. توفي رحمه الله يوم 13 يناير 1985م ودفن بالزاوية التهامية الوزانية بمكناس.

المصدر : ابنه الماحي المراتب (محام بهيئة مكناس).



- 1- "رفع الحرج الجناح عن المراضع النكاح" للشيخ أبي علي.
- 2- "تحفة الحكام بمسائل التداعي والأحكام" لعبد السلام بن عمر الرباطي.
- 3- "شرح تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام" لابن الناظم أبي يحيى محمد بن عاصم توفي حوالي سنة 857هـ.

## II- الخزانات العلمية العريقة المقتناة عن طريق التحبیس :

حرصا من إدارة مركز التوثيق والأنشطة الثقافية على مواصلة مجهودات الوزارة في اقتناء الخزانات العلمية الخاصة، فإنها أولت اهتماما كبيرا للخزانات العلمية الخاصة بالأسر العريقة بمدينة مكناس، وعملت على مد جسور التواصل معها وتشجيعها على تحبیس مكتباتها خدمة للعلم والعلماء وطلاب المعرفة، وقد أثمرت هذه الاتصالات بإقبال عدد منها على تحبیس مكتباتها الغنية بالمصادر والمراجع العريقة والنادرة والمخطوطات النفيسة على مكتبة المركز، أورد تفاصيلها فيما يلي :

### 1- مكتبة الشيخ الصوفي محمد بن الحبيب الأمغاري الدرقاوي<sup>4</sup> :

حبستها زوجته السيدة زليخة بنت علي بن محي الدين بتاريخ 20 محرم الحرام 1429هـ الموافق لـ 29 يناير 2008م، وهي مكتبة غنية بنوادير الكتب، أذكر منها :

أ- "فكاهة الأذواق من مشارع الأسواق" لمحمود الصالح، طبع سنة 1870م.

ب- "الميزان الكبرى" لعبد الوهاب الشعراي، طبع سنة 1871م.

ت- "رسالة في بيان اصطلاحات رئيس الصوفية الواردة في الفتوحات المكية"، طبع سنة 1880م.

4 - العالم المحقق سيدي محمد بن الحبيب بن الصديق الأمغاري الإدريسي الحسني الفاسي مولدا ومنشأ، المكناسي مسكنا وموقدا، الشاذلي طريقة، المالكي مذهباً. ولد بفاس سنة 1295هـ الموافق لـ 1876م وينسب إلى عبد الله أمغار الذي دفن في تمصلحت قرب مراکش. في سنة 1936م شد الرحال إلى مكناس حيث يعطي دروس التفسير والفقه في مسجد الزيتونة، وأسس زاوية عظيمة وأسلم على يديه نحو من ستين شخصا من الأجانب أغلبهم من الإنجليز. في سنة 1972م غادر مكناس متوجها إلى مكة لأداء فريضة الحج للمرة الثالثة، وعند توقفه في إحدى زواياه بمدينة البليدة الجزائرية وافته المنية ليدفن بها في 10 يناير 1972م، ثم تمت إعادة دفنه في 31 يناير من نفس السنة، في درب الباشا بمكناس في زاويته الدرقاوية الحبيبية القريبة من مسجد الزيتونة المعروف. تلقى العلم من : شيخ الإسلام أحمد بن الحياط - المحقق سيدي أبي بكر بناني - الفقيه عبد السلام الهواري - أحمد الجليلي - سيدي محمد القادري - سيدي خليل التلمساني - سيدي محمد بن جعفر - سيدي التهامي كنون - مولاي عبد الله البكاروي - سيدي أحمد الإراري. من مؤلفاته : "ديوانه الشعري" الذي صدر مرتين في المغرب بالعربية ومرة في إنجلترا، وهو يشتمل على أوراده وقصائده عنوانه "بغية المريدین السائرين وتحفة السالكين والعارفين" و"تفسير للصلاة المشيشية".

له عدة قصائد في التصوف والأخلاق والثناء على الله ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والنصح في الدين. أنظر : التصوف الإسلامي في الغرب : الأثر الصوفي المغربي في بريطانيا (الزاوية الحبيبية الدرقاوية نموذجا) ص 109-112 ط 1، 2008، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغربية، الشرق أوسطية والخليجية. عبد العزيز الكبيطي إدريسي.

وفي مجال المخطوطات تضم مكتبته مخطوطات عريقة ونفيسة، منها كتاب :

أ- "بغية المستفيد" لمحمد الأنصاري الساحلي.

ب- "إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين" لعلي بن عبد الصادق.

ت- "رسائل صوفية نادرة" لأحمد بن الحاج الشهير بوزيتن الدرقاوي البدوي.

2- مكتبة القاضي محمد بن أحمد بن إدريس العلوي<sup>5</sup> :

وهو أحد أحفاد السلطان مولاي إسماعيل، حُبس جزء مهم من تركته العلمية على مكتبة المركز، وذلك يوم 02 جمادى الثانية 1432هـ الموافق لـ 06 ماي 2011م من بعض حفدته، وهي مكتبة علمية تضم عشرات الكتب الإسلامية النادرة والنفيسة، منها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مطبوع، ومنها ما هو من تأليف القاضي نفسه، والتي أذكر منها :

أ- "إتحاف النبهاء الأكياس بتحرير فائدة مناقشة القضاة للأوصياء بفاس".

ب- "توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرم بقبض أرواح العباد".

ت- "تقييد بخط المؤلف".

ومن مخطوطات النفيسة، أذكر :

أ- فتاوى الجيلاني الامراتي.

ب- نوازل الزياتي.

ب- تقييد لابن الخياط.

---

5 - هو القاضي محمد بن أحمد بن إدريس بن الشريف بن المهدي من حفدة السلطان مولاي إسماعيل، ولد بمدينة زرهون 01 صفر 1288هـ الموافق لـ 1871م، وتوفي سنة 1947/1327م. من العلماء الأجلاء الذين تصدروا للإفتاء، وقد انتدب قاضيا بزرهون ومكناس ووزان، وكان عضوا بمجلس الاستئناف الشرعي بالرباط، ومدرسا للتفسير والحديث والشاغل المحمدية بالجامع الكبير.

مؤلفاته :

- إتحاف النبهاء الأكياس بتحرير فائدة مناقشة القضاة للأوصياء بفاس.

- توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صلاة الرسول المكلم عيسى عليه السلام للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد.

- تحرير المقال في منع ما ادعاه جمال الدين أبو مالك على (متى) من الإهمال.

### 3- مكتبة الأستاذ عبد الهادي المعتصم<sup>6</sup> :

حبستها عائلته على مكتبة المركز بتاريخ 28 جمادى الثانية 1432 هـ الموافق لـ 06 أبريل 2011 م. وهي مكتبة زاخرة بمختلف العلوم والفنون والمعارف باللغة العربية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية، أغلب مواضيعها في المجالات الأدبية وعلم التربية وعلم النفس.

### 4- مكتبة الشيخ العالم مصطفى زهير الزياتي<sup>7</sup> :

حبس مكتبته كلها على مكتبة المركز بتاريخ 08 ربيع الثاني 1431 هـ الموافق لـ 25 مارس 2010 م، وهو على قيد الحياة، ويغلب عليها المجالات الدينية والتاريخية بوجه خاص.

وللشيخ كتب منسوخة بخط اليد، وهي من النوادر والنفائس، أذكر منها :

أ- "النصيحة الجليلة في تصحيح تلاوة الفاتحة وأذكار الصلاة"، للأستاذ محمد الإبراهيمي البوذنيي.

ب- "أرجوزة هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب". للإمام المقرئ علم الدين السخاوي ت 643 هـ.

ت- "المنظومة المشهورة بالنصوص أو النسخة"، كان الفراغ منها سنة 1263 هـ.

ث- "عرف الند في حكم المد" للشيخ أبي العباس أحمد بن عبد العزيز، وكان الفراغ من تأليفه سنة 1230 هـ.

### 5- مكتبة القاضي المرحوم مولاي حسن العلوي الإسماعيلي<sup>8</sup> :

حبستها زوجته الحاجة القادري أمال بتاريخ 25 ربيع الثاني 1429 هـ الموافق لـ 02 ماي 2008 م، وهي مكتبة غنية بالمصادر والمراجع والدوريات القانونية، باللغة العربية والفرنسية.

6 - كان، رحمه الله وقته، نائبا إقليميا لوزارة التربية الوطنية بمكناس.

7 - ولد بمكناس سنة 1937 م حيث تلقى تعليمه بالمعهد الديني، وكان أستاذا ومديرا في عدة مؤسسات تعليمية، هو الآن متقاعد. وآخر مؤسسة تعليمية عمل بها كانت هي مدرسة أم أيمن بمكناس. واهم ما يشغل وقته الآن هو المطالعة فلا يكاد يخرج من منزله إلا لماما لشغفه بالمطالعة، ومن أهم خصائصه أنه يحب تدوين بعض مطالعاته وله في ذلك تقايد مهمة عن بعض ما يتناقص فيه حول العبادات.

أفادني بهذه النبذة سيدي محمد الزرهني أستاذ المترجم (بفتح الجيم) له ومدير معهد القراء للتعليم العتيق الخاص حاليا، وقد زكى ذلك صاحبنا المترجم له.

8 - وكيل الدولة سابقا.



## 6- مكتبة القاضي والعالم مولاي مصطفى بن محمد بن إبراهيم العلوي:

حبستها ابنته عائشة العلوي على مكتبة المركز بتاريخ 09 جمادى الأولى 1429هـ الموافق لـ 16 ماي 2008م، وهي مكتبة دينية بالأساس، من نوادر مطبوعاتها: كتاب "العروة الوثقى للمتشبثين بتخليص خلاصة الباحثين عن أحوال جميع الوارثين". للعلامة محمد بن محمد العلمي الحسني<sup>9</sup>.

## 7- مكتبة الأستاذ الدكتور عزيز قاسم الوزاني<sup>10</sup>:

حبسها هو نفسه على مكتبة المركز بتاريخ الجمعة 20 صفر 1429هـ الموافق لـ 24 فبراير 2008م، أغلبها في المجال القانوني، ومن أهمها: "موسوعة الوسيط في شرح القانوني المدني" لعبد الرزاق أحمد السنهوري.

## 8- مكتبة الأستاذ المرحوم محمد الخريفي<sup>11</sup>:

حبسها صهره كمال بن عبود بتاريخ 26 جمادى الثانية 1429هـ الموافق لـ 30 يونيو 2008م، أغلب مواضيعها في مجال العلوم الدينية.

## 9- مكتبة المرحوم سيدي محمد بن محمد بوزكري<sup>12</sup>:

وهي مكتبة حبسها ابنه أحمد بوزكري على مكتبة المركز، وتضم تراثا إسلاميا، منه ما هو مطبوع طباعة حجرية، ومنه ما هو مطبوع طباعة عصرية، وكان التحسيس بتاريخ الخميس 22 شعبان 1433هـ الموافق 12 يوليوز 2012م.

وبذلك تكون مكتبة مركز التوثيق والأنشطة الثقافية بمكناس من المكتبات العربية التي تزخر بمجموعة من أوائل المطبوعات العربية عموما والمغربية على وجه الخصوص، سيكون لها دور كبير وإيجابي وفعال في خدمة التراث الإسلامي وإحيائه ونشره وفي حفظ نوادره المطبوعة ونفائسه المخطوطة التي تشهد بأهمية الحضارة الإسلامية ومساهماتها في تقدم الأبحاث العلمية والمعرفية عبر التاريخ.

9 - ولد بفاس سنة 1875م وتوفي بها سنة 1953م. وقد شرح في كتابه هذا منظومة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الشران الشهير بابن الشران.

10 - كان سابقا أستاذا للتعليم العالي وعضوا بالمجلس العلمي المحلي لمكناس.

11 - أستاذ التربية الإسلامية وقته.

12 - نقيب سابق لأسرة آل بوزكري بمكناس.

## المكتبات المغربية : الأنواع والوظائف

الأستاذ إيمان أضاوي

تعد المكتبة مؤسسة علمية ثقافية تربوية اجتماعية، تهدف إلى نشر العلم والمعرفة خدمة للبحث العلمي، وحفاظا على التراث الفكري من خلال جمع مصادر المعلومات وتنميتها بطرق مختلفة (الشراء، الإهداء، التبادل ...)، وبالتالي فهرستها وتصنيفها وترتيبها على الرفوف بشكل يسهل استرجاعها بأقصر وقت ممكن، وتقديمها إلى مجتمع المستفيدين من قراء وباحثين من خلال مجموعة من الخدمات كالإعارة والتصوير ... وذلك بهدف تحقيق الاستفادة القصوى من المعلومات بالشكل الإيجابي.

وهذه النتيجة رهينة بالقيم على المكتبة الذي يشترط فيه أن يكون مقتدرا ومتمكنا من تقنيات التوثيق، وأن تكون له القدرة على الابتكار واستعمال الطرق الحديثة، من خلال اطلاعه على ما يستجد في مجال علم المكتبات، كما أن عليه مهمة اختيار المواد والكتب المناسبة لمختلف مستويات رواد مكتبته.

وقد تنوعت المكتبات تبعا لأهدافها وأغراضها وفئات المستفيدين منها، و من أهم أنواعها:

### 1- المكتبات الملكية :

اهتم المغاربة منذ القديم بالكتابة والتأليف وتفننوا في ابتكار أشكال وأنواع مختلفة من الخطوط، كما اجتهدوا في صناعة الورق وتجليد الكتب وتزيينها بأشكال هندسية متميزة من الزخارف والنمنمات.

وما تزرخ به خزاناتنا المغربية العامرة خير دليل على أن القدماء قد برعوا في هذه الفنون حتى كان كل كاتب أو باحث أو عالم أو فقيه يزاوّل هذا العمل الورقي والكتبي والتغليفي والتجليدي يوميا في بيته أو عمله إضافة إلى عملية الكتابة والتأليف.

كما أولى السلاطين المغاربة المتعاقبين على الحكم اهتماما خاصا بالكتب جمعا وتأليفا، ووعيا منهم بضرورة الحفاظ عليها خصصوا لها خزانات ومكتبات خاصة وأخرى عامة، واليهم يرجع

الفضل في جمع هذا التراث العلمي والثقافي الذي تضمه المكتبات الملكية القديمة في تاريخ المغرب، ولعل هذا النوع من الخزانات - الخزانات الملكية - هي أولى أنواع الخزانات التي عرفها المغرب، حيث كان السلاطين يستقدمون إلى بلاطهم العديد من العلماء والفقهاء والنساخ، وخير دليل على هذه المخطوطات ما وصلنا اليوم من مؤلفات كتبت برسم خزانات السلاطين المتعاقبين على الحكم، بدءا بخزانة الإمام يحيى الرابع الإدريسي الذي تولى الحكم ما بين سنة 292هـ و305هـ، حيث تذكر المصادر العربية أنه قد كان له عدد من النساخ والوراقين ينتسخون له مؤلفاته، ثم خزانة السلطان علي بن يوسف المرابطي، الذي نجد من المخطوطات التي كتبت برسم خزانته بكل من المكتبة الوطنية بالرباط وخزانة القرويين. وبعد ذلك ومع الدولة الموحدية نجد اهتماما متزايدا بهذه الخزانات حيث شيدت لها بنايات خاصة بها، واختير لها من القيمين بها أجل العلماء وأشهرهم، وعنوا باقتناء الكتب من مشارق الأرض ومغاربها، كما نلاحظ اهتمام كل من هؤلاء السلاطين بجمع مؤلفات علمية معينة حسب اهتمامه الخاص، وتوالى هذا الاهتمام مع سلاطين الدولة المرينية والوطاسية إلى أن بلغ هذا الاهتمام أوجه مع الدولة السعدية حيث ساعدها تطور صناعة الورق على جمع أكبر عدد من الكتب والمؤلفات، ولتكوين رصيد مهم منها فقد تنافسوا في جمعها من كل حذب وصوب في شتى المعارف والعلوم منها علم الفلك والطب والكيمياء والهندسة والفلسفة، والعلوم الدينية والفقهية، لكن ما يناهز 4000 مخطوط من رصيد خزانة السلطان أبي المعالي زيدان قدر لها أن تضيع منه خلال سفر هذا الأخير من مراكش متوجها إلى آسفي بحرا، حيث تعرض لهم قراصنة إسبان استولوا على هذا الرصيد الهام من المؤلفات، وهو الرصيد المهم الذي تحتفظ به حاليا مكتبة الإسكوريال بإسبانيا وقدمت مؤخرا للمكتبة الوطنية المغربية مصورات منها على الميكروفيلم بعد محاولات عدة من السلاطين العلويين لاستعادة هذا الرصيد باعتباره تركة وطنية مغربية لكن إسبانيا لاتزال متمسكة بهذا الرصيد باعتباره غنيمة ثمينة لا تقدر بثمن، بدعوى أنها محبسة على دير الإسكوريال.

في عهد الدولة العلوية ومع السلاطين المتعاقبين على الحكم، تزايد الاهتمام بتنمية رصيد الخزانات الملكية في شتى العلوم والمعارف، الدينية منها والفقهية وعلم الفلك والطب والهندسة...، حيث شيدت خزانات جديدة بما فيها الخزانات الملكية والعامة وأقاموا قرب هذه الأخيرة مدارس علمية كما خصصوا لأهم المساجد والزوايا مكتبات خاصة بهم، كان يقصدها طلاب العلم، والعلماء من مشارق الأرض ومغاربها. ومع الملك الحسن الثاني وفي سنة 1962م، فتحت أبواب الخزانة الملكية بالرباط في وجه طلاب العلم والباحثين، ليستفيدوا من ذخائرها وعلمها الوفير، وكُلف كبار العلماء بالإشراف عليها من أمثال عبد الكريم الخطيب، محمد داوود، عبد الرحمان الفاسي، محمد العربي



الخطابي، ليعين صاحب الجلالة الملك محمد السادس الأستاذ أحمد شوقي بنين قيا عليها إلى يومنا هذا، وأقام بها مختبرا للتصوير وآخر للترميم، بهدف الحفاظ على هذا التراث الضخم الذي لا يقدر بثمن.

## 2- المكتبات الوطنية :

هي مؤسسات ثقافية تمثل جزءا حيويا من أجهزة تخزين واسترجاع المعلومات في الدولة، وتسهل سبل الحصول على المعرفة المتراكمة على مر السنين من خلال جمع وحفظ التراث الفكري والوطني سواء عن طريق الإيداع القانوني أو بأي شكل آخر. "فعادة ما تتمتع المكتبة الوطنية بحق قانوني خاص، وهو حق الإيداع الذي يضمن لها نصيبا مفروضا من النسخ ما يشكل رصيد التراث الفكري الوطني، الذي يتراوح ما بين ما يصدر داخل الوطن، وما يصدر للمواطنين خارج الوطن، وما يصدر عن الوطن كموضوع"<sup>1</sup>. وهي مؤهلة للمشاركة في جميع أشكال التعاون وتبادل الوثائق والمعلومات على الصعيد الدولي، وكذا التنسيق والتعاون وتبادل المنفعة على الصعيد الوطني ومن أبرز وظائفها:

- "جمع التراث الفكري الوطني.
- تقديم الخدمات المكتبية والمعلومات لكل الفئات والهيئات في مختلف المجالات.
- الإشراف على المكتبات الأخرى للدولة.
- تطوير الخدمات الببليوغرافية والإعلامية وإصدار الببليوغرافيا الوطنية من خلال الإيداع القانوني"<sup>2</sup>.

وقد ظهرت أول مرة بشكل رسمي سنة 1795م، عندما أعلن المؤتمر الوطني الفرنسي أن المكتبة التي كان يمتلكها ملوك فرنسا قد أصبحت ملكا عاما وطنيا، ومنحها الحق في الحصول على نسخ الإيداع القانوني من جميع المواد المطبوعة في فرنسا. وقد تأسست في أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين أكثر من خمسين مكتبة وطنية... تسعى إلى أن تكون مقرا للإيداع القانوني في بلدها الأم بهدف حماية الملكية الأدبية وحقوق التأليف للمؤلفين، وحمايته من السطو على إنتاجه مقابل إيداع عدد من النسخ من عمله مجانا بالمكتبة الوطنية لبلده"<sup>3</sup>. ويختلف تحديد عدد هذه النسخ من بلد

1 - مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات : الدكتور حشمت قاسم، الطبعة الثانية، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ص 223.

2 - المرجع نفسه، ص 224.

3 - مقدمة في تاريخ الكتب والمكتبات: محمد ماهر حمادة، الطبعة الأولى 1996م، ص: 150.

إلى آخره، فرغم اتفاق كل القوانين الصادرة في الشرق والغرب على ضرورة الإيداع وأهميته إلا أنها اختلفت فيما بينها فيما يتعلق ب:

- 1- عدد النسخ المخصصة للإيداع.
  - 2- الجهات التي تتلقى الإيداع.
  - 3- الشخص المسؤول عن تنفيذ الإيداع (المؤلف أو الطابع أو الناشر أو بعضهم أو كلهم مجتمعين).
  - 4- مدة السماح للمسؤول عن الإيداع لتنفيذ إيداعه قبل اعتباره متهربا.
  - 5- العقوبات الجزية التي تفرض على المتهربين من الإيداع<sup>4</sup>.
- وفيما يلي محاولة لتتبع تواريخ إنشاء المكتبات الوطنية ببعض دول العالم، وهي:
- 1- ظهور المكتبات الوطنية بأوروبا<sup>5</sup>:

| رقم | الدولة    | سنة التأسيس | رقم | الدولة    | سنة التأسيس |
|-----|-----------|-------------|-----|-----------|-------------|
| 1   | فرنسا     | 1367م       | 12  | بلجيكا    | 1837م       |
| 2   | كرواتيا   | 1606م       | 13  | لوكسمبورغ | 1848م       |
| 3   | فنلندا    | 1640م       | 14  | روسيا     | 1862م       |
| 4   | الدانمارك | 1653م       | 15  | بلغاريا   | 1878م       |
| 5   | اسبانيا   | 1712م       | 16  | ألمانيا   | 1946م       |
| 6   | بولندا    | 1747م       | 17  | سويسرا    | 1894م       |
| 7   | البرتغال  | 1768م       | 18  | تركيا     | 1955م       |
| 8   | النرويج   | 1815م       | 19  | بريطانيا  | 1972م       |
| 9   | صربيا     | 1832م       | 20  | اليمن     | 1968        |
| 10  | أمريكا    | 1832        |     |           |             |
| 11  | رومانيا   | 1836م       |     |           |             |

- 4 - توصلت إلى هذه الاختلافات بعد دراسة لخصوصية الإيداع في مجموعة من الدول.
- 5 - لم أعتد على كتاب يوثق لظهور المكتبات الوطنية بأوروبا كما هو الحال للمكتبات الوطنية في آسيا وفي الدول العربية، لذلك اعتمدت على مصادر إلكترونية هي:

<http://mousou3a.educdz.com>

و [www.history-magazine.com/libraries.html](http://www.history-magazine.com/libraries.html)

و [http://www.theeuropeanlibrary.org/portul/linrarles/map\\_en.html](http://www.theeuropeanlibrary.org/portul/linrarles/map_en.html). تاريخ الرجوع: 2010 / 06 / 17.

## 2- ظهور المكتبات الوطنية في آسيا:

| الرقم | المكتبة الوطنية               | سنة تأسيسها |
|-------|-------------------------------|-------------|
| 1     | المكتبة الوطنية الفلسطينية    | 1901م       |
| 2     | المكتبة الوطنية التايلاندية   | 1905م       |
| 3     | مكتبة الفيتنام الوطنية        | 1946م       |
| 4     | المكتبة الوطنية الهندية       | 1948م       |
| 5     | المكتبة الوطنية اليابانية     | 1948م       |
| 6     | مكتبة لاوس الوطنية            | 1950م       |
| 7     | المكتبة الوطنية الكمبودية     | 1950م       |
| 8     | المكتبة الوطنية الباكستانية   | 1951م       |
| 9     | مكتبة بورما الوطنية           | 1952م       |
| 10    | مكتبة ينال الوطنية            | 1955م       |
| 11    | مكتبة سنغافورة الوطنية        | 1958م       |
| 12    | مكتبة بوتان الوطنية           | 1967م       |
| 13    | المكتبة الوطنية للصين الشعبية | 1969م       |
| 14    | مكتبة بنجلاديش الوطنية        | 1972م       |
| 15    | مكتبة ماليزيا الوطنية         | 1972م       |
| 16    | مكتبة سرى لانكا الوطنية       | 1979م       |
| 17    | مكتبة أندونيسيا الوطنية       | 1980م       |

من خلال التتبع لسنوات إنشاء هذه المكتبات الوطنية، لاحظت أنها حديثة النشأة إذا ما قورنت بنظيرتها في الغرب، حيث نشأت في الغالب بعد الحرب العالمية الثانية. ويمكنني القول بأنه من الدول الآسيوية حتى الآن ما ليس فيه مكتبة وطنية، وتقوم بعض المكتبات الأخرى ببعض وظائفها، وذلك مثل أفغانستان التي تقوم بدورها مكتبة جامعة كابول. وهونج كونج التي تقوم فيها قاعة المناسبات ببعض وظائف المكتبة الوطنية منذ تأسيسها سنة 1962م.

6 - هذا الجدول مأخوذ من كتاب: دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات: أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة، ج1، ط: 1 1998م.



### 3- ظهور المكتبات الوطنية بالدول العربية<sup>7</sup>:

| رقم | الدولة  | سنة التأسيس | رقم | الدولة    | سنة التأسيس |
|-----|---------|-------------|-----|-----------|-------------|
| 1   | مصر     | 1870        | 7   | قطر       | 1963        |
| 2   | سوريا   | 1880        | 8   | العراق    | 1963        |
| 3   | تونس    | 1885        | 9   | موريتانيا | 1965        |
| 4   | المغرب  | 1920        | 10  | السعودية  | 1968        |
| 5   | لبنان   | 1921        | 11  | اليمن     | 1968        |
| 6   | الجزائر | 1963        | 12  | الجمهورية | 1972        |

من خلال التتبع لما سبق ألاحظ أن بعض الدول العربية مثل: مصر وسوريا وتونس، كانت أسبق في إنشاء المكتبات الوطنية من الدول الآسيوية، لكنها تظل متأخرة مقارنة مع نشأتها بدول أوروبا.

### 4- المكتبة الوطنية المغربية: تعرف وتعريف<sup>8</sup>:

إنه لمن الجدير بالذكر في هذا البحث أن نأخذ نظرة موجزة عن تاريخ نشأة المكتبة الوطنية والأشواط التي قطعتها حتى أصبحت على الحالة التي هي عليها الآن. ولذلك كان لابد لنا من الرجوع بعجلات التاريخ إلى الوراء قليلا، وإلى سنة 1919، عندما لاحظ مجموعة من أساتذة معهد الدروس العليا المغربية بالرباط ضرورة تأسيس مكتبة تضم كل ما يحتاجونه من مراجع ومصادر

7 - الملتقى الأول لأمناء المكتبات الوطنية في الوطن العربي: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المكتبة المركزية طرابلس، 1998، ص 98.

8 - وقفت على العديد من المؤلفات والمقالات عند تاريخ إنشاء الخزنة العامة وقد اعتمدت منها: تاريخ خزائن الكتب بالمغرب: د. أحمد شوقي بنين، تر: مصطفى طوي، ط: 1، 2003، ص: 167.

- مجلة العربي العدد 618 جمادى الآخرة 1431هـ مايو 2010م، الذاكرة الذهبية: المكتبة الوطنية بالمغرب، ص 42-43 - عشر سنوات من المنجزات الثقافية في عهد الحسن الثاني 1961-1971 عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في عهد الحسن الثاني. ص 169.

- أوراق وأقلام من ذخائر المكتبة الوطنية بالرباط للمملكة المغربية: إعداد العلوي سيدي المختار، صادرة عن وزارة الثقافة والإتصال ص 10.

- مجلة دعوة الحق - العدد الثالث السنة التاسعة - رمضان 1385 يناير 1966.

- دليل المكتبة الوطنية بالرباط للمملكة المغربية: إعداد سيدي المختار العلوي، عن قسم الإيداع القانوني بالخزانة العامة بالرباط.  
- تاريخ المكتبة الوطنية للمملكة المغربية: سيدي المختار العلوي، مقال ذ. عبد الله الرجرجاني: أضواء من تاريخ الخزنة العامة، 1966 ص: 169.

تساعدهم على إنجاز بحوثهم على أحسن وجه، وقد استطاعوا تحقيق ذلك في سنة 1922، حيث كونوا مكتبة كان مقرها وقتئذ بجوار المعهد المذكور، تضم بعض الكتب المتعلقة بالمغرب ومن بينها المخطوطات. إلى جانب كتب معهد الدراسات العليا المغربية. ليأخذ بعد ذلك نطاق الخزانة يتسع ورصيدا ينمو ويتضخم، مما دعا مندوبية المعارف آنذاك إلى تشييد بناية خاصة لها وجعلها كمقر دائم لها، وذلك في 1924 حيث انتقلت الخزانة العامة إلى مقرها الجديد كخطوة تمهيدية لتوسيع نشاطها وتحويلها من مكتبة خاصة إلى مكتبة عامة، وهو المقر نفسه الذي تحتله الخزانة العامة اليوم بشارع ابن بطوطة بالرباط. لتحول بعد ذلك من خزانة خاصة إلى خزانة عامة بمقتضى ظهير 22 ربيع الثاني 1345 / 1 نونبر 1926. الذي منحها كيانا قائم الذات يسمى "الخزانة العامة والأرشيف" وعهد إليها بجمع الوثائق المتعلقة بالمغرب وإتاحة الإطلاع عليها لعموم المهتمين، كما عهد إليها بمهمة جسيمة أخرى وهي تلقي وثائق الإدارات وحفظها، وذلك بمقتضى البند التاسع من الظهير المذكور. وهكذا أصبحت بحق "الخزانة العامة والأرشيف". لتلعب بذلك دور المكتبة الوطنية الأم للمملكة المغربية بالعاصمة الإدارية والثقافية بالرباط. كما خول لها ظهير 7 رمضان 1349 هـ / 27 نونبر 1931 الإشراف الفني والإداري على سائر المكتبات الحسبية والتقليدية العتيقة<sup>9</sup> وأسماء هذه المكتبات هي :

- 1- "مكتبة جامعة القرويين بفاس
- 2- مكتبة البطحاء بفاس
- 3- مكتبة ثانوية القرويين (الشراردة) بفاس
- 4- مكتبة كلية الشريعة بفاس
- 5- مكتبة معهد الفتيا بفاس
- 6- مكتبة كلية ابن يوسف بمراكش
- 7- مكتبة معهد الفتيا بمراكش
- 8- مكتبة الجامع الكبير بمكناس
- 9- مكتبة المعهد الإسلامي بتارودانت
- 10- مكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت

9 - لكن هذه المكتبات لم تعد تحت الإشراف الفني ولا الإداري للمكتبة الوطنية إذ منها ما أصبح تحت الإشراف الإداري لمصلحة المخطوطات والخزانات التراثية بوزارة الثقافة ومنها ما أصبح تحت الإشراف الإداري لوزارة الأوقاف أو غيرها...

- 11- مكتبة المعهد الإسلامي بوجدة
- 12- فرع المكتبة العامة بسلا
- 13- فرع المكتبة العامة بإفران
- 14- فرع المكتبة العامة بالحاجب
- 15- فرع المكتبة العامة بالرباط
- 16- المكتبة العمومية بقصر السوق
- 17- مكتبة المعهد الإسلامي بطنجة
- 18- المكتبة العامة بتطوان<sup>10</sup>.

وقد حول لها كل من ظهير 3 نونبر 1932، وظهير 3 يونه 1944، وظهير 10 أبريل 1951، التكلف بمنح الإيداع القانوني. كما صدر بعد ذلك ظهير 1934 الذي ينص على إدخال المخطوطات والوثائق والمستندات الحكومية في نطاق اهتمامات الخزنة العامة وذلك بهدف جمع الرصيد الوثائقي وتنظيمه مكتبيا ليسهل الاستفادة منه من لدن القراء. وقد أغنت المكتبة العامة بعدد من المكتبات الخاصة من مثل مكتبة ماء العينين الشنقيطي رحمه الله بفاس، ومكتبة الحاج المختار بن عبد الله بن باشا السوسي بمكناس، ومكتبة النادي الألماني بطنجة، ومكتبة السلطان مولاي عبد الحفيظ بطنجة، ومكتبة الحاكم العام كلوزيل (closel)، ومكتبة برنار (Bernard) الموظف الجزائري. وفي سنة 1929 أضيفت إليها مكتبة لوريث قنصل فرنسا بالرباط، وفي سنة 1936 أضيفت إليها مكتبة القسم الاجتماعي بسلا. وفي سنة 1958 أضيف إليها ما أوقفه السيد بنعاشير الرباطي الكتبي من مخطوطات. وفي سنة 1959 أضيف إليها مكتبة الشيخ عبد الحلي الكتاني والباشا التهامي الكلاوي، وفي سنة 1960 أضيف إليها مكتبة الصدر الحاج محمد المقرئ. وقد عين الأستاذ دوفينسال محافظا للخزنة العامة، وهو الذي يعود له الفضل في وضع نظامها الأساسي وفهرسة رصيدها الوثائقي. وابتداء من نونبر 2003 أصبحت تطلق على الخزنة العامة للأرشيف تسمية المكتبة الوطنية للمملكة المغربية التي تحتفظ بوظيفتها كمؤسسة عامة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي. وذلك بمقتضى ظهير رقم 1-03-200 الصادر في 16 رمضان 1424هـ/ 11 نونبر 2003. لتنتقل بعد ذلك في 15 أكتوبر 2008 إلى المبنى الجديد لها الذي تم تهيئته وفق تصور حديثي، مع مراعاة خصوصية المعمار المغربي. كما تعكس

10 - ذكر عبد الله الراجحي هذه المكتبات في مقاله: "أضواء من تاريخ الخزنة العامة" المنشور بكتاب "تاريخ المكتبة الوطنية للمملكة المغربية": لسدي المختار العلوي. ص: 56-57.



هذه البناية الجديدة أهمية هذه المنشأة كمؤسسة ثقافية، تحافظ على الذاكرة الوطنية ، وتساهم في نشر المعرفة وتداولها ، وتوفير شروط تعميم القراءة.

أما بالنسبة لمقرها السابق الذي لازال يحمل اسم الخزنة العامة فقد أصبح يقتصر العمل فيه على أرشفة الوثائق وكل الحوامل المعلوماتية من نسخ إضافية للميكروفيلمات والكتب وأرشفة المجلات القديمة وكذا الصحف التي توضع على شكل سجلات تحفظها من الإتلاف وتحميها من آثار الزمن .

وقد شيدت المكتبة الوطنية على مساحة 55 ألف و766 متر مربع، ويبلغ الجزء المغطى منها 20.832 متر مربع، توفر فيها لزوارها خدمات متنوعة تواكب ما وصل إليه عالم المعرفة حاليا، وتتوزع إلى فضاءات مزودة بأحدث التقنيات تتيح كل حاجيات المطالعة والبحث وما تتطلبه من أجواء الراحة...

#### - المكتبات العامة :

هي مؤسسات ثقافية اجتماعية تؤسسها الدولة وتشرف عليها. تهتم بجمع مصادر المعرفة على اختلافها وتيسير الانتفاع بها من لدن المواطنين الذين يقصدونها على اختلاف أعمارهم وثقافتهم بهدف القراءة والبحث والإطلاع واستغلال أوقات الفراغ. وتتمثل وظائفها في دعم ومساندة المكتبات الأخرى القريبة منها وخاصة المكتبات المدرسية والجامعية وذلك في العملية التربوية، إضافة إلى تشجيع الجمهور على القراءة والإطلاع، وتيسير سبل الوصول إلى المعلومة.

وقد ظهر هذا النوع من المكتبات في المغرب مرتبطا بما هو ديني بالأساس، حيث أنه كان لا يكاد يخلو مسجد كبير من مساجد المدن المغربية منها. وكانت تفتح أبوابها لكل طالب علم. ومن أشهرها :

- "مكتبة القرويين بفاس
- جامع الأندلس بفاس
- مكتبة بن يوسف بمراكش
- مكتبة الحرم العباسي بمراكش
- مكتبة جامع الحرة بمراكش
- مكتبة المسجد الأعظم بمراكش

- مكتبة جامع قصبة الوداية بالرباط

- مكتبة الجامع الأعظم بآسفي

- مكتبة مسجد تامكروت<sup>11</sup>.

- المكتبات الخاصة :

هي المكتبات التي يكونها الأشخاص أو العائلات، تكون مقتصرة عليهم وعلى من يسمحون لهم باستخدامها من معارفهم أو ذوي الصلة بهم. لكن الملاحظ في السنوات الأخيرة انفتاح مجموعة من المكتبات الخاصة في وجه عموم الدارسين والباحثين، قصد تعميم الاستفادة منها، وهي غالبا ما تضم كتباً نفيسة من أمهات الكتب ومخطوطات في كثير من الأحيان. وتوجد منها بالمغرب عدد كبير مفتوح في وجه العموم، أشهرها:

- "مكتبة آل الغرديس بفاس، وهي أقدم مكتبة خاصة عرفت بالمغرب وقد استمرت إلى القرن السابع عشر الميلادي.

- مكتبة بني الملجوم بفاس

- مكتبة آل ابن القاضي بفاس

- مكتبة الهبطيين بالريف، وهي بضاحية شفشاون

- مكتبة الصومعيين بتادلا

- مكتبة المزوار بالأطلس الكبير

- مكتبة العياشيين

- مكتبة آل ابن الطاهر بتافيلالت

- مكتبة الناصريين بدرعة

- مكتبة الحاحيين بازداغة

- مكتبة الأمراء السملاليين

- مكتبة المساوية بتيكورارين بالصحراء<sup>12</sup>.

11 - تاريخ المكتبة الوطنية للمملكة المغربية: سيدي المختار العلوي، مقال الهادي بجيبو: جولة بين مكتبات عربية ومغربية وغربية، ص 71 و72.

12 - تاريخ المكتبة الوطنية للمملكة المغربية: سيدي المختار العلوي، مقال الهادي بجيبو: جولة بين مكتبات عربية ومغربية وغربية، ص 72-73.

- مكتبة أحمد بن يحيى ابن سودة التي أهداها أبناؤه يوم 26 فبراير 2010 إلى المكتبة الوطنية المغربية.

وحسب علمي قليلة هي المكتبات الخاصة التي لا تزال مفتوحة إلى يومنا هذا.

#### - المكتبات المتخصصة :

هي مكتبات تهتم باقتناء الإنتاج الفكري في موضوع معين أو عدة موضوعات يرتبط بعضها ببعض. وتعمل هذه المكتبة في نطاق التخصصات التي تتفق واهتمامات المؤسسات والهيئات التي ترعاها، كما تعمل على خدمة من ينتمون إلى هذه المؤسسات والهيئات. وعادة ما يكفل لها اهتمامها بقطاعات تخصصية معينة القدرة على تحقيق الدرجة المناسبة من الشمول والتعمق في تغطية الإنتاج الفكري المتخصص في هذه القطاعات، وبالتالي تمكنها من وضع بيبليوغرافيا في مجال تخصصها، كما يكفل لها تقديم خدماتها لمؤسسات تخصصية مثل كليات الحقوق والطب والهندسة والمكتبات التابعة لمؤسسات وطنية كالخاصة بالاتصال والتكنولوجيا وغيرها. ومن وظائف هذه المكتبة :

1- تنمية مجموعاتها المكتبية وتتبع آخر ما نشر في مجال تخصصها.

2- القيام بالخدمات المرجعية السريعة والفورية.

3- إعداد البيبليوغرافيات والترجمات للكتب في مجال تخصصها.

4- تسهيل تقديم المعلومات للفئة المستفيدة<sup>13</sup>.

#### - مكتبات ذوي الاحتياجات الخاصة :

هي مكتبات تتلاءم مع الحالة الصحية لفئة معينة، بها كتب مطبوعة على طريقة برايل، والآلات والمواد التي تعتمد على اللمس والحواس السمعية بالنسبة للمكفوفين، والمواد التي تعتمد على الحواس اللمسية والبصرية بالنسبة للصم والخرس. ولا يوجد هذا النوع من المكتبات في المغرب إلا في المراكز التعليمية الخاصة بهذه الفئة، وقد أحدث مؤخرا جناح خاص بالمكفوفين في المكتبة الوطنية. لكن رغم ذلك نسجل غياب مكتبات خاصة بالمكفوفين مستقلة بذاتها.

#### - المكتبات الجامعية :

ترتبط المكتبات الجامعية بالمجتمع الجامعي، حيث تنشئها وتديرها الجامعة داخل الحرم الجامعي، وتهدف إلى خدمة الطلبة والأساتذة والعاملين في المؤسسة، وتوفير ما يلزم من معلومات

13 - مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات: الدكتور حشمت قاسم، الطبعة الثانية، ص 205.



تفيدهم في البحث والدراسة. و لهذه المكتبة تقريبا الوظائف نفسها التي سبق ذكرها للمكتبة المدرسية ونجملها هنا في:

1- الوظيفة التعليمية؛

2- الوظيفة التربوية؛

3- الوظيفة التثقيفة؛

4- الوظيفة الإعلامية؛

5- الوظيفة الترويجية؛

وتعمل من خلال هذه الوظائف على تشجيع وتقديم خدمات الإعارة للطلبة، وإرشاد القراء، وكذا توفير أماكن للقراءة والدراسة الخاصة للباحثين والطلبة، وقد حددت المنظمة العربية للتربية والثقافة هذه الخدمات في :

- "التعامل مع المكتبة الجامعية كنظام معلوماتي متكامل يدار على أساس مركزي يربط بين مختلف كليات الجامعة وأقسامها من أجل الوصول إلى كفاءة عالية.

- تنمية المقتنيات مع الحرص على تناسبها مع حاجيات مجتمع المستفيدين وبرامج التعليم الجامعي.

- تخصيص الميزانية الكافية لتطوير المكتبات الجامعية، ودعم قدرتها على تقديم الخدمات بما يتناسب وحجمها ومجتمع المستفيدين منها"<sup>14</sup>.

- المكتبات المدرسية :

هي المكتبة التي تلحق بالمدارس سواء الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية، وتعد قلب المدرسة النابض وعقلها المفكر، وهي العمود الفقري لنجاح رسالة التعليم. ويشرف على إدارتها أمين غالبا ما يكون من أساتذة المدرسة. وتشكل هذه المكتبة جزء من المنهج المدرسي وأحد روافد العملية التربوية والتعليمية. ولهذه المكتبة عدة وظائف منها :

1- توفير الأوعية المعرفية والمصادر التعليمية من خلال الأخذ بعين الاعتبار ما يلي رغبات التلاميذ والمعلمين وميولاتهم، وتصنف وت فهرس بشكل يسهل الوصول إليها والاستفادة منها.

14 - استراتيجية التوثيق وخطط العمل المستقبلي: عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والمعلومات، الفصل الثالث، ص: 50.

2- تدعيم المناهج الدراسية بحيث إن الكتاب المدرسي لم يعد الوسيلة الوحيدة المعتمدة للحصول على المعلومات؛ بل تعمل المكتبة المدرسية بشكل خاص على توفير الكتب والأوعية الأخرى التي تخدم المناهج الدراسية وتدعمها.

3- تدعيم الأنشطة التربوية من خلال تنظيم أنشطة ثقافية وفنية وعلمية تنمي قدرات التلاميذ المعرفية والفكرية.

4- التربية المكتبية للتلاميذ من خلال تعريفهم بالمكتبة وتعويدهم على استغلال ذخائرها بشكل علمي يسهل عليهم الاستفادة منها.

5- تنمية عادة القراءة في نفوس الأطفال منذ الصغر فهي غذاء لعقولهم ولتنمية معارفهم.

6- إرشاد التلاميذ وتوجيههم، إذ أن دور المكتبة لا يقتصر على تدبير الكتب والمراجع وإنما التوجيه والإرشاد في كيفية استغلال هذه المراجع، والتعرف على مشاكلهم القرائية والعمل على حلها وتنمية ميولاتهم وتوجيهها.

7- تنمية مهارات وقدرات المعلمين من خلال تقريب المعلومات إليهم قصد رفع مستواهم المهني والثقافي والفكري<sup>15</sup>.

وعلى الرغم من التفاوت في مستوى خدمات المكتبات المدرسية تبعا للمستوى الدراسي الذي تخدمه - ابتدائي، إعدادي، ثانوي -، والتفاوت في وفرة المواد المتاحة لها، فإنه من الضروري الاهتمام بالمكتبة المدرسية والتعامل معها كجزء أساس من العملية التربوية. ومن ثم ينبغي أن يتوافر لها من الموارد ما يكفل لها القدرة على النهوض بهذه الوظائف.

15 - هذه الوظائف السبع مستخلصة من العديد من المراجع التي تناولت بالدراسة موضوع المكتبات المدرسية ووظائفها ومن بين المراجع التي اعتمدتها في توضيح هذا:

- علم المكتبات وما يحتاجه أمين المكتبة: ماجد محمد مصطفى شامان الديبس مراجعة د. هاني العمدة، الطبعة الأولى 2004 ص 21-25.

- استراتيجية التوثيق والمعلومات وخطط العمل المستقبل: صادر من المنظمة العربية للتربية والتوثيق والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والمعلومات. تونس 1998 ص 47، 48.

- اللوحات الإرشادية والإعلامية بالمكتبات المدرسية: أهميتها وتوثيقها وطرق إعدادها، إعداد محمد عبد الجواد شريف، مراجعة محمود عبد اللطيف مصطفى ص 12 - 30.

- الموجز في علم المكتبات ومراكز التوثيق: عبد الهادي بجيجو، الطبعة الأولى 1999، ص 6-8.

- مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات: حشمت قاسم، الطبعة الثانية، ص 205.





## صفوة الرجال

الشاعر عبد الكريم الوزاني

ضِ أَرِيحُ يَضُوعُ فِي الْأَجْوَاءِ  
هُوَ فِي أَشْطَرِي صَدَى الْأَصْدَاءِ  
ي وَيَسْرِي الْخُنُوءُ فِي الْأَحْشَاءِ  
بَانْدِمَاجِ الْكُلِّيِّ فِي الْأَجْزَاءِ  
صَفْوَةٌ مِنْ رِجَالِهَا الْأَكْفَاءِ  
دُرَّةُ الْعِقْدِ بَضَّةُ الْأَضْوَاءِ  
عَ صَرْفَاءٌ وَأَعْطَرُ الْأَثْدَاءِ  
مُونِقُ النَّبْتِ مُحْصِبُ الْأَرْجَاءِ  
وَرَثْتُهُ الْأَبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ  
دِ وَأَسْرُوا بِهِمَا إِلَى الْجُوزَاءِ  
يَصِفُ الْبُرَّةَ وَالِدَوَّاءِ لِلدَّاءِ  
بِهِمْ فِي الْعُرُوقِ رَيَّ الْمَاءِ  
يَّامُ مِنْهُمْ بِصَادِقِ الْأَنْبَاءِ  
وَوِطَائِي الْمَدَى الْقَصِي النَّائِي  
نِ وَشِعْرًا يَحْلُو لَدَى الْإِصْغَاءِ  
دُرَّرَ لَفْظُهُ لَدَى الْإِمْلَاءِ  
بَعْدَهُ الْجَيْلُ عَاطِرُ الْإِطْرَاءِ  
كَالْتَحَامِ الْأَرَاءِ بِالْأَرَاءِ  
بِتَعَالِيهِ عَنِ الْأَخْطَاءِ  
نَ دُرُوسًا بِأَبْلَغِ الْإِلْقَاءِ  
وَيَانًا بِالْجَهْرِ وَالْإِخْفَاءِ  
— كَأَنَّهُمْ فِي لَحْظَةِ الْإِسْرَاءِ  
فَوْقَ مَا فِيهِ مِنْ مَدَى الْأَمْدَاءِ

مِنْ مَعَانِي الْقَرِيضِ فَاحَ عَلَى الْأَرْ  
جَيْتِ أَسْعَى وَوَادِي عَبَقَرِ خَلْفِي  
يَمْلَأُ الشَّوْقُ مُهْجَتِي وَحَنَانِيَا  
كُنْتُ لَا أَكْتَفِي مِنَ الشَّوْقِ إِلَّا  
قُلْتُ مَاذَا بِفَاسٍ حَلَّ؟ أَجَابَتْ:  
مِنْ نَسِيبِ، قُرَيْشٍ، مِنْهُ وَفِيهِ  
كَرَعُوا الْعِلْمَ مِنْ مَنَاهِلِهِ الثَّرَّ  
فَزَكَا غَرْسُهُمْ وَأَيَّنَعَ فِيهِ  
وَهَبَتْهُمْ سَمَاءُ فَاسٍ جَلَالًا  
غَرَسُوا فِي النَّفُوسِ قُدْسِيَّةَ الضَّ  
لُغَةِ الضَّادِ إِنْ تَسَلَّ عَنْ طَيِّبِ  
فَبِهِمْ تُورِقُ الْفَيْافِي وَيَجْرِي  
سَوَفَ يَأْتِيكَ مَنْ تُزَوِّدُهُ الْأَ  
جَيْتِ يَا فَاسُ وَالْحَنِينُ لِحَافِي  
نَاهِلًا مِنْ حِيَاضِهِمْ آيَةُ الْفَنِّ  
كَأَسْهُمْ مُتَرَعَّ وَسَاقِيهِ فَكَّرُ  
لَيْسَ سِرًّا أَنْ يَقْبَسَ الْجَيْلُ عَنْهُمْ  
لَمْ يَكُنْ هَمُّهُمْ مِنَ الدَّرْسِ شَيْئًا  
يَتِمَّاهِي الْمُرِيدُ بِالشَّيْخِ يَسْمُو  
مَنْ رَأَاهُمْ عَلَى الْمَنَابِرِ يَلْقَوُ  
خَالَ سُقْرَاطَ فِي حَجَاهُمْ كَلَامًا  
تَتَعَالَى بِهِمْ مَلَائِكَةُ اللَّ  
فَوْقَ هَذَا الزَّمَانِ فَوْقَ رَدَاهُ

بَاقَةٌ مِنْ نَضِيرِ وَرْدٍ وَنَرْدٍ  
 مَا رَأَوْا بَلَقَعَاءَ وَلَا حَبَّ رَمْلٍ  
 لَيْسَ تَذَرُوهُمْ الرِّيحُ وَقَدْ مَاءً  
 حَمَلُوا الْعِبَاءَ فِي يَفَاعَةٍ عُمُرٍ  
 يَارَعَى اللَّهُ أَنْجُمًا فِي سَمَاءٍ  
 وَأَظْلَلَتْ بِلَادَنَا وَبَيْنَهَا  
 لَبَسَتْ ثَوْبَهَا الْقَشِيبُ فَأَزْرَتْ  
 لَمْ تَنْلُ مِنْ صُمُودِهَا غَيْرَ الدَّهْرِ  
 أَنْطَقَتْ صَامِتَ الصُّخُورِ وَأُولَتْ  
 إِنَّ مَنْ يَزْرَعُ السَّنَاءَ بِأَرْضٍ

جَادَهَا الْعَيْثُ غَامِرِ الْأَنْدَاءِ  
 إِنَّمَا الْأَيْكُ مُسْبِلُ الْأَنْوَاءِ  
 ذَرَتْ الرِّيحُ صَاحِبَ الْأَهْوَاءِ  
 وَاسْتَهَانُوا فِي الشَّيْبِ بِالْأَعْبَاءِ  
 بَسَطَتْ نُورَهَا عَلَى الْأَحْيَاءِ  
 وَوَقَّتْ غَوَائِلَ الْأَرْزَاءِ  
 بِجَدِيدِ الثِّيَابِ وَالْأَزْيَاءِ  
 رِ وَلَا أَدْعَنْتُ لَدَى الْإِعْيَاءِ  
 صِفَةَ النَّاطِقِينَ لِلْأَشْيَاءِ  
 سَوْفَ يَجْنِي غَدًا سَنِيَّ السَّنَاءِ

## فسائل المروج

الشاعر احمد الادريسي

وتفتح صدرا للتداني، وتنصب  
تقودك أحواض الندى<sup>١</sup> حيث تطلب  
فصرت ترى ما غاب عنك، وتوهب  
به، كل فصل من ثرائه يخلص  
رايت الندى يسري بأخرى فتخضب  
تصب رياحينها بها يتطيب  
وصارت به سحب الملاءة تعجب  
ينايعها فيض القلوب المحجب  
فترقي نفوسا في الجهالة تتعب  
وانشودة الآمال حين تنصب  
وللعلم في ذاك التسابق محطوب  
فهيا لنسج، فالدقائق تحسب  
مع الدهر أن يفتوا بما قد تأدبوا  
ليعلم قوم ما الذي يتطلب  
كذا ما علا، من سيله الخير يجلب  
وشاهد شاهد صحائف تكتب  
منابر فكر تصطفى ثم تنصب  
وهمس جفون دمعها يتصبب  
فتحيي الذي يغني الحقول، فتادب  
فتشفى ندوب الجهل، والفهم ينجب  
لغير مريد، في الحقيقة يرغب  
وللنور في عين القلوب تشعب  
بمن هم لأحكام الحقيقة أقرب

تقدم، فذي أعتاب يمن ترحب  
إذا ما أتيت الروض، كنت مخيرا  
تجمع فيه، ما تفرق في الربي  
يراوح نجم الليل إشراقة الضحى  
فسائل مرج، كلما فاح عطرها  
سقاته، من خير السواقي، جرارهم  
هنا مهرجان الفكر، إذ جله السننى  
فسائل تسقى من جداول ألسن  
عيون من الآداب تكسب حكمة  
هنا تكتب الأيام أطروحة البقا  
تسابق في عرض النوازل بعضها  
وتنشر بعضها من محاسن غزلها  
وتعلن اخبارا لقوم، تعاقدوا  
ويفشوا أحاديث الليالي، وسرها  
وقد اقسموا: لن يكتموا ما تعلموا  
هنا رافق المشهود شاهد سره  
هنا تبصر الأرواح، إذ بات ظلها  
هنا تسمع الأذان حيناً للركع  
والسن صدق، كالرياح، لواقحا  
هنا يستحم الفكر في نبع عبقر  
هنا يختفي سر الحياة، فلا يرى  
فأقبل تر الأنوار من كل جانب  
وسل عن نصيب في المعارف، واقتد



وصاحب كتابا، فهو لِلْعِلْمِ ألسن  
 فلست بمستغن عن الشرب لحظة  
 وما العلم إلا كشف سر خزائن  
 وفيض من الإنعام يغني مجاريا  
 يرى في زمان العمر منعرج السقا  
 يفيض ثراء النفس، مستبشرا به  
 يسره ما تمسى له خير قارئ  
 وينبذ في رف، وخزنة متحف  
 معاقل علم تشتكي هجر زائر  
 كذلك دور العلم، تحترف السخا  
 معابر فضل، حيثما سرت نائل  
 وأطياف عز ترتقي في ركاها  
 تقدم فذي أعتاب يمن ترحب  
 قرب حلیم زاده العلم نزلة  
 فيمسي بها نجما يضيء سماءها

تحدث في صمت بما عنك يغرب  
 كذا العلم للاعمار ما غاب تجذب  
 ومفتاح أسماء إلى الله تنسب  
 ويعدل جهدا للذي فيه يداب  
 فيسقي، ويسقي ما حلا، ثم يشرب  
 ويمضي بذاك الفيض دهره يسكب  
 وإن شقاء العلم كونه يغرب  
 وأعين قراء تراه فتعصب  
 وراعي القرى إن غاب ضيفه يغضب  
 وتجنب بخلا ما سعى بها مطلب  
 قناديلها فكر، وجهدها مركب  
 فتحني لك الركبان حين تركب  
 وتفتح صدرا للتداني، وتنصب  
 متى عاب ضيقا في فضائها ترحب  
 وتمسي به نبعا، له الدهر مذهب

## محاوَر الأعداد المقبلة

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاور الآتية :

1. الخطاب القرآني بين التصورات الشرعية والتصديقات الحقوقية
2. إمارة المؤمنين والبعد الإفريقي
3. أصول الفتوى في المغرب الأقصى
4. السيرة النبوية في الكتابات المعاصرة
5. العقيدة الأشعرية ومنظومة القيم الحضارية المغربية
6. جهود المغرب في تكوين القيميين الدينيين
7. العمران المغربي: فقه وفن وتنمية
8. الرحلة والرحالة المغاربة
9. الأدب المغربي : تاريخ وأعلام

## شروط النشر بالمجلة

تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 15 صفحة من حجم A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.



# فهرس العدد

- 7..... افتتاحية العدد
- خزانات الكتب بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط : جوانب من انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والذهنية
- 11..... ذ. أحمد الصديقي
- خزانة فجيج في عيون الرحالين المغاربة
- 29..... ذ. محمد بوزيان بنعلي
- من الخزائن التراثية في سوس : نموذج خزانة الإمام علي العامة بتارودانت
- 47..... ذ. أحمد السعيد
- عناية الصوفية بالمكتبات : إطلالة من خلال نماذج مغربية
- 59..... ذ. مصطفى بوزغنية
- خزانة جامع القرويين بفاس مراحل تأسيسها، وعناية سلاطين الدولة المغربية بها
- 65..... ذ. حميد لحر
- وقفية خزانة الشيخ عبد الرحمان الدكالي ذو النعمتين
- 73..... ذ. عبد الرحمان الصديقي
- الخزانة الحسنية الملكية : تاريخها، ومنجزاتها في فهرسة المخطوطات ورقمنتها
- 93..... ذ. محمد سعيد حنشي
- في رحاب خزانة العلامة محمد المختار السوسي
- 105..... ذ. رضى الله عبد الوافي المختار السوسي

مؤسسة علال الفاسي في سطور مع نبذة عن حياة الزعيم علال الفاسي الفكرية

115..... ذ. عبد الكريم بن عبد القادر البوكيلي

مكتبة عبد الله كنون بطنجة

121..... ذ. محمد كنون الحسني

الفهرس الوصفي للخزانة السودية (أحمد بن سودة)

127..... ذ. عبد العزيز التيلاني

من خزائن الرباط الخاصة : خزانة الدكتور عباس الجراري

133..... ذ. مصطفى الجوهري

الخزانات العلمية بمركز التوثيق والأنشطة الثقافية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية  
بمكناس

139..... ذ. أحمد شاوف

المكتبات المغربية : الأنواع والوظائف

147..... ذ. إيمان أضاوي

قصيدة : صفوة الرجال

161..... الشاعر عبد الكريم الوزاني

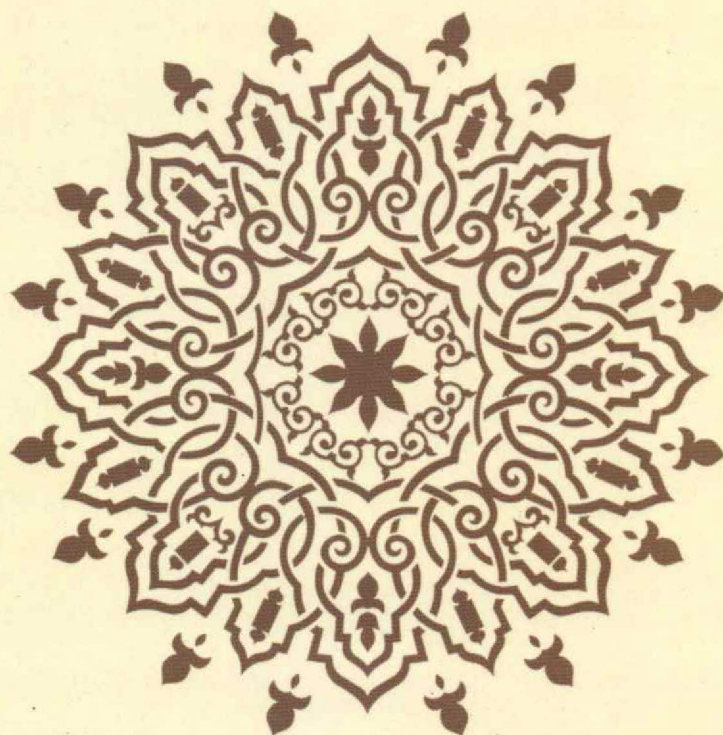
قصيدة : فسائل المروج

163..... الشاعر محمد الإدريسي

167..... فهرس العدد







# دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والعمارة  
تُصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية  
بالملكة المغربية